[illegible]

كتاب الشفا

شفاء قاضي عياض

اليحصبي
بالفتح وسكون الحاء وكسر
المهملتين ثم موحدة
الى يحصب
بالاندلس

دخل في سلك ملك الفقير ... الحسيني النقيب بأشرف الممالك ...
عفي عنه

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الفقيه القاضي الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه

الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شيء رحمة وعلما وأسبغ على أوليائه نعما عما وبعث فيهم رسولا من أنفسهم أنفسهم عربا وعجما وأزكاهم محتدا ومنمى وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم علما وفهما وأقواهم يقينا وعزما وأشدهم بهم رأفة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا ووصما وآتاه حكمة وحكما وفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسما وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى صلى الله عليه وسلم صلاة تنمي وتنمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أما بعد أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه وأوحشهم من الخليقة بأنسه وخصهم من معرفته ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا في الدارين غيره فهم بمشاهدة كماله وجلاله يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يترددون وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلوة والسلام وما يجب له من توقير وإكرام وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر أو قصر في حق منصبه

الجليل قلامة ظفر، وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا في ذلك من مقال
وأبينه بتنزيل صور وأمثال. فاعلم أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا
إمرا، وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا، وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا
ملأ قلبي رعبا، فإن الكلام في ذلك يستدعي تقرير أصول، وتحرير فصول
والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف إليه، أو يمتنع أو يجوز عليه، ومعرفة النبي والرسول والرسالة
والنبوة والمحبة والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية، وههنا مهامه
فيح تحار فيها القطا، وتقصر بها الخطا، ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم
تهتد بعلم علم، ونظر سديد، ومداحض تزل بها الأقدام إن لم تعتمد
على توفيق من الله وتأييد، لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب
من نوال وثواب، بتعريف قدره الجسيم، وخلقه العظيم، وبيان خصائصه
التي لم تجتمع قبل في مخلوق، وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع
الحقوق، ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا، ولما
أخذ الله على الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه، ولما حدثنا
به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه، قال حدثنا
الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد بن عبد المؤمن حدثنا
أبو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا
حماد حدثنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار
يوم القيامة، فبادرت إلى نكت سافرة عن وجه الغرض، مؤديا من ذلك الحق
المفترض، اختلستها على استعجال، لما المرء بصدده من شغل البدن والبال

بما طوقه من نعما لبد المحنة التي ابتلي بها يكاد ذلك يشغل عن كل فرض ونفل
ويرد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل. ولو اراد الله بالانسان خيرا لجعل
شغله وهمه كله. فيما ينجيه غدا ويدنيه من محله. فليس ثم سوى حضرة النعيم
او عذاب الجحيم. ولكان عليه بخويصته. واستنقاذ مهجته. وعمل صالح
يستزيده. وعلم نافع يفيده او يستفيده. جبر الله صدع قلوبنا. وغفر
عظيم ذنوبنا. وجعل جميع استعدادنا لمعادنا. وتوفر دواعينا. فيما ينجينا
ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته. ولما نويت تقريبه. ودرجت
تبويبه. ومهدت تأصيله. وخلصت تفصيله. وانتحيت حصره وتحصيله.
ترجمته بالشفا. بتعريف حقوق المصطفى. وحصرت الكلام فيه في
اقسام اربعة. القسم الاول في تعظيم العلي الاعلى لقدر هذا النبي
صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا. وتوجه الكلام فيه في اربعة ابواب الباب
الاول في ثنائه تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه. وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا. وقرانه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا. وفيه سبعة وعشرون فصلا
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره
عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته. وفيه اثنا عشر
فصلا الباب الرابع فيما اظهره تعالى على يديه من الآيات والمعجزات.
وشرفه به من الخصائص والكرامات. وفيه ثلاثون فصلا القسم الثاني
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام. وبترتب القول فيه في اربعة
ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته. واتباع
سنته. وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته

وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم أمره ووجوب توقيره
وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم
وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما
يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية
أن يضاف إليه وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب ولباب
ثمرة هذه الأبواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل
على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعثنا والمنجز
من غرض هذا التأليف وعدنا وعنده تنقضي لموعده والتقصي عن
عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين ويملأ
أنواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي حق قدره وتحرير الكلام فيه
في بابين الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية ويتشبث به
القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في أحواله
الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه
عليه السلام وتنقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان
ما هو في حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول
الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته
وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه
بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين اللذين قبله
في حكم من سب الله جل وتعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله
عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ننجز

القائل

طروه

واختصر الكلام

الكتاب وبهم الأقسام والأبواب ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة
وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس
وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله
تعالى لا إله سواه أستعين **القسم الأول** في تعظيم العلي الأعلى لقدر النبي
المصطفى عليه الصلوة والسلام قولا وفعلا قال القاضي الإمام أبو الفضل
رضي الله عنه لا خفا على من مارس شيا من العلم او خص بادنى لمحة من
فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام وخصوصه اياه
بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره
بما تكل عنه الألسنة والأقلام **فمنها** ما صرح به تعالى في كتابه ونبه
به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد
على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر
وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزا الاوفى فله الحمد بدءا وعودا
والحمد اولى واخرى **ومنها** ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال
والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب
الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة
والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره وراها من ادركه وعلمها علم
يقين من جا بعده حتى انتهى حقيقة علم ذلك الينا وفاضت انواره علينا
صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار
وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي قال حدثنا ابو علي
السنجي قال حدثنا محمد بن احمد بن محبوب قال حدثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ

عيسى بن

قال حدثنا

لا إله إلا هو الملك الحق المبين
النبي
الفهم
لعظيم
افضل
السديدة

قال حدثنا إسحق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس
رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا
فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله
منه قال فارفض عرقا

الباب الأول في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه

اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة
مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا
منها على ما ظهر معناه وبان فحواه. وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الأول فيما جاء في ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن

كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية. قال السمرقندي وقرأ
بعضهم من أنفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم. قال القاضي الإمام
أبو الفضل وفقه الله أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع
الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا
من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا
يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم تكن في العرب
قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة وكونه من
أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح. ثم وصفه
بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم
وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه
ورأفته ورحمته بمؤمنيهم. قال بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف
رحيم. ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث
فيهم رسولا من أنفسهم الآية. وفي الآية الأخرى قوله تعالى هو الذي بعث في

بمؤمنيهم

الاميين رسولاً منهم الاية • وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولاً منكم •
وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في اباي من لدن ادم سفاح
كلنا نكاح • قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة ام فما
وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس رضي الله
عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك اخرجك
نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك
لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا
من جنسهم في الصورة والبسه من نعته الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق
سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع
الرسول فقد اطاع الله • وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين •
قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان
كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من
رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب
الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • فكانت الوتر
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه الصلوة والسلام حياتي خير لكم
وموتي خير لكم • وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة امة قبض
نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا • وقال السمرقندي رحمة للعالمين جعل الله نبيا لهم فرطا وسلفا لا مفتوح ... والقيم والقنوت
يعني للجن والانس • وقيل لجميع الخلق للمومنين رحمة بالهداية • ورحمة
للمنافق بالامان من القتل • ورحمة للكافر بتاخير العذاب • قال
ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا مما

اصاب

اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت اخشى
العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي
العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما
في قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت سلامتهم من اجل
كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات
والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله
عليه وسلم. وقوله تعالى مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال
سهل بن عبد الله المعنى الله هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور
محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا
واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من
الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم وضرب المثل
بالشجرة المباركة. وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت. وقد قيل في هذه الاية غير
هذا والله اعلم. وقد سماه الله تعالى في القران في غير هذا الموضع نورا
وسراجا منيرا. فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. وقال تعالى
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا.
ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة. شرح وسع
والمراد بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه
بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما. وقيل
معناه الم نطهر قلبك حتى لا يوذيك الوسواس. ووضعنا عنك وزرك الذي

بالايمان حلما

انقض ظهرك • قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة • وقيل اراد ثقل ايام
الجاهلية • وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي
والسلمي • وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة • وقيل اذا ذكرت ذكرت معي •
في قول لا اله الا الله محمد رسول الله • وقيل في الاذان قال القاضي ابو الفضل
وفقه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه
لديه • وشريف منزلته عنده وكرامته عليه • بان شرح قلبه بالايمان
والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية
عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط
عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه
بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال ورفع ذكره
قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب
صلوة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل عليه السلام
فقال ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا جعلت تمام الايمان بذكري
معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني وقال جعفر
ابن محمد الصادق رضي الله عنهما لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة • ومن ذكره معه تعالى ان قرن طاعته
بطاعته واسمه باسمه • فقال تعالى واطيعوا الله والرسول • وامنوا بالله
ورسوله • فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غير

حقه

حقه عليه السلام حدثنا الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما
أجازنيه وقرأته على الثقة عنه قال حدثنا أبو عمر النمري قال حدثنا أبو
محمد عبد المؤمن أخبرنا أبو بكر بن داسة حدثنا أبو داود السجستاني أخبرنا
أبو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار عن حذيفة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن
ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابي أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب
في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها بثم التي هي للنسق
والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك. ومثله الحديث الآخر أن خطيبا
خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد
ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم أنت قم أو
قال اذهب. قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية
لما فيه من التسوية. وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على يعصهما
وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث الصحيح أنه قال ومن يعصهما فقد
غوى. ولم يذكر الوقوف على يعصهما. وقد اختلف المفسرون وأصحاب
المعاني في قوله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي. هل يصلون
راجعة على الله تعالى والملائكة أم لا فأجازه بعضهم ومنعه آخرون
لعلة التشريك وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية إن الله يصلي
وملائكته يصلون وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من فضيلتك
عند الله تعالى أن جعل طاعتك طاعته. فقال تعالى من يطع الرسول
فقد أطاع الله. وقد قال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله الآيتين. روي أنه لما نزلت هذه الآية قالوا إن محمدا يريد أن نتخذه

حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله تعالى قل أطيعوا الله والرسول
فقرن طاعته بطاعته رغما لهم • وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى
في أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فقال
أبو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخيار أهل بيته وأصحابه حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي وحكى مكي
عنهما نحوه • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر
رضي الله عنهما وحكى أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله
تعالى صراط الذين أنعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح
وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم عن عبد الرحمن
ابن زيد وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى أنه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الإسلام وقيل
شهادة التوحيد وقال سهل في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا
تحصوها قال نعمته محمد عليه الصلوة والسلام • وقال تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون الآية • أكثر المفسرين على
أن الذي جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم • قال بعضهم وهو الذي
صدق به وقرئ صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون
وقيل أبو بكر وقيل علي رضي الله عنهما • وقيل غير هذا من الأقوال وعن
مجاهد في قوله تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه
وسلم وأصحابه الفصل الثاني في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق
بها من الثناء والكرامة • قال الله تعالى يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الآية • جمع الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الأثرة

وجملة

وجملة اوصافه من المدحة فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم
الرسالة وهي من خصائصه صلى الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به
الى الحق حدثنا الشيخ ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال حدثنا ابو القاسم حاتم
ابن محمد اخبرنا ابو الحسن القابسي اخبرنا ابو زيد المروزي حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا البخاري اخبرنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال
عن عطا بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قلت
اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا
غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق
والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته
والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة
واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر
به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين
قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير

بشار

أمة أخرجت للناس • وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفته في التوراة عبدي أحمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة •
أو قال طيبة • أمته الحمادون لله على كل حال • وقال تعالى الذين يتبعون
الرسول النبي الأمي الآية • وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية
قال السمرقندي ذكرهم الله منته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين
رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن
جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا • هكذا قاله الضحاك • وقال تعالى
وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا قال أبو الحسن القابسي أبان الله تعالى فضل نبينا صلى الله
عليه وسلم وفضل أمته بهذه الآية • وفي قوله تعالى في الآية الأخرى •
وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس • وكذلك
قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
الآية • وقوله وسطا أي عدولا خيارا • ومعنى هذه الآية وكما هديناكم
فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم أمة خيارا عدولا لتشهدوا
للأنبياء على أممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل إن الله جل وعلا
إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول أممهم ما جاءنا من
بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد للأنبياء ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم •
وقيل معنى الآية إنكم حجة على كل من خالفكم • والرسول حجة عليكم •
حكاه السمرقندي • وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق
عند ربهم • قال الحسن وقتادة وزيد بن أسلم قدم صدق هو محمد صلى الله
عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن أبي سعيد

ذكرهم

يستغفر

خدري

الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله عليه
وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع
المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث فيما ورد من خطابه إياه مورد الملاطفة والمبرة

فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال أبو محمد مكي
قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله وقال عون بن عبد الله
أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم
أن معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من
هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين الصادق في عذره من الكاذب
وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن إكرامه إياه
وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب
ناس إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل
كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم
وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم قال القاضي أبو الفضل رحمه الله يجب
على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بآداب
القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية
وروضة الآداب الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير

ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر
الذنب إن كان ثم ذنب. وقال تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن
إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الأنبياء بعد الزلات
وعاتب نبينا عليه الصلوة والسلام قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء
ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته
قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه
تأمينه وكرامته. ومثله قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
فإنهم لا يكذبونك الآية. قال علي رضي الله عنه قال أبو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا
يكذبونك الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن
فأتاه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال إنهم يعلمون
أنك صادق فأنزل الله هذه الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ
من تسليته تعالى له عليه الصلوة والسلام وإلطافه في القول بأن قرر
عنده أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا
واعتقادا. وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين
ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون. فحاشاه من الوصم
وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون
ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم
ظلما وعلوا. ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى
ولقد كذبت رسل من قبلك الآية. فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه

لا يجدونك

لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب • وقيل
لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه • ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك
إلى الكذب • وقيل لا يعتقدون كذبك • ومما ذكر من خصائصه وبر الله
تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال يا آدم يا نوح •
يا إبرهيم يا داود • يا عيسى • يا زكريا • يا يحيى • ولم يخاطب هو إلا يا أيها
الرسول • يا أيها النبي • يا أيها المزمل • يا أيها المدثر • صلى الله عليه وسلم •

الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره

قال الله تعالى لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون • اتفق أهل التفسير في هذا
أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم • وأصله ضم العين
من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال • ومعناه وبقائك يا محمد • وقيل
وعيشك • وقيل وحياتك • وهذه نهاية التعظيم • وغاية البر والتشريف •
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم
عليه من محمد صلى الله عليه وسلم • وما سمعت الله تعالى أقسم بحياة أحد
غيره • قال أبو الجوزاء ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم
لأنه أكرم البرية عنده • وقال تعالى يس والقرآن الحكيم • الآيات •
اختلف المفسرون في معنى يس على أقوال • حكى أبو محمد مكي أنه روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة أسماء ذكر أن منها طه
ويس اسمان له • وحكى أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق رضي الله
عنهما أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم • وعن ابن عباس
رضي الله عنهما يس • يا إنسان • أراد محمدا صلى الله عليه وسلم • وقال هو قسم
وهو من أسماء الله تعالى • وقال الزجاج قيل معناه يا محمد • وقيل يا رجل •

وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية رضي الله عنهما يس يا محمد وعن كعب الاحبار
يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن
المرسلين ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين فان قرر انه من
اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد
فيه القسم عطف القسم الاخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر
بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته اقسم تعالى باسمه وكتابه انه
من المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه
بالرسالة في كتابه الا له عليه الصلوة والسلام وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تاويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه الصلوة والسلام انا
سيد ولد ادم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل
لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة
اي اقسم به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي نحلف لك بهذا البلد
الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول
اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد ونحوه قول
ابن عطا في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله تعالى بمقامه
فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من
قال اراد ادم فهو عام ومن قال هو ابرهيم وما ولد فهي ان شاء الله اشارة
الى محمد صلى الله عليه وسلم فتتضمن السورة القسم به في موضعين وقال
تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف

اقسام

أقسام أقسم الله بها وعنه وعن غيره فيما غير ذلك وقال سهل بن عبد الله
التستري رحمه الله الألف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد
عليهما الصلوة والسلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه إلى
سهل وجعل معناه الله أنزل جبريل على محمد صلى الله عليهما وسلم بهذا
القرآن الذي لا ريب فيه وعلى الوجه الأول يحتمل القسم أن هذا الكتاب
حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال
ابن عطا في قوله تعالى ق والقرآن المجيد أقسم بقوة قلب حبيبه صلى الله
عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله
وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله وقيل جبل محيط بالأرض
وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم إذا هوى إنه محمد
عليه الصلوة والسلام وقال النجم قلب محمد هوى انشرح من الأنوار
وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطا في قوله تعالى والفجر وليال عشر
الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لأن منه تفجر الإيمان الفصل الخامس
في قسمه تعالى جده له بتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى
والليل إذا سجى السورة اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك
النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك
بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال
القاضي الفقيه وفقه الله تعالى تضمنت هذه السورة من كرامة الله له
وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه الأول القسم له عما أخبره به
من حاله بقوله والضحى والليل إذا سجى أي ورب الضحى وهذا من أعظم
درجات المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله تعالى

ما ودعك ربك وما قلى. أي ما تركك وما أبغضك. وقيل ما أهملك بعد أن
اصطفاك الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الأولى قال ابن إسحاق
ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل
أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا
الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى. وهذه آية جامعة لوجوه
الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة قال
ابن إسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة. وقيل يعطيه الحوض
والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس آية في
القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل أحد من
أمته النار الخامس ما عدّه تعالى من نعمه وقرره من آلائه قبله في بقية عليه صح
السورة من هدايته إلى ما هداه له أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير
ولا مال له فأغناه بما آتاه أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى ويتيما
فحدب عليه عمه وآواه إليه. وقيل آواه إلى الله. وقيل يتيما لا مثال لك
فآواك إليه. وقيل المعنى ألم يجدك فهدى بك ضالا وأغنى بك عائلا وآوى
بك يتيما ذكّره بهذه المنن وأنه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره
وعيلته ويتمه وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه
واصطفائه السادس أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
وإشادة ذكره بقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث فإن من شكر النعمة الحديث
بها وهذا خاص له عام لأمته صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والنجم إذا هوى
إلى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى. اختلف المفسرون في قوله والنجم
بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد

انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد عليه السلام • وقد قيل في قوله تعالى
والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد
صلى الله عليه وسلم **حكاه** السلمي تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه العد ما
يقف دونه العد • اقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه
فيما تلى • وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله عز وجل جبريل عليه السلام وهو
الشديد القوى • ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة
المنتهى • وتصديق بصره فيما راى وانه راى من ايات ربه الكبرى • وقد نبه على
مثل هذا تعالى في اول سورة الاسراء • ولما كان ما كاشفه عليه الصلوة والسلام
من ذلك الجبروت • وشاهده من عجائب الملكوت • لا تحيط بها العبارات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول • رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة
على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى • وهذا النوع من الكلام يسميه
اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز • وقال
لقد راى من ايات ربه الكبرى • انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت
الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى **قال القاضي** ابو الفضل واشتملت هذه
الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه الصلوة والسلام وعصمتها
من الافات في هذا المسرى فزكى فواده ولسانه وجوارحه وزكى قلبه بقوله
تعالى ما كذب الفواد ما راى • ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى • وبصره
بقوله ما زاغ البصر وما طغى • وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله
وما هو بقول شيطان رجيم • لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم • اي كريم
عند مرسله • ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي • مكين اي متمكن المنزلة من ربه
رفيع المحل عنده • مطاع ثم اي في السماء امين على الوحي **قال** علي بن عيسى

وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الأوصاف بعد على هذا
له وقال غيره هو جبريل فترجع الأوصاف إليه • ولقد رآه يعني محمدا قيل
رأى ربه • وقيل رأى جبريل في صورته • وما هو على الغيب بضنين • أي بمتهم
ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وعلمه وهذه
لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن والقلم الآيات أقسم تعالى بما أقسم
به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم
له وآنسه وبسط أمله بقوله محسنا خطابه ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهذه
نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة ثم أعلمه بما له عنده
من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه فقال وإن لك
لأجرا غير ممنون • ثم أثنى عليه بما منحه من هباته وهداه إليه وأكد ذلك
تتميما للتمجيد بحرفي التأكيد فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم • قيل القرآن وقيل
الإسلام • وقيل الطبع الكريم • وقيل ليس لك همة إلا الله قال الواسطي أثنى عليه
بحسن قبوله لما أسداه إليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك
الخلق • فسبحان اللطيف الكريم • المحسن الجواد الحميد • الذي يسر للخير وهدى إليه
ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله • وأوسع أفضاله • ثم سلاه
عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر بعقابهم
ويبصرون الثلاث الآيات • ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء
خلقه وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين إلى قوله
أساطير الأولين • ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله
سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له أتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه

ع

ابلغ من رده وأثبت في ديوان مجده **الفصل السادس فيما ورد**
من قوله تعالى في جهته عليه الصلوة والسلام مورد الشفقة والإكرام.
قال الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. قيل طه اسم من
أسمائه عليه السلام. وقيل هو اسم لله عز وجل. وقيل معناه يا رجل.
وقيل يا إنسان. وقيل هي حروف مقطعة لمعان. **قال** الواسطي أراد يا طاهر
يا هادي. وقيل هو أمر من الوطء والهاء كناية عن الأرض أي اعتمد على الأرض
بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما
أنزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه
من السهر والتعب وقيام الليل **أخبرنا** القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن وغير واحد عن القاضي أبي الوليد الباجي إجازة ومن أصله نقلت.
قال حدثنا أبو ذر الحافظ. قال حدثنا أبو محمد الحموي. أخبرنا إبراهيم بن خزيم بالزاى
الشاشي. قال حدثنا عبد بن حميد. حدثنا هاشم بن القاسم عن أبي جعفر عن
الربيع بن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى
فأنزل الله تعالى طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ولا
خفاء بما في هذا كله من الإكرام وحسن المعاملة وإن جعلنا طه من أسمائه
عليه الصلوة والسلام كما قيل أو جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا
من نمط الشفقة والمبرة. قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم
يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي قاتل نفسك لذلك غضبا أو غيظا أو جزعا ومثله
قوله تعالى أيضا لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ثم قال إن نشأ ننزل
عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين. ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إلى قوله ولقد نعلم أنك يضيق صدرك

مما يقولون إلى آخر السورة • وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك
الآية قال مكي سلاه تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين
وأعلمه أن من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية
قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك • ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الآية • عزاه الله تعالى بما أخبر به
عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره
بقوله تعالى فتول عنهم • أي أعرض عنهم • فما أنت بملوم • أي في أداء ما بلغت وإبلاغ
ما حملت • ومثله قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا • أي اصبر
على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك • سلاه الله تعالى بهذا في آي كثيرة
من هذا المعنى **الفصل السابع فيما أخبر الله تعالى به •**
في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته
قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية
قال المفسرون أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا
صلى الله عليه وسلم ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به وقيل
أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله تعالى ثم
جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال
علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ
عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه

ويأخذ

وبأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في أي نعمة
فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا
إلى نوح إلى قوله شهيدا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال
في كلام بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد
بلغ من فضيلتك عند الله تعالى أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم
فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله
لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك
وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم
في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره صلى الله عليهم
أجمعين قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه الصلوة والسلام
لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم • المعنى أخذ الله عليهم الميثاق إذ
أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الآية قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله
عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت
على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة أو كرامة إلا وقد
أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله تعالى
خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى
يا أيها النبي يا أيها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن
من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة محمد

لأن زجرهم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي. وقيل المراد
نوح عليه السلام. الفصل الثاني في إعلام الله تعالى خلقه
بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه. قال الله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. وهذا
مثل قوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الآية. وقوله تعالى ولولا رجال مؤمنون الآية.
فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد
الحرام. وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرأته العذاب عن
أهل مكة بسبب كونه ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة
منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم. وفي الآية أيضا تأويل آخر. حدثنا
القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه. حدثنا أبو الفضل بن خيرون.
وأبو الحسين الصيرفي. حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة. حدثنا أبو علي السنجي. حدثنا
محمد بن محبوب المروزي. حدثنا أبو عيسى الحافظ. حدثنا سفيان بن وكيع. حدثنا
ابن نمير. عن إسمعيل بن إبرهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى
عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان
الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت
تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
قال عليه الصلوة والسلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف
والفتن. قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما
عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن

15

وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية • أي ان الله تعالى
فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلوته عليه ثم صلوة ملائكته وأمر
عباده بالصلوة والتسليم عليه والصلوة من الملائكة ومنا له دعاء ومن (استغفار)
الله رحمة • وقيل يصلون يباركون • وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم
حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة • وسنذكر حكم
الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان
الكاف من كاف اي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى أليس الله بكاف عبده • والهاء هدايته له قال الله ويهديك
صراطا مستقيما • والياء تأييده قال الله هو الذي أيدك بنصره • والعين
عصمته قال الله تعالى والله يعصمك من الناس • والصاد صلاته
عليه قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال
تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الآية • مولاه اي وليه وصالح
المؤمنين قيل الأنبياء • وقيل الملائكة • وقيل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما •
وقيل علي رضي الله عنه • وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته

قال الله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق أيديهم • تضمنت هذه الآيات من فضله
والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف
عن الانتهاء اليه • فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين
بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير
مؤاخذ بما كان وما يكون • وقال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده

وقد حكى ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تأول قوله عليه الصلوة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا اي في صلاة الله تعالى وملائكته عليه وامره الامة بذلك الى يوم القيامة

لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل • ثم قال ويتم نعمته عليك
قيل بخضوع من تكبر عليك • وقيل بفتح مكة والطائف • وقيل برفع ذكرك
في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري
عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط
المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته
المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما
لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك
عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم •
ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية • فعدد محاسنه
وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم
وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب • وقيل بالمغفرة
ومنذرا عدوه بالعذاب • وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم
به من سبقت له من الله الحسنى • ويعزروه أي يجلونه • وقيل ينصرونه •
وقيل يبالغون في تعظيمه • ويوقروه أي يعظموه وقرأ بعضهم ويعززوه
بزايين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال وتسبحوه فهذا راجع إلى الله عز وجل قال ابن عطاء جمع للنبي
صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من
أعلام الإجابة • والمغفرة وهي من أعلام المحبة • وتمام النعمة وهي من
أعلام الاختصاص • والهداية وهي من أعلام الولاية • فالمغفرة تبرئة من
العيوب • وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة • والهداية وهي الدعوة
إلى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه

وأقسم

وأقسم بحياته ونسخ به شرايع غيره وعرج به الى المحل الأعلى وحفظه
في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى • وبعثه الى الأسود والأحمر وأحل
له ولأمته الغنايم • وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم • وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد • ثم قال
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله • يعني بيعة الرضوان • اي انما
يبايعون الله ببيعتهم اياك • يد الله فوق ايديهم • يريد عند البيعة
قيل قوة الله • وقيل ثوابه • وقيل منته • وقيل عقده • وهذه استعارة
وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع
صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن
الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في
باب المجاز وهذا من باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله
وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة
البشر توصل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه
وكذلك قتل الملايكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى
انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما
رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل
والرامي بالمعنى وانت بالاسم **الفصل العاشر فيما اظهره**
في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل • من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة
الإسراء في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم

منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب • ومن ذلك عصمته من
الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس • وقوله تعالى وإذ يمكر بك
الذين كفروا الآية • وقوله تعالى إلا تنصروه فقد نصره الله الآية • وما
دفع الله به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم
نجيا في أمره والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه
في الغار وما ظهر لهم في ذلك من الآيات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة
ابن مالك حسب ما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث
الهجرة • ومنه قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك
هو الأبتر • أعلمه الله تعالى بما أعطاه • والكوثر حوضه • وقيل نهر في
الجنة • وقيل الخير الكثير • وقيل الشفاعة • وقيل المعجزات الكثيرة • وقيل
النبوة • وقيل المعرفة • ثم أجاب تعالى عنه عدوه ورد عليه قوله تعالى إن
شانئك هو الأبتر • أي عدوك ومبغضك • والأبتر الحقير الذليل • أو
المفرد الوحيد • أو الذي لا خير فيه • وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم • قيل السبع المثاني السور الطوال الأول
والقرآن العظيم أم القرآن • وقيل السبع المثاني أم القرآن • والقرآن
العظيم سائره • وقيل السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي • وبشرى
وإنذار • وضرب مثل وإعداد نعم • وآتيناك نبأ القرآن العظيم • وقيل
سميت أم القرآن مثاني لأنها تثنى في كل ركعة • وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الأنبياء • وسمى القرآن مثاني
لأن القصص تثنى فيه • وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات
الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة •

وقال

وقال وأنزلنا اليك الذكر الاية • وقال وما ارسلناك الا كافة للناس
الاية • وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية • قال فهذه
من خصائصه • وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة
كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود • وقال تعالى النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم • قال اهل التفسير اولى
بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضي
حكم السيد على عبده • وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه
امهاتهم • اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة
له وخصوصية ولانهن له ازواج في الاخرة • وقد قرئ وهو اب لهم
ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف • وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة الاية • قيل فضله العظيم بالنبوة • وقيل بما سبق له في الازل
واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى
صلى الله عليهما وسلم

الباب الثاني في تكميل الله تعالى
له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه
نسقا

اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره
العظيم • ان خصال الجمال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي
اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا • ومكتسب ديني وهو ما يحمد
فاعله ويقرب الى الله زلفى • ثم هي على فنين ايضا منها ما يتخلص لاحد
الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس
للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته • من كمال خلقته •

وجمال صورته وقوة عقله وفهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه

واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به

ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه

وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها

التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة

وقوانين الشريعة من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل

والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروة

والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها

وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة

واصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه

لا بد ان تكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء

الله تعالى وتكون هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار

الاخرة ولكنها كلها فضائل ومحاسن باتفاق اصحاب العقول السليمة

وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها **فصل** اذا كانت خصال

الكمال والجمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها

او اثنتين ان اتفقت له في كل عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم

او حلم او شجاعة او سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الامثال

ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال

رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما لا ياخذه

عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير المتعال

من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية

والقرب

18

١٦

والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة
بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة
والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة
للعالمين وإعطاء الرضى والسؤال والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة
النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله تعالى وصلوة الله
والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال عنهم والقسم
باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجماد والعجم وإحياء الموتى وإسماع
الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس
وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح
الحصى وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعده الله له في الدار
الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى
والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم **فصل**
إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس
قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا **فاعلم** نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم
صلى الله عليه وسلم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير

والأمانة والسؤال

مكتسبة • وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها
دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع • اما
الصورة وجمالها • وتناسب اعضايه في حسنها • فقد جات الاثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي • وانس بن مالك • وابي هريرة •
والبرا بن عازب • وعايشة ام المومنين • وابن ابي هالة • وابي جحيفة • وجابر
ابن سمرة • وام معبد • وابن عباس • ومعرض بن معيقيب • وابي الطفيل •
والعدا بن خالد • وخريم بن فاتك • وحكيم بن حزام • وغيرهم رضي الله
عنهم اجمعين • من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون • ادعج • انجل •
اشكل • اهدب الاشفار • ابلج • ازج • اقنى • افلج • مدور الوجه • واسع الجبين •
كث اللحية • تملا صدره • سوا البطن والصدر • واسع الصدر • عظيم
المنكبين • ضخم العظام • عبل العضدين والذراعين والاسافل • رحب
الكفين والقدمين • سايل الاطراف • انور المتجرد • دقيق المسربة • ربعة
القد • ليس بالطويل البائن • ولا بالقصير المتردد • ومع ذلك فلم يكن
يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله • صلى الله عليه وسلم • رجل الشعر •
اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق • وعن مثل حب الغمام • اذا تكلم
رؤي كالنور يخرج من ثناياه • احسن الناس عنقا • ليس بمطهم • ولا
مكلثم • متماسك البدن • ضرب اللحم • قال البرا ما رايت من ذي لمة
في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة
ما رايت شيا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري
في وجهه • واذا ضحك يتلالا في الجدر • وقال جابر بن سمرة وقال له
رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس

والقمر

والقمر. وكان مستديرا وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به. أجمل
الناس من بعيد. وأحلاه وأحسنه من قريب وفي حديث ابن أبي هالة
يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه
له من رآه بديهة هابه. ومن خالطه معرفة أحبه. يقول ناعته لم أر
قبله ولا بعده مثله. والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها. وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد إلى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف
عليه هناك إن شاء الله تعالى **فصل** وأما نظافة جسمه. وطيب
ريحه وعرقه. ونزاهته عن الأقذار. وعورات الجسد. فكان قد خصه
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بخصائص. لم توجد في غيره ثم تممها
بنظافة الشرع. وخصال الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة.
حدثنا سفين بن العاص وغير واحد. قالوا حدثنا أحمد بن عمر. حدثنا
أبو العباس الرازي. حدثنا أبو أحمد الجلودي. حدثنا ابن سفين. حدثنا
مسلم. حدثنا قتيبة. حدثنا جعفر بن سليمن. عن ثابت. عن أنس رضي الله
عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم
مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار
قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها. يصافح المصافح فيظل يومه يجد
ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها. ونام رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب

وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه وروى الحربي
عن جابر أردفني النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان
ينم علي مسكا وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب
صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله عليه
وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله
وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم • وهذا الخبر وإن لم
يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه
وسلم • وهو قول بعض أصحاب الشافعي رضي الله عنه وقد حكى القولين
عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية • وشاهد هذا
أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث
علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون
من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة
لم نجد مثلها قط ومثله قال أبو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله
عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه
إياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله
شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلوة والسلام ويل
لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه • وقد روي نحو من هذا عنه
في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم
بغسل فم ولا نهاه عن عوده • وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم

حكاه الإمام أبو نصر بن الصباغ في شامله

الدارقطني

الدارقطني مثلهما والبخاري اخراجه في الصحيحين • واسم هذه المرأة بركة
واختلف في نسبها • وقيل هي ام ايمن • وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم •
قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت
سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال
بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها
ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا
مقطوع السرة وروي عن امه امنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر
وعن عايشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري
فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى
ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان محفوظا صلى الله عليه وسلم ~~فصل~~ (صوت النائم ونخيره)
واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته
وحسن شمائله فلا مرية انه كان صلى الله عليه وسلم اعقل الناس واذكاهم
ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع
عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم
سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب
فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقرير لتحقيقه • وقد قال وهب بن
منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا • وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله

عليه وسلم إلا لحيته رجل من بين رجال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا قام في الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه • وبه فسر قوله تعالى
وتقلبك في الساجدين وفي الموطأ عنه عليه السلام إني لأراكم من وراء ظهري
ونحوه عن أنس رضي الله عنه في الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت
زيادة زاده الله إياها في حجته وفي بعض الروايات إني لأنظر من ورائي كما
أنظر إلى ما بين يدي وفي أخرى إني لأبصر من قفاي كما أبصر من بين يدي وحكى
بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة
كما يرى في الضوء والأخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة
والشياطين • ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده صلى الله عليه وسلم • وقد حكي عنه أنه كان يرى في
الثريا أحد عشر نجما • وهذه كلها محمولة على رؤية العين • وهو قول أحمد بن حنبل
وغيره • وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم والظواهر تخالفه ولا إحالة في
ذلك وهي من خواص الأنبياء وخصالهم كما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل
من كتابه • حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني • حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر
عن أبيها • حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني • حدثنا محمد بن محمد
ابن سعيد • حدثنا محمد بن أحمد بن سليمن • حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق • حدثنا
همام • حدثنا الحسن • عن قتادة عن يحيى بن وثاب • عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم • قال لما تجلى الله عز وجل لموسى صلى الله
عليه وسلم كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة
فراسخ ولا يبعد على هذا أن يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه
من هذا الباب بعد الإسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى •

وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى
الاسلام وصارع ابا ركانة فى الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات
كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت
احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشيه كانما الارض
تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفى صفته صلى الله عليه
وسلم ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى
مشى تقلعا كانما ينحط من صبب **فصل** واما فصاحة اللسان
وبلاغة القول فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل سلاسة طبع مع
وبراعة منزع وايجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول
وصحة معان وقلة تكلف اوتى جوامع الكلم وخص ببدايع الحكم
وعلم السنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها
ويباريها فى منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه فى غير
موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسيره علم ذلك
وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه
مع ذى المشعار الهمدانى وطهفة النهدى وقطن بن حارثة العليمى
والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندى وغيرهم من اقيال حضرموت
وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها
تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق
والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش
الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله لنهد اللهم بارك لهم فى محضها ومذقها

وابعث راعيها في الدثو وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة
كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم
يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة
ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض
والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا
يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق
من اقر فله الوفا بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة
ومن كتابه لوايل بن حجر الكندي الى الاقيال العباهلة
والارواع المشابيب وفيه التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك
وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة
واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في
الدين ولا غمة في فرايض الله وكل مسكر حرام ووايل بن حجر يترفل على
الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هولاء
على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ
استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في
حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال
فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت
في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله صلى الله عليه وسلم
المسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم
وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير

في صحبة

في صحبة من لا يرى لك ما ترى له • والناس معادن • وما هلك امرؤ عرف
قدره • والمستشار مؤتمن • وهو بالخيار ما لم يتكلم • ورحم الله عبدًا قال
خيرًا فغنم او سكت فسلم • وقوله صلى الله عليه وسلم أسلم تسلم وأسلم يؤتك
الله أجرك مرتين • وإن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيمة مجلسا
أحاسنكم أخلاقًا • الموطؤون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون • وقوله
صلى الله عليه وسلم لعله كان يتكلم بما لا يعنيه • ويبخل بما لا يغنيه • وقوله عليه
السلام ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا • ونهيه عن قيل وقال • وكثرة
السؤال • وإضاعة المال • ومنع وهات • وعقوق الأمهات • ووأد البنات •
وقوله عليه الصلوة والسلام اتق الله حيث ما كنت • واتبع السيئة الحسنة تمحها •
وخالق الناس بخلق حسن • وخير الأمور أوساطها • وقوله صلى الله عليه وسلم
أحبب حبيبك هونًا ما • عسى أن يكون بغيضك يومًا ما • وقوله عليه السلام
الظلم ظلمات يوم القيمة • وقوله عليه السلام في بعض دعائه • اللهم إني
أسألك رحمة تهدي بها قلبي • وتجمع بها أمري • وتلم بها شعثي • وتصلح بها
غائبي • وترفع بها شاهدي • وتزكي بها عملي • وتلهمني بها رشدي • وترد بها
ألفتي • وتعصمني بها من كل سوء • اللهم إني أسألك الفوز في القضاء • ونزل الشهداء •
وعيش السعداء • والنصر على الأعداء • الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل
من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره • وحاز فيها سبقًا لا يقدر قدره • وقد جمعت مرتبة
من كلماته التي لا يسبق اليها • ولا يقدر احد أن يفرغ في قالبه عليها • كقوله صلى الله
عليه وسلم حمي الوطيس • ومات حتف أنفه • ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين •
والسعيد من وعظ بغيره • في أخواتها ما يدرك الناظر العجب في مضمنها

وتذهب به الفكر في اداء حكمها . وقد قال له اصحابه صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهم اجمعين ما رأينا الذي هو افصح منك فقال صلى الله عليه وسلم وما
يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين . وقال مرة اخرى بيد
اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة
عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها
الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري .
وقالت ام معبد في وصفها له صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر
ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن . وكان عليه السلام جهير الصوت
حسن النغمة صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم بلده
ومنشاه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه
فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها وافضل العرب واعزهم
واشرفهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى
عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله حدثنا القاضي
ابو الوليد سليمن بن خلف حدثنا ابو ذر عبد بن احمد حدثنا ابو محمد السرخسي
وابو اسحق وابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير
قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس
رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من
خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت
فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع

قوله نخبة بضم النون ثم خاء معجمة مفتوحة وساكنة ثم باء وجمعها نخب مثل رطبة ورطب بمعنى الخيار والنخب اصحابه اي خيارهم صحاح ومن القاموس المختار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابرهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم • قال الترمذي وهذا حديث
صحيح وفي حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار
منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا فاختار منهم بني هاشم
ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم فلم ازل خيارا من خيار الا من احب
العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان قريشا كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم
بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملئكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى
ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى
الارض في صلب ادم وجعلني في صلب نوح وقذف بي في صلب ابرهيم ثم
لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجني
بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط • ويشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس
رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور • فصل واما ما
تدعو ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه • فعلى ثلثة ضروب ضرب الفضل
في قلته • وضرب الفضل في كثرته • وضرب تختلف الاحوال فيه • فاما ما
التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم
لم تزل العرب والحكما تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل
والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار
الدنيا والاخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته

عز وجل

ثم اختار قريشا م

دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر
وحدة الذهن كما ان النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب
وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل
متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها
وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه
اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يندفع من سيرته وهو الذي
امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني حدثنا ابو نعيم الحافظ
حدثنا سليمن بن احمد حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية
ابن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن
صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان
كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال سفين الثوري بقلة الطعام يملك
سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف
اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل
وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة
وقوله صلى الله عليه وسلم الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله لظنه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اعتقادهم أنه لا يحل له فأراد بيان سنته إذ رآهم
لم يعقدوه إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون عليه فصدق عليهم ظنه وبين
هم ما جهلوه من أمره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة
لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت
الأعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي
صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن
للأكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد
فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر
منه والنبي صلى الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا
ويقول صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد
وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله
عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال
إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا
على قلة النوم لأنه على جانبه الأيسر أهنأ لهدو القلب وما يتعلق به من
الأعضاء الباطنة حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال
فيه والطول وإذا نام النائم على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة
ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره كالنكاح والجاه أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال
وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة
ماضية وأما في الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما
أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه الصلوة والسلام تناكحوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما
فيه من قمع الشهوة وغض البصر التي نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله
من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره
العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله التستري قد حببن الى
سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد
الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في ذلك عن
علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عز وجل
عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن
زكريا عليهما السلام قد اثنى الله تعالى عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله
عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء
فلو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى بانه حصور ليس كما
قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل انكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء قالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالانبياء وانما معناه
انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا
نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا
ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم
قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى عليه
السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا
ثم هي في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن
ربه درجة عليا وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن
عن عبادة ربه عز وجل بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن

اللذين

هذا

والاكتساب

واكثاره لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو
وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فقد اراد ان حبه
لما ذكر من النساء والطيب التي هي من امور دنيا غيره واشتغاله بهما لذلك ليس لدنياه
بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملئكة في الطيب ولانه
ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه صلى الله عليه
وسلم لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بين الحالين فقال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى
يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان
صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا اتيح له
من عدد الحرائر ما لم يتح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة •
قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة ثلثين اخرجه البخاري وعن طاوس
اعطي عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع • ومثله عن صفوان بن سليم
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر
من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب وروي نحوه
عن ابي رافع • وقد قال سليمن عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك • وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمن
ماية رجل وكانت له ثلثماية امرأة وثلثماية سرية وحكى النقاش وغيره
سبعماية امرأة وثلثماية سرية • وقد كان لداود عليه السلام على زهده
واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوجة اوريا ماية • وقد نبه

اللذين هما

رجلا

[illegible]

على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة
وفي حديث أنس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش • وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر
جاهه عظمته في القلوب • وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها
في الدنيا والآخرة لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك
ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في
الأرض • وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه
ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا
حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق
لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود أن رجلا قام بين يديه
فأرعد فقال هون عليك فإني لست بملك الحديث فأما عظيم قدره بالنبوة •
وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فأمر هو مبلغ النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل
نظمنا هذا القسم بأسره فصل وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى حاجاته
وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه
مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه

عند

عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند كل ذي حالٍ ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثيره كالعدم وكان
منقصة في صاحبه ولم يقف به على حد السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة
البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله ليست
لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه
مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا متمدح
عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما بيده
من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه
ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في
يده شيء من المال فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده
قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لاحد
قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها
وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما
استأثر بشيء منه ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره
وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار
الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها
لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده

يلبس الثياب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة في الملابس والتزين
بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة
الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي
إلى الشهرة في الطرفين. وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند
الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك الأرض وجبي
إليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك
للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه — ومعرقا
عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها **فصل** وأما الخصال المكتسبة — قال الفقيه الناصحي
من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها
وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على جميعها
وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة
وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها
دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم
على الانتهاء في كمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال
وإنك لعلى خلق عظيم. قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم
القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه. وقال عليه السلام بعثت لأتمم
مكارم الأخلاق. وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس
خلقا وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون
مجبولا عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة

الأبحود اهي وخصوصيته زيانيته وهكذا سائر الانبيا ومن طالع سيرهم
منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى
وسليمن وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا
العلم والحكمة في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون
اعطى يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى
مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه
كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم
اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام
عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على قراه من قرا من تحتها
وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما وعلما
وقد ذكر من حكم سليمن وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة
الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي
الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته
وهو طفل قال المفسرون في قوله تعالى ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل
اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابداء
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابرهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله ان
يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده
وقيل ان القا ابرهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة
وان ابتلا اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلال ابرهيم بالكوكب

صلوات الله عليهم

ما اللعب خلقت

تعالى

كان

والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا • وقيل اوحي الى يوسف وهو
صبي عند ما همّ اخوته بالقائه في الجب بقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم الاية الى غير ذلك من اخبارهم • وقد حكى اهل السير ان امنة بنت
وهب اخبرت ان نبينا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض
رافعا راسه الى السما • وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت
الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشي مما كانت الجاهلية تفعله الا
مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم
وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفا الله
لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة
قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع
على هذه الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية
من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت او الشهامة
او صدق اللسان او السماحة كما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل
ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف
هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد
اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او مكتسبة • وحكى الطبري عن بعض
السلف ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود
والحسن رضي الله عنهما وبه قال وهو الصواب ما اصلناه • وقد روى
سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة
والكذب • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن
غرائز يضعها الله حيث يشا وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة

من اخبار غيرهم والتفسير

بعض

هذه

الشريفة

ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم
بها ان شا الله تعالى **فصل** اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة
دائرتها فالعقل الذي ينبعث منه العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب
الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتنا الفضائل وتجنب
الرذائل • وقد اشرنا الى مكانه منه عليه الصلوة والسلام وبلوغه منه
ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما
تفرع منه محقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه
وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التورية والانجيل
والكتب المنزلة وحكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال
وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة
كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في
معجزاته ان شا الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم
ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي صلى الله عليه وسلم لم يعرف بشي من ذلك حتى
شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله
ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد
القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب
عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم
ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظائم ملكوته • قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم الاية حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن

[illegible]

[illegible]

متحققة

وعظيم

دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فصل واما الحلم والاحتمال
والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الالقاب فرق فان
الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات • والاحتمال حبس النفس
عند الالام والمؤذيات • ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة • واما العفو
فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال
تعالى خذ العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الاية سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم جل وعلا
ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله تعالى يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك • وقال الله تعالى له واصبر على ما اصابك الاية • وقال تعالى
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية • وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الاية
وقال تعالى ولمن صبر وغفر الاية • ولا خفا بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل
حليم قد عرفت منه زلة وحفظت منه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد
مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب • حدثنا ابو بكر بن واقد القاضي واقد بالقاف
وغيره • حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله • حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن
ابن شهاب عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك
على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت
داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال

بابي

في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها هلكنا من عند آخرنا فلقد
وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
ورضي عنه انظر ما في هذا القول من جامع الفضل ودرجات الإحسان وحسن جماع
الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت
عنهم حتى عفا ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر أو اهد اللهم
ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله صلى الله عليه وسلم لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون • ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة
ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه
وذكرها بما قال له فقال له ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت
إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله • ولما تصدى له غورث بن
الحرث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة
وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط
السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال
كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس • ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته
في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية • وأنه لم يؤاخذ لبيد
ابن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب
عليه فضلا عن معاقبته • وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه

من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا لكن قال لمن أشار
بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمدا صلى الله عليه وسلم يقتل أصحابه وعن
أنس رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ
الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد
في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك
يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لا تكافي بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى
الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب
بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة
وجيء إليه برجل فقيل هذا أراد أن يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع
لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي • وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم
يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي
صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى
غير هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال
لقد بقي من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سبب إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد
عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده

شدة

بشدة الجهل الا حلما فاختبره بهذا فوجده كما وصف. والحديث عن حلمه
صلى الله عليه وسلم وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك
ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين
من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة
معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصال
شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون اني
فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم الاية. اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس بن مالك رضي الله
عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو
الذي كف ايديهم عنكم الاية وقال لابي سفين وقد سيق اليه بعد ان
جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه صلى الله عليه
وسلم ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفين الم يان لك ان تعلم ان لا اله
الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان صلى الله
عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل
واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة. والسماحة التجافي عما يستحقه المرء
عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة. والسخا سهولة الانفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير. وكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى
في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي

أظهره

الشهيد أبو علي الصدفي رحمه الله • حدثنا القاضي أبو الوليد الباجي • حدثنا
أبو ذر الهروي • حدثنا أبو الهيثم الكشميهني • وأبو محمد السرخسي • وأبو إسحق
البلخي • قالوا أخبرنا أبو عبد الله الفربري • حدثنا البخاري • حدثنا ابن كثير •
حدثنا سفين عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا فقال لا • وعن أنس وسهل بن سعد مثله • وقال ابن عباس كان
النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان
وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة • وعن
أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده وقال أسلموا
فإن محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى فاقة • وأعطى غير واحد
مائة من الإبل • وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة • وهذه كانت حاله صلى الله
عليه وسلم قبل أن يبعث • وقد قال له ورقة بن نوفل إنك تحمل الكل وتكسب
المعدوم • ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف • وأعطى العباس من الذهب
ما لم يطق حمله • وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها
يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها • وجاءه رجل فسأله فقال صلى الله عليه وسلم
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال عمر ما كلفك الله
ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار
يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالا • فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه • وقال بهذا أمرت •
ذكره الترمذي • وذكر عن معوذ بن عفراء أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
بقناع من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا
وذهبا • قال أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد •

عن شيء

خلقه

ذهبا

فقسمها

المشهور بهذه القصة الربيع بنت معوذ لا أبوها

وكان

والخير بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابي هريرة رضي الله عنه اتى
رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه
وسلم نصف وسق فجا الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضا ونصفه
نايل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها للموت حيث يحمد فعلها دون
خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف
الصعبة وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا
يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو علي الجياني فيما كتب لي قال حدثنا القاضي
سراج حدثنا ابو محمد الأصيلي حدثنا ابو زيد الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا ابن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحق سمع
البراء وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان
آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره
انا ابن عبد المطلب قيل فما رؤي يومئذ احد اشد منه وقال غيره نزل
النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس رضي الله عنه قال
فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله
عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع
وابو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شي وقال
ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اذا
اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون
احد اقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ بأسا. وقيل
كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنى العدو لقربه
منه وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس
واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس
قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى
الصوت واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول
لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان اول
من يضرب. ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول اين محمد لا نجوت
ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي
فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي
صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل
بل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس
بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو
بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة **فصل** واما الحياء والاغضاء

فالحيا

فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه
خيرا من فعله والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته وكان النبي
صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله تعالى
إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية حدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه
الله بقراءتي عليه حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن القابسي
حدثنا أبو زيد المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن إسمعيل حدثنا
عبدان حدثنا عبد الله أخبرنا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد
حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله
عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس
وعن عائشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون
كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى أنس رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل
به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا بما يكره فلما خرج قال
صلى الله عليه وسلم لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله عنها
في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالأسواق
ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التورية
من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه أنه كان من حيائه
صلى الله عليه وسلم لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام
إليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم قط

فصل وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم

مع اصناف الخلق بحيث تشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه
في وصفه صلى الله عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة
والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي فيما
اجازنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى
قالا حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه
بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت
فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اخرى اركب
امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا
ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير
ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه
نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل
الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح صخاب
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي

احسن

أحسن إلا به. وكان يجيب صلى الله عليه وسلم من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا
ويكافي عليها وقال أنس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته
لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني
إلا تبسم. وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة العبد والحر والأمة والمسكين ويعود المرضى
في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال أنس رضي الله عنه ما التقم
أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي   خ التي
ينحي رأسه. وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما   خ الأخذ
ركبتيه بين يدي جليس له. وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة.
ولم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد يكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس
عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم. ولا يقطع
على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام.
وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف
صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته. وكان أكثر الناس تبسما
وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله بن الحرث
ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس رضي الله
عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة

بآنيتهم فيها الما فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك **فصل** واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق
فقد قال الله فيه صلى الله عليه وسلم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤوف رحيم. وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين. قال بعضهم من
فضله عليه السلام ان الله تعالى اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف
رحيم **وحكى** نحوه الامام ابو بكر بن فورك **حدثنا** الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد
الخشني بقراءتي عليه حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر الفارسي.
حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج. حدثنا
ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب اخبرنا يونس عن ابن شهاب. قال غزا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان
ابن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب **حدثنا** سعيد بن المسيب
ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لأبغض الخلق الي فما زال
يعطيني حتى انه لأحب الخلق الي **وروي** ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه
ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه
فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله فارسل اليه وزاده شيئا ثم قال اهل
احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم
ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد
او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم
انه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم
مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا

بذلك

نفس

تنفر فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم
فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد
عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار وروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من
أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته
صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهيته أشياء مخافة أن تفرض
عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل
وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهيته دخول الكعبة لئلا يعنت
أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي
فيتجوز في صلاته ۰ ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال
أيما رجل سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة
تقربه بها إليك يوم القيامة ۰ ولما كذبه قومه أتاه جبريل فقال له إن الله تعالى
قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال له مرني بما شئت إن شئت أن أطبق
عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه (خ: الى يوم القيامة)
السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر السماء والأرض والجبال
أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي فلعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة
رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما
وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة

تحملك نردده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل
وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم حدثنا
القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا
ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد بن النحاس اخبرنا ابن الاعرابي اخبرنا ابو داود
حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابرهيم بن طهمان عن بديل عن
عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي
صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها
في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى
لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس رضي الله عنه كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها
كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها
قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان
ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها
ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت
تأتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان
يصل ذوي رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم
ان آل ابي فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى
عليه السلام بامامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها
واذا قام حملها وعن ابي قتادة رضي الله عنه قال وفد وفد للنجاشي فقام
النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا
لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء

في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندي
مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال
ابو الطفيل رايت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امراة حتى دنت
منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته •
وعن عمرو بن السائب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه
فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه • وكان يبعث الى ثويبة
مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال صلى الله عليه وسلم من بقي
من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله
عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه صلى الله
عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته • فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا
وحسبك انه صلى الله عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان
يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له
انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد
ابن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة •
قال اخبرنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا
ابو داود حدثنا ابو بكر ابن ابي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس
عن ابي العدبس عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة رضي الله عنه قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصى فقمنا له فقال لا تقوموا كما

المراد بها الغنى المطغي [illegible] وتقرير [illegible] ومحصل الكلام [illegible]

ولده

مطلب

يقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً. وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس
كما يجلس العبد. وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود
المساكين. ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد. ويجلس بين أصحابه رضي الله عنهم
مختلطاً بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس. وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله. وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته
فقالت إن لي إليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت
أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها
حتى فرغت من حاجتها. قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه
إكاف. قال وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب. قال
وحج النبي صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم
فقال اللهم اجعله حجاً لا رياء ولا سمعة. هذا وقد فتحت عليه الأرض صلى الله
عليه وسلم وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة. ولما فتحت عليه مكة ودخلها
بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى.
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى. ولا تفضلوا
بين الأنبياء. ولا تخيروني على موسى. ونحن أحق بالشك من إبراهيم. ولو لبثت ما
لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي. وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك
إبراهيم. وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى. وعن
عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض
كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله

ويخدم

ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن
معها ويحمل بضاعته من السوق. وعن انس رضي الله عنه ان كانت لامة
من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث
شاءت حتى تقضي حاجتها. ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال
له هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن
ابي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم
يقبلها فجذب يده صلى الله عليه وسلم وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها
ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صلى الله
عليه وسلم صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله فصل واما عدله صلى الله عليه
وسلم وامانته وعفته وصدق لهجته. فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس
واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك
محادوه وعداه. وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين
بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة. وقال تعالى مطاع ثم امين. اكثر
المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم. ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء
الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم
داخل وذلك قبل نبوته صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا محمد هذا الامين قد
رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء
امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل
ابن خيرون حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد

ابن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ حدثنا ابو كريب حدثنا معوية
ابن هشام عن سفين عن ابى اسحق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه ان
ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به
فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك وروى لا يكذبونك وما انت فينا بمكذب
وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس
هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل
والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفين فقال
هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحرث
لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا
واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم
ساحر لا والله ما هو ساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امراة قط
لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه الصلوة والسلام اصدق
الناس لهجة وقال في الصحيح ويحك من يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت
ان لم اعدل قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين لا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه
ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء
جزأ لله تعالى وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس وكان
صلى الله عليه وسلم يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع

غيره

اسمعا خاطر بالخاطر والمعلم [illegible]

الابلاغ

الاّ غني فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق
احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني
وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة
لغلام كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهمّ بعد ذلك بسوء فصل
واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا
ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس الدلائي
حدثنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله لؤلؤ اخبرنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود
حدثنا عبد الرحمن بن سلام حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن
عمر بن عبد العزيز بن وهب قال سمعت خارجة بن زيد يقول كان النبي صلى الله
عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن
سمرة رضي الله عنه انه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان
صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل
وكان صلى الله عليه وسلم ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير

وأما أنه لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم • إذا تكلم أطرق جلساؤه

كأنما على رؤوسهم الطير • وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا

كأنما ينحط من صبب • وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيه

أنه غير غرض • ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه إن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن

عبد الله رضي الله عنهما كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو

ترسيل قال ابن أبي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع • على

الحلم والحذر • والتقدير • والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه • وكان صلى الله عليه

وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض عليهما ويقول

صلى الله عليه وسلم حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في

الصلوة ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب

والأمر بالأكل مما يلي • والأمر بالسواك وإنقاء البراجم • والرواجب • واستعمال

خصال الفطرة • فصل وأما زهده في الدنيا • فقد تقدم من الأخبار

أثناء هذه السيرة ما يكفي • وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها

وقد سيقت إليه صلى الله عليه وسلم بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن

توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو

يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفين بن العاصي والحسين بن محمد

الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس

الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودي حدثنا ابن سفين حدثنا أبو الحسين بن الحجاج

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة • حدثنا أبو معوية • عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود •

عن عائشة

عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة ايام
تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متوالين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وقالت عايشة رضي الله عنها
ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عايشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا
شطر شعير في رف لي وقال صلى الله عليه وسلم اني عرض علي ان يجعل لي
بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي
اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك وفي حديث اخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له ان
الله تعالى يقريك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيث ما كنت فاطرق صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له تجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء
وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة رضي الله عنها وابي امامة
وابن عباس رضي الله عنهم نحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء
وعن انس رضي الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان

نوفي

عيشنا

[illegible marginal notes]

ولا في سكرّجة ولا خُبِز له مرقّق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله عنها
إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها
قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مِسْحًا نثنيه ثنيتين فينام
عليه فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له
فقال ردّوه بحاله فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي وكان صلى الله عليه وسلم
ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله
عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى
أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا يلتوي طول
ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض
وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه
مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة
ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا
فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني
أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب
إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت فما أقام بعد إلا أشهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم فصل وأما خوفه ربه عز وجل وطاعته له وشدة عبادته فعلى
قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثناه أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه
قال حدثنا أبو القاسم الطرابلسي حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو زيد
المروزي حدثنا أبو عبد الله الفربري حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا يحيى بن
بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه
كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا

ولبكيتم

ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن أبي عيسى الترمذي رفعه إلى أبي ذر إني
أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع
أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات
تجأرون إلى الله لوددت أني شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت أني شجرة
تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح روي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتفخت قدماه روي روايته كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له
أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا
شكورا ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة
وأنس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته
مصليا ولا نائما إلا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح
البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ
ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك
وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه
وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي الله عنها
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل

قال ابن ابي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له
راحة وقال عليه الصلوة والسلام إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي
وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي
والرضى غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي
والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة
فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي فصل اعلم وفقنا الله
وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين من كمال
الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه
الصفة لأنها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم
صلوات الله وسلامه عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات
ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه
الصلوة والسلام إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر
ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله
ستون ذراعا في السماء وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى فإذا
ضرب رجل أقنى كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه أحمر كأنما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف
قال صلى الله عليه وسلم وأنا أشبه ولد إبراهيم به وقال في حديث آخر
في صفة موسى كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال وفي حديث أبي هريرة عنه

صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه ويروى في
ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث
قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها •
وقال تعالى في ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب •
وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا • وقال تعالى ان الله
يبشرك بيحيى الى الصالحين • وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا الايتين •
وقال في نوح انه كان عبدا شكورا • وقال تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح الايتين • وقال اني عبد الله اتاني الكتاب الايتين • وقال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية • وقال النبي صلى الله عليه وسلم كان
موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث • وقال تعالى
عنه فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين • وقال في وصف جماعة منهم
اني لكم رسول امين • وقال ان خير من استأجرت القوي الامين • وقال فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل • وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا
هدينا الى قوله فبهداهم اقتده • فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتباء والحكم والنبوة • وقال تعالى فبشرناه بغلام عليم وحليم • وقال تعالى
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى قوله امين • وقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين • وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد
الايتين • وفي موسى انه كان مخلصا • وفي سليمن نعم العبد انه اواب • وقال
واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب الى الاخيار • وفي داود انه اواب •

ثم قال وشددنا ملكه الآية • وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الأرض الآية
وفي موسى ستجدني إن شاء الله صابرا • وقال عن شعيب عليه السلام ستجدني
إن شاء الله من الصالحين • وقال وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه
إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت الآية • وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما
وقال إنهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية • وقال سفيان هو الحزن الدائم وفي آي
كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم • وجاء من ذلك
في الأحاديث كثير كقوله إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
ابن إسحق بن إبرهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي • وفي حديث أنس رضي الله عنه
وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وروي أن سليمان عليه السلام
كان مع ما أعطي من الملك لا يرفع بصره إلى السماء تخشعا وتواضعا لله تعالى
وكان يطعم الناس لذائذ الأطعمة ويأكل خبز الشعير • وأوحي إليه يا رأس العابدين
وابن محجة الزاهدين • وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح
فتقف فينظر في حاجتها ويمضي • وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وأنت
على خزائن الأرض فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائع وروى أبو هريرة عنه
عليه الصلوة والسلام خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوابه
فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج ولا يأكل إلا من عمل يده • قال الله تعالى وألنا
له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سأل ربه أن يرزقه عملا
بيده يغنيه عن بيت مال الله • وقال عليه السلام أحب الصلوة إلى الله صلوة
داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر
ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد

الخطيئة

لخطيئته ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها
وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا
وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعا
وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني
بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان
احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام لما ورد ماء
مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان
الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم
وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره
ان اعود لساني النطق بسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي
من خشية الله تعالى حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش
وياكل في نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا
لله تعالى بما اكرمه به من كلامه واخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم
في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول
بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا
فصل قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة
وخصال الكمال العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار
ما فيه مقنع والامر اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع
دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه
بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل

وعَنَّ من فيض ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن أبي هالة
لجمعه من شمائله وأوصافه كثيرا وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله
ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد
الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمس مائة قال حدثنا الإمام أبو القاسم
عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه أخبركم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
الحسن المحمدي ح والقاضي أبو يعلى الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا أبو
القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشي قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا سفيان بن
وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه قال حدثني رجل من
بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها يكنى أبا عبد الله
عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال سألت خالي هند
ابن أبي هالة قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن
ابن أحمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل
أحمد بن الحسن بن خيرون قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد
ابن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقر به قال أخبرنا أبو محمد
الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم المعروف بابن أخي طاهر العلوي حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال حدثني علي بن جعفر
ابن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي
عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت أخي هند بن أبي
هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وأنا أرجو أن يصف

ابن أبي الحسين صح

خالي صح

ل

لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ
وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره
الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج
سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد
دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر
مسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك انور المتجرد اشعر الذراعين
والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين
سائل الاطراف او قال سائن الاطراف وسائر الاطراف سبط القصب خمصان
الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفوا
ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت
جميعا خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام صلى الله عليه وسلم قلت صف لي
منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة
ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا ليس
بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب
لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث

اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى • وإذا غضب أعرض وأشاح •
وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم • ويفتر عن مثل حب الغمام • قال الحسن
رضي الله عنه فكتمتها الحسين بن علي رضي الله عنهما زمانا ثم حدثته فوجدته
قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وشكله فلم يدع منه شيئا قال الحسين رضي الله عنه سألت أبي عن دخول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك
فكان إذا أوى إلى منزله صلى الله عليه وسلم جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى •
وجزءا لأهله • وجزءا لنفسه • ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس • فيرد ذلك على العامة
بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا • فكان من سيرته صلى الله عليه وسلم في جزء الأمة
إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم
والأمة من مسألته عنهم • وإخبارهم بالذي ينبغي لهم • ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب • وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة
من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة • لا يذكر عنده إلا ذلك •
ولا يقبل من أحد غيره قال في حديث سفين بن وكيع يدخلون روادا ولا يتفرقون
إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء قلت فأخبرني عن مخرجه كيف كان
يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم
ويؤلفهم ولا ينفرهم • ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم • ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه • ويتفقد أصحابه • ويسأل الناس عما
في الناس • ويحسن الحسن ويصوبه • ويقبح القبيح ويوهنه • معتدل الأمر غير
مختلف • لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا • لكل حال عنده عتاد • لا يقصر عن الحق •

ولا يجاوزه إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم
نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب
جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو فاومه لحاجة صابره حتى
يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق متقاربين
متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الأخرى صاروا في الحق عنده سوا مجلسه
مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم
ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون بالتقوى متواضعين
يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون
الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه
قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث
كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه
إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون
عنده الحديث من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم
يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق ويقول صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم صاحب حاجة يطلبها فارفدوه

ولا يطلب لنا الأمر مكافئ • ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه
بانتهاء أو قيام • هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان
سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع • على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى • وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر •
فكان لا يغضبه شيء يستفزه • وجمع له في الحذر أربع • أخذه بالحسن ليقتدى
به • وتركه القبيح لينتهى عنه • واجتهاده الرأي بما أصلح أمته • والقيام لهم بما
جمع لهم أمر الدنيا والآخرة • انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير
غريب هذا الحديث ومشكله • قوله المشذب • أي البائن الطول في نحافة •
وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط • والشعر الرجل الذي كأنه
مشط فتكسر قليلاً • ليس بسبط ولا جعد • والعقيقة شعر الرأس • أراد إن انفرقت
من ذات نفسها فرقها وإلا تركها معقوصة • ويروى عقيصته • وأزهر اللون
نيره • وقيل أزهر حسن • ومنه قوله تعالى زهرة الحيوة الدنيا • أي زينتها •
وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق • ولا بالآدم • والأمهق
هو الناصع البياض • والآدم الأسمر اللون • ومثله في الحديث الآخر أبيض
مشرب • أي فيه حمرة • والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر •
والأقنى السائل الأنف المرتفع وسطه • والأشم الطويل قصبة الأنف •
والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج • ووقع في حديث أم معبد وصفه
صلى الله عليه وسلم بالقرن • والأدعج الشديد سواد الحدقة • وفي الحديث الآخر
أشكل العين • وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة • والضليع الواسع • والشنب
رونق الأسنان وماؤها • وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب •

مطلب سكوت النبي صلعم على أربع

مطلب في تفسير غريب هذا الحديث

والفلج فرق بين الثنايا • ودقيق المسربة • خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة •
بادن • ذو لحم • متماسك • معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا • مثل قوله في الحديث
الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم • اي ليس بمسترخي اللحم • والمكلثم القصير
الذقن • وسواء البطن والصدر • اي مستويهما • ومشيح الصدر • ان صحت هذه اللفظة
فيكون من الإقبال • وهو احد معاني اشاح • اي انه كان بادي الصدر • ولم
يكن في صدره قعس • وهو تطامن فيه • وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر •
اي ليس بمتقاعس الصدر • ولا مفاض البطن • ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم
بمعنى عريض كما وقع في الرواية الأخرى • وحكاه ابن دريد • والكراديس
رؤوس العظام • وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل المشاش والكتد • والمشاش
رؤوس المناكب • والكتد مجتمع الكتفين • وشثن الكفين والقدمين • غليظهما •
والزندان • عظما الذراعين • وسائل الأطراف • اي طويل الأصابع وذكر ابن
الأنباري انه روي سائل الأطراف • او قال سائن بالنون • قال وهما بمعنى تبدل
اللام من النون ان صحت الرواية • واما على الرواية الأخرى • وسائر الأطراف
فإشارة الى فخامة جوارحه صلى الله عليه وسلم كما وقعت مفصلة في الحديث
ورحب الراحة • اي واسعها • وقيل كناية عن سعة العطاء والجود • خمصان
الأخمصين • اي متجافي اخمص القدم • وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط
القدم • ومسيح القدمين • اي املسهما • ولهذا قال ينبو عنهما الماء • وفي حديث
ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص • وهذا
يوافق معنى قوله مسيح القدمين • وبه قالوا سمي عيسى بن مريم المسيح اي لم يكن له
اخمص • وقيل مسيح لا لحم عليهما • وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين • والتقلع
رفع الرجل بقوة • والتكفؤ الميل الى سنن المشي او قصده • والهون الرفق والوقار •

والذريع الواسع الخطو أي أن مشيته كان يرفع فيها رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب • وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة فمه والعرب تمادح بهذا وتذم بصغر الفم • وأشاح مال وانقبض • وحب الغمام البرد • وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة • أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة • وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة • ويدخلون روادا • أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده • ولا ينصرفون إلا عن ذواق • قيل عن علم يتعلمونه • ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر • والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد • والموازرة المعاونة • وقوله لا يوطن الأماكن • أي لا يتخذ للمصلى موضعا معلوما • وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث • وصابره • أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه • ولا تؤبن فيه الحرم • أي لا يذكرن بسوء • ولا تنثى فلتاته • أي يتحدث بها أي لم تكن فيه فلتة وإن كانت من أحد سترت • ويرفدون يعينون • والسخاب الكثير الصياح • وقوله ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم • وقيل إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له • ويستفزه يستخفه • وفي حديث آخر في وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب • أي قليل لحمها • وأهدب الأشفار • أي طويل شعرها • والله أعلم •

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم • لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى

واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا • وقد اقتصرنا منها على صحيحها

مقابلة

ومنتشرها • وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا **الفصل الأول**
فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل •
وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب •
أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل إذنا بلفظه • قال حدثنا أبو
الحسن الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن يعقوب عن أبيها • حدثنا حاتم
وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن إسماعيل عن يحيى الحماني • حدثنا قيس عن الأعمش عن
عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما وذلك قوله تعالى أصحاب
اليمين وأصحاب الشمال فأنا من اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين
أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة
والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث
قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل
بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت الآية **وعن** أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا
يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد **وعن** واثلة
ابن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى من ولد إبرهيم
إسمعيل واصطفى من بني إسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **ومن** حديث أنس أنا أكرم ولد
آدم على ربي ولا فخر **وفي** حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنا أكرم الأولين
والآخرين ولا فخر **وعن** عائشة رضي الله عنها **عنه** عليه السلام أتاني جبريل

عليه السلام فقال قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد
ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد
تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقاً وعن ابن عباس عنه
عليه السلام لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب
نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبرهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب
الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط
وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ۞ مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ۞ أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ۞ ألجم نسراً وأهله الغرق
وردت نار الخليل مكتتماً ۞ تجول فيها ولست تحترق
تنقل من صالب إلى رحم ۞ إذا مضى عالم بدا طبق

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن
عبد الله رضي الله عنهم أنه قال أعطيت خمساً وفي بعضها ستاً لم يعطهن نبي قبلي
نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي
أدركته الصلوة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة
وأعطيت الشفاعة وفي رواية أخرى بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية
أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر
والأسود قيل السود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر العجم
وقيل البيض والسود من الأمم وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه نصرت

وقيل الحمر الإنس والسود الجن

بالرعب

بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جي بمفاتيح خزائن الارض
فوضعت في يدي وفي رواية عنه عليه السلام وختم بي النبيون وعن عقبة
ابن عامر رضي الله عنه انه قال عليه الصلوة والسلام اني فرط لكم وانا شهيد
عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض
واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف ان تنافسوا فيها عليكم
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا
محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار
وحملة العرش وعن ابن عمر رضي الله عنهما بعثت بين يدي الساعة ومن رواية
ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال
يا رب اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت
سليمن ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك لك
اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت
تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك
مصاحفها وخبات لك شفاعتك ولم اخباها لنبي غيرك وفي حديث اخر
رواه حذيفة رضي الله عنه بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي
سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا
تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصرة والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي
شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل
علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما

مطلب باب الشفاعة

النصرة

كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة
معنى هذا عند المحققين بقا معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء
عليهم السلام ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة القران يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته
وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا من اخبار المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته واعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم
اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضي الله عنهم وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين
وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن
سارية رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عند الله
وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته. وعدة ابي ابرهيم وبشارة عيسى
ابن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على اهل السما وعلى الانبيا صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل
السما قال ان الله تعالى قال لاهل السما ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية
وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله
على الانبيا قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس الاية وعن خالد بن
معدان رضي الله عنه ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك
رضي الله عنهم فقال نعم انا دعوة ابي ابرهيم. يعني قوله ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم. وبشرى عيسى. ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور

اضا

أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام • واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا
مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهماً لنا إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض •
وفي حديث آخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجاً فأخذاني فشقا بطني
قال في غير هذا الحديث من نحري إلى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه
فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى
أنقياه • قال في حديث آخر ثم تناول أحدهما شيئاً فإذا بخاتم في يده من نور
يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ إيماناً وحكمة ثم أعاده مكانه وأمرّ
الآخر يده على مفرق صدري فالتأم وفي رواية أن جبريل عليه السلام قال
قلب وكيع أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان سميعتان ثم قال
أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من
أمته فوزنني فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال
دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها قال في الحديث الآخر ثم ضموني
إلى صدورهم • وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو
تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم
ما أكرمك على الله إن الله معك وملائكته قال في حديث أبي ذر فما هو
إلا أن وليا عني فكأنما أرى الأمر معاينة وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي
وغيرهما أن آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر خطيئتي
ويروى تقبل توبتي فقال له الله عز وجل من أين عرفت محمداً قال رأيت في كل
موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله • ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له • وهذا عند
قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي رواية الآخر فقال

آدم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله اليه
وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان
آدم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر ويروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله
ملائكة سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله
عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه و
لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته
بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن
ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها
انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب
الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها وذكر
انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري
انه شاهد في بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله
وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر
مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد
عن ابيه رضي الله عنهم اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد
فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه
وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم
محمد الا نما ورزقوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته
محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر الى

٤٦

قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه الصلوة والسلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث.

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسرا من المناجاة والرؤية وامامة الانبيا والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من ايات ربه الكبرى. ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسرا وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار. قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية. وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسرا به عليه السلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري حدثنا ابو العباس الرازي حدثنا ابو احمد الجلودي. حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت

مطلب في فصل المعراج

الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما فرحبا بي ودعوا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله
عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي
بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر
مثله فاذا انا بهرون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابرهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل
يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا
ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى
ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك
على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا
يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب
خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين
موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك

خمسون

خمسون صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له
عشرا ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة
قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فسله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه
قال القاضي رحمه الله جوّد ثابت رضي الله عنه هذا الحديث عن أنس ما شاء
ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا • وقد خلّط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا
سيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله
بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي • وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت بعد الوحي
وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت
عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث
الإسراء كما رواه الناس فجوّد في القصتين • وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى
سدرة المنتهى كان قصة واحدة وأنه وصل إلى بيت المقدس ثم عرج من هناك
فأزاح كل إشكال أوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه
قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي
نزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ
حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيها
تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السموات وحديث
ثابت عن أنس أتقن وأجود • وقد وقعت في حديث الإسراء زيادات نذكر منها

كنا نفعله في غرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي
الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبرهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق
ابن عباس رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام
وعن أنس ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال
ثم أدخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعني موسى بكى
فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر
مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد رأيتني في جماعة
من الأنبياء فحانت الصلوة فأممتهم فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن
النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه
ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة فصلى مع الملائكة فلما
قضيت الصلوة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم
الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم • وهم
إبرهيم وموسى وعيسى وداود وسليمن ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وإن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على
ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل
علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة وسطا
وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري
ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبرهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه
عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وانتهي بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما

يعرج

وسدرة المنتهى شجرة في اقصى الجنة ينتهي اليها اعمال العباد او ينتهي اليها علم الخلائق من الملائكة والرسل وارباب الحكم والاعتبار العلم الشارح [?] باب السادس

يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها
قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابو هريرة من
طريق الربيع بن انس فقيل له هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك
خلا على سبيلك وهي سدرة المنتهى تخرج من اصلها انهار من ماء غير اسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى • وهي
شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها
نور وغشيتها الملائكة فقال وهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابرهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما
وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له
الجبال واعطيت سليمن ملكا عظيما سخرت له الجن والانس والشياطين والرياح
واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية والانجيل وجعلته
يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك اول
النبيين خلقا واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك وجعلتك
فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا
من امته المقحمات • وقال تعالى ما كذب الفواد ما راى لانه راى جبريل في
صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه راى موسى عليه السلام في

السابعة قال بتفضيل كلام الله تعالى قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا
الله تعالى موسى لم اظن ان ترفع على احد وقد روى عن انس انه صلى الله عليه وسلم
صلى بالانبيا ببيت المقدس وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما
اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها
البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني فوالله
ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب
الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق
مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر
الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك
اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا
وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلوة
حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه فام اهل السما فيهم ادم
ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم راويه اكمل الله لمحمد
صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي رضي الله
عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم
المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس
ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شا كيف شا ومتى
شا كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون • وقوله في هذا الحديث
الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراه
من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته •

وجبروته

وحبرونه • ويدل عليه من الحديث قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي
خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان
هذا الحجاب لم يختص بالذات • ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال
اليها ينتهي علم الملئكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم • واما قوله
الذي الى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي الى عرش الرحمن او امرا ما من عظيم
اياته او مبادي حقايق معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اي
اهلها • وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في
هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء الحجاب كما قال تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته
فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحتمل انه في غير هذا الموطن
بعد هذا او قبله ورفع الحجاب عن بصره حتى راه والله اعلم **فصل** ثم اختلف
السلف والعلما هل كان اسرا بروحه او جسده على ثلث مقالات • فذهبت
طائفة الى انه اسرا بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبيا حق
ووحي والى هذا ذهب معوية • وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار
محمد بن اسحق **وحجتهم** قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس
وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله بينا انا نايم وقول انس وهو نايم في المسجد الحرام • وذكر القصة ثم قال
في اخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام **وذهب** معظم السلف والمسلمين
الى انه اسرا بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق • وهذا قول ابن عباس رضي الله
عنهما وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة البدري
وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب

وابن زيد والحسن وإبرهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل
قول عائشة رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من
المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
وقالت طائفة كان الإسرا بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السما بالروح
واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد
الأقصى فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسرا الذي وقع التعجب فيه بعظيم
القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم به وإظهار الكرامة له
بالإسرا إليه قال هؤلاء ولو كان الإسرا بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى
لذكره فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت المقدس
أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلوته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن
اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رحمه الله
والحق من هذا والصحيح إن شا الله أنه إسرا بالروح والجسد في القصة كلها
وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسرا بجسده وحال يقظته استحالة
إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر
وما طغي ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار
ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفا من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات
لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال
يقظته إلى ما ذكر في الحديث من ذكر صلوته بالأنبيا ببيت المقدس في رواية أنس
أو في السما على ما روى غيره وذكر مجي جبريل له بالبراق وخبر المعراج
واستفتاح السما فيقال ومن معك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقائه الأنبياء

فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع
موسى في ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ بيدي جبريل فعرج بي
إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام
وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن
عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
نائم وعن الحسن رضي الله عنه فيه بينا أنا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في
الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر البراق •
وعن أم هانئ رضي الله عنها ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة
كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم
في الآن كما ترون وهذا بين أنه بجسمه وعن أبي بكر رضي الله عنه من رواية شداد
ابن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله
البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل عليه السلام حمله إلى المسجد
الأقصى وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة
أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث •
وذكر الحديث • وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن
أبي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل
جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي •
وعن أنس رضي الله عنه أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري وعن

أبي هريرة رضي الله عنه لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن
أشيا لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه • ونحوه
عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الإسرا عنه
عليه السلام أنه قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل**
في إبطال حجج من قال إنها نوم **احتجوا** بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك
إلا فتنة للناس فسماها رؤيا **قوله** قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه فقلنا
لا يقال في النوم أسرى • وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسرا بشخص
إذ ليس في الحلم فتنة به ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه
من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا
في هذه الآية **فذهب** بعضهم إلى أنها نزلت في قصة الحديبية وما وقع في نفوس
الناس في ذلك وقيل غير هذا **وأما** قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما • من
وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان • وقوله أيضا وهو نائم • وقوله ثم
استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم
أو أول حمله والإسرا به وهو نائم صلى الله عليه وسلم وليس في الحديث أنه كان
نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام ؞
فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت واستيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته
ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله • وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله استيقظت
وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات
والأرض • وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى
فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام **ووجه ثالث**
أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه • ولكنه أسري بجسده

وقلبه

وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض
أصحاب الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات
عن الله تعالى • ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له
في هذا الإسراء حالات ووجه رابع وهو أن يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم عن
من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم
وربما قال مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى
هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وفي رواية هدبة عنه صلى الله
عليه وسلم بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وذهب بعضهم إلى أن هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث
إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث
الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم وقبل النبوة ولأنه قال في الحديث
قبل أن يبعث والإسراء بالإجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع
في رواية أنس مع أن أنسا قد بين من غير طريق أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم
لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان أبو ذر يحدث • وأما
قول عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة
لأنها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد
على الخلاف في الإسراء متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة رضي الله عنها في الهجرة
بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل الهجرة • وقيل قبل الهجرة بعام •
والأشبه أنه لخمس • والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فإذا لم تشاهد ذلك

عايشة رضي الله عنها دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على
خبر غيرها وغيرها يقول بخلافه مما وقع نصًّا في حديث أم هاني وغيره وأيضا
فليس حديث عايشة بالثابت ، والأحاديث الأخر أثبت لسنا نعني حديث أم
هاني وما ذكرت فيه خديجة وأيضا فقد روي في حديث عايشة رضي الله عنها
ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه
بل الذي يدل عليه صحيح قولها أنه بجسمه لإنكارها أن يكون رؤياه لربه رؤيا
عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فإن قيل فقد قال الله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى ، فقد جعل ما رآه للقلب ، وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي لا
مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد
أضاف الأمر للبصر وقد قال أهل التفسير في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما أنكر قلبه ما
رأته عينه فصل وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف
السلف فيها فأنكرته عايشة رضي الله عنها حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد
الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني أبي ، وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه ، قالا
حدثنا القاضي يونس بن مغيث ، حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم
ابن ثابت عن أبيه عن جده ، قال حدثنا عبد الله بن علي حدثنا محمود بن آدم حدثنا
وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعايشة رضي الله عنها يا أم
المومنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلث من حدثك
بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت لا تدركه الأبصار
الآية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة رضي الله عنها وهو المشهور
عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم إنما رأى جبريل واختلف

عنه وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء
والمتكلمين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه • وروى عطاء عنه رآه
بقلبه وعن أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن إسحاق أن ابن عمر
أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهم يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم • والأشهر
عنه أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال إن
الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى قال الماوردي
قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد
مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى أبو الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي
الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا رأى ربه مرتين فكبر كعب
حتى جاوبته الجبال وقال إن الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى
فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه عليهما السلام وروى شريك عن أبي ذر في تفسير
الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن
كعب القرظي وربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك
فقال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى
وذكر الحديث وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه
وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن
مسعود وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال
نعم وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه

والصحيح أن لله تعالى مرتبتين مرتبة الألوهية ومرتبة الربوبية ومرتبة الألوهية لا يراها أحد لا في الدنيا ولا في الآخرة وأما مرتبة الربوبية فيجوز أن يراها بعض الإنسان في الدنيا وأما في الآخرة فيراها كل من دخل الجنة كذا في بعض شروح السلوك وفي هذا الشرح إيماء إلى رد قول أهل السنة قد صح لا يجوز رؤية الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة لأن مرادهم مرتبة الألوهية لا الكلام في مرتبة الربوبية

رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه رآه
بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال سعيد بن جبير
لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه
وعن ابن عطاء في قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية
وشرح صدر موسى للكلام • وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وجماعة
من أصحابه إنه رأى الله عز وجل ببصره وعيني رأسه • وقال كل آية أوتيها
نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي نبينا مثلها • وخص من بينهم بتفضيل
الرؤية • ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه
جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل رحمه الله والحق الذي لا امتراء
فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل
نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الله تعالى إلا جائزا
غير مستحيل • ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا من
علمه الله • فقال له الله تعالى • لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي •
ثم ضرب له مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل • وكل
هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس
في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الأبصار لاختلاف
التأويلات في الآية إذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد

استدل

اسند لبعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل لا تدركه الأبصار
وانما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية
ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن تراني الآية وقوله تبت
إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني
في الدنيا انما هو تأويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق
موسى عليه السلام وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات فليس
للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال
ابو بكر الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في
الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه
ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم وكونها
متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة
ركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رأيت مثل هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم يُرَ في
الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة رزقوا ابصارا
باقية فرؤي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على
الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده
واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر
موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الالهية منحاها لادراك
ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن

لم مقاما

ثابتة

الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى
ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله أعلم من قوله تعالى
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني • ثم قال فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا • وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا
القول وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا
بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل
أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع
وأما وجوبه لنبينا عليه الصلوة والسلام والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه
قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال
لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس رضي الله عنهما خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث
معاذ محتمل للتأويل • وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث أبي ذر الآخر
مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني
أراه • وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله وإنما
رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه
أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل ما في الحديث
الآخر حجابه النور • وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين
وتلا ثم دنا فتدلى والله تعالى قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب

أو كيف

اوكيف شا لا اله غيره • فان ورد حديث نص بين في هذا الباب اعتقد ووجب
المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق فصل وأما
ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده
ما اوحى • الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل
الى محمد صلى الله عليه وسلم الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق رضي
الله عنهما قال اوحى الله اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض
المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه في الاسرا وحكي عن الاشعري وحكوه
عن ابن مسعود وابن عباس وانكره اخرون وذكر النقاش عن ابن عباس رضي الله
عنهما في قصة الاسرا عنه عليه الصلوة والسلام في قوله تعالى ثم دنا فتدلى
قال فارقني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي عز وجل وهو يقول
ليهدا روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس في الاسرا نحو منه وقد احتجوا
في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل
رسولا فيوحي باذنه ما يشا • فقالوا هي ثلثة اقسام • من ورا حجاب • كتكليم موسى
عليه السلام • وبارسال الملايكة كحال جميع الانبيا عليهم السلام واكثر احوال
نبينا صلى الله عليه وسلم • الثالث قوله تعالى وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام
الا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي صلى الله
عليه وسلم دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي رضي الله عنه في حديث
الاسرا ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الاية فذكر
فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من ورا الحجاب صدق عبدي انا اكبر
انا اكبر وقال في ساير كلمات الاذان مثل ذلك • ويجي الكلام في مشكل هذين
الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول الفصل من الباب منه

وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه عليهم السلام جائز
غير ممتنع عقلا. ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه
وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده
بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى
وسمع صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان ورفع صح
من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات **فصل**
واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله تعالى
دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى. فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما الصلوة والسلام او مختص باحدهما من
الاخر او من السدرة المنتهى **قال** الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو
محمد عليه السلام دنا فتدلى من ربه. وقيل معنى دنا قرب. وتدلى زاد في
القرب. وقيل هما بمعنى واحد اي قرب **وحكى** مكي والماوردي عن ابن عباس
رضي الله عنهما. هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره
وحكمه **وحكى** النقاش عن الحسن. قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم
فتدلى فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته. قال وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه. قال فارقني جبريل عليه
السلام وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي **وعن** انس رضي الله عنه
في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة

وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم دنا من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك والارتياب

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله تعالى فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى وقربه منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنوار معرفته ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا تعالى إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان

قال الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله تعالى قاب قوسين أو أدنى فمن جعل الضمير عائدا إلى الله تعالى لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء المطالب وإظهار التحفي وإنافة المنزلة والمرتبة من الله تعالى له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قرب بالإجابة والقبول وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول

فصل

في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو
الفضل وابو الحسين حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن
الربيع بن انس عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا أيسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية
ابن زحر عن الربيع بن انس عن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس
خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا
شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا أبلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم
ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن
ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم على يمين العرش
ليس لاحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول
من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله
عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من تنشق عنه القبر واول
شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا حامل لواء الحمد
يوم القيمة ولا فخر واول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من
يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها فيدخلها معي فقراء المؤمنين ولا فخر
وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس رضي الله عنه انا اول
الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم

أنا سيد الناس يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الأولين
والآخرين وذكر حديث الشفاعة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه
عليه السلام قال أطمع أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيمة وفي
حديث آخر ما ترضون أن يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة
ثم قال انهما في أمتي يوم القيمة أما ابرهيم فيقول أنت دعوتي وذريتي
فاجعلني من أمتك وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات أمهاتهم شتى
وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به • وقوله عليه
السلام أنا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة
ولكن أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون
غيره إذ لجأ إليه الناس في ذلك فلم يجدوا سواه • والسيد هو الذي يلجأ
الناس إليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه
أحد في ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار • والملك لله تعالى في الدنيا والآخرة • لكن في الآخرة انقطع دعوى
المدعين لذلك في الدنيا • وكذلك لجأ إلى محمد صلى الله عليه وسلم جميع
الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى وعن
أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم
القيمة فأستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت
لا أفتح لأحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه اللبن ح
أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وعن
أبي ذر نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة

وعن ثوبان مثله قال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية
حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن
عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر
وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو
برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وأبو سعيد الخدري
وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة والبراء وجندب وعائشة وأسماء ابنة أبي بكر
وأبو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم فصل في تفضيله بالمحبة والخلة
جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين
بحبيب الله أخبرنا أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت أحمد
حدثنا أبو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي أبو
الوليد حدثنا عبد بن أحمد حدثنا أبو الهيثم حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو عامر حدثنا فليح حدثنا
أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر وفي حديث آخر وإن
صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا وقال آخر ماذا
بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه
وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال صلى الله عليه وسلم قد سمعت

كلامكم

كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابرهيم خليلا وهو كذلك وعيسى روح
الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو
كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر
وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح
الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين
ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التورية انت حبيب
الرحمن قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ورضي عنه • اختلف في تفسير
الخلة واصل اشتقاقها • فقيل الخليل المنقطع الى الله تعالى الذي ليس في
انقطاعه اليه ومحبته له اختلال • وقيل الخليل المختص • واختار هذا
القول غير واحد • وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمي ابرهيم
خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما
لمن بعده • وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي
الحاجة فسمي بها ابرهيم لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم
يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى في النار
فقال الك حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار • وقال بعضهم اصل الخلة
المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع • وقد بين ذلك
تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل
فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه • قال هذا
والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال الله تعالى

ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم • ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة •
فاذا تسميتهما ابرهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله ووقف
حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب
او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل
بواطنهما من اسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته • او لاستصفائه
لهما واستصفا قلوبهما عمن سواه حتى لم يكن لهما حب لغيره • ولهذا قال
بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندك معنى قوله عليه السلام
لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام • واختلف
العلما وارباب القلوب ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما
بعضهم سوا فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابرهيم
بالخلة ومحمدا بالمحبة عليهما السلام • وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق
المحبة عليه السلام لفاطمة وابنيها رضي الله عنهم واسامة وغيرهم واكثرهم
جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا عليه السلام ارفع
من درجة الخليل ابرهيم عليه السلام • واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح المناسبة والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق
فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
وعصمته وتوفيقه وتهيئته اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها
كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون كما
قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله

والانقطاع

والانقطاع الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص
الحركات لله كما قالت عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم خلقه
القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبّر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ٭ وبذا سمي الخليل خليلا ٭
فاذا ما نطقت كنت حديثي ٭ واذا ما سكت كنت الغليلا ٭

فذا مرتبة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما
دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى
بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية حكى اهل التفسير ان هذه
الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى فانزل الله تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل
اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته عز وجل
ثم توعدهم على التولي عنه بقوله تعالى فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين
وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين
المحبة والخلة يطول جملة اشارته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن
نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده وذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من
قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ٭ والحبيب يصل
لحبيبه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى ٭ وقيل الخليل الذي
تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي ٭
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك الآية ٭ والخليل قال لا تخزني ٭ والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله
النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال ٭ والخليل قال في المحنة حسبي الله

والحبيب قيل له يا أيها النبي حسبك الله • والخليل قال واجعل لي لسان صدق
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك • أعطي بلا سؤال • والخليل قال واجنبني
وبني أن نعبد الأصنام • والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت • وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من
تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى
سبيلا **فصل** في تفضيله عليه السلام بالشفاعة والمقام المحمود • قال الله
تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا **أخبرنا** الشيخ أبو علي الغساني الجياني
فيما كتب لي بخطه حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الأصيلي •
حدثنا أبو زيد المروزي وأبو أحمد قالا حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد
إسمعيل قال حدثنا إسمعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت
ابن عمر رضي الله عنهما يقول إن الناس يصيرون يوم القيمة جثا كل أمة
تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود • وعن أبي هريرة
رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله تعالى عسى
أن يبعثك ربك مقاما محمودا فقال صلى الله عليه وسلم هي الشفاعة • وروى
كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فأكون أنا وأمتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول
فذلك المقام المحمود الذي وعده • وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث
الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام
المحمود الذي وعده • وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه عليه السلام أنه
قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الأولون والآخرون •

المحمود

ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام المحمود الذي أشفع لأمتي فيه وعن
ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لقائم
المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى الحديث
وعن أبي موسى رضي الله عنه عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل
نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين
ولكنها للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله
ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا
يصدق لسانه قلبه وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض
وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يؤتيني شفاعة يوم
القيامة فيهم ففعل وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الله الناس في صعيد
واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا
لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في
يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك
وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب
البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله
عنهما إذا دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر
زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون
ربهم ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة
لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين رضي الله

عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت
بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام
محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر
حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس رضي الله عنه نحوه وقال
فهذا المقام المحمود الذي وعده وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث
بعضهم في حديث بعض وقال يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة فيهتمون
او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق عنه ماج الناس
بعضهم في بعض وعن ابي هريرة رضي الله عنه وتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم
فياتون ادم فيقولون زاد بعضهم انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ
فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملئكته وعلمك اسما كل
شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني
عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فياتون نوحا
فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن
فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية
انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد
كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم فانه خليل
الله فياتون ابرهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى
ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فيذكر مثله

وعن شيبان المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة وقال قتادة كان اهل العلم
يرون ان المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه صلى الله عليه وسلم
للشفاعة مذهب السلف من الصحابة والتابعين والمسلمين وبذلك جاءت منتشرة في صحيح
الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا يثبت
اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سند نظر اه

ويذكر

ويذكر ثلث كذبات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه
كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال فياتون
موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتله النفس نفسي نفسي
ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست لها
ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر فياتوني فاقول انا لها فانطلق فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رايته
وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين
يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفي رواية يفتح الله يلهمنيها
علي من محامده وحسن الثناء عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي قال وفي رواية
ابي هريرة رضي الله عنه فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع
فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب
عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من
الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل • وقال مكانه ثم اخر ساجدا
فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة
من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال من كان فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع
وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل ادنى
فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع
وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك
اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال

لا إله إلا الله ومن رواية قتادة رضي الله عنه عنه قال فلا ادري في الثالثة
او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه
الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة رضي الله عنهم مثله
قال فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيؤذن له وتاتي الامانة والرحم فتقومان
جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون محمدا صلى الله
عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير
وشد الرحال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم
حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه
فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه السلام ثم
يوضع للانبياء عليهم السلام منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه
قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال
قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك
في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد
الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة
ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني
الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما في
الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام

ومقامه

ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جا في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا إله إلا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعوها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة

يدعو بها

قال أهل العلم معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعا بها بين الرجا والخوف وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الإجابة وقد قال محمد بن زياد وأبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيمة وفي رواية أبي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية أبي زرعة عن أبي هريرة وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل لأمته أشيا من أمور الدين والدنيا أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤل والرغبة جزاه الله أحسن ما جزا نبيا عن أمته وصلى الله عليه وسلم كثيرا

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا

القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي
عليه قالا حدثنا أبو علي الغساني حدثنا النمري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
أبو بكر التمار حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة
وحيوة وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه مرة
عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من
عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه الوسيلة أعلى درجة في الجنة •
وعن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في
الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر
الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكا وعن
عائشة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مثله • قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق
شقا عليه حوض ترد عليه أمتي • وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس •
وعن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه •
وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه وعن حذيفة
رضي الله عنه فيما ذكر عليه السلام عن ربه تبارك وتعالى وأعطاني الكوثر نهرا
في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى • قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية أخرى وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم فصل فإن قلت

الأحاديث الواردة

اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر واجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل
الأنبيا فما معنى الحديث الوارد بنهيه عن التفضيل كقوله عليه السلام فيما
حدثناه الاسدي قال حدثنا السمرقندي حدثنا الفارسي اخبرنا الجلودي
اخبرنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا ابن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
عن قتادة قال سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه
وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد
ان يقول انا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابو هريرة رضي
الله عنه قال يعني الله ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه
رجل من الانصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين
اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي
رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه ولا أقول ان احدا افضل
من يونس بن متى وعن ابو هريرة رضي الله عنه ومن قال انا خير من يونس
ابن متى فقد كذب وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن احدكم
انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية
فقال ذاك ابرهيم فاعلم ان للعلما في هذه الأحاديث تأويلات احدها
ان نهيه عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم فنهى عن التفضيل
اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله
لا أقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر
كف عن التفضيل الوجه الثاني انه صلى الله عليه وسلم قاله على طريق التواضع
ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان لا

تنقص

تفضيل بينهم تفضيلاً يؤدي الى نقص بعضهم او الغض منه لاسيما في جهة يونس
عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك
غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق الى الفلك
المشحون . فظن ان لن نقدر عليه . وربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته
بذلك الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء
فيها على حد واحد اذ هي شيء واحد لا تتفاضل . وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف . واما النبوة في
نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها . ولذلك منهم
رسل . ومنهم اولو عزم من الرسل . ومنهم من رفع مكاناً علياً . ومنهم من اوتي
الحكم صبياً . واوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات . ومنهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات . قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية .
وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم
والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلثة احوال اما ان تكون اياته
ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل
واظهر . وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كراماته واختصاصه
من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس
تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق
اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن
في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا
الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعاً الى القائل نفسه اي لا يظن

او المطاطاة
اذ ذهب مغاضبا

احد

احد وان بلغ من الزكا والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل
ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلا وان تلك الاقدار لم تحطه
عنها حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء
الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط ما حررناه شبهة المعترض فصل
في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى
بن ابي تليد الفقيه قال حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر حدثنا القاسم
بن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن
محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد
فمن خصائصه تعالى له صلى الله عليه وسلم ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء
ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل
مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد
واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لوا الحمد يوم
القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه
هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم
ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى امته
في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن اخر وهو ان الله جل اسمه حمى ان
يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به الانبياء
فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله

حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد
من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده عليه السلام وميلاده ان نبيا
يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناهم بذلك رجا ان يكون احدهم
هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته • وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي •
ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن برا البكري • ومحمد بن سفين بن مجاشع • ومحمد بن
حمران الجعفي • ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم • ويقال اول من سمي محمد بن
سفين • واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد • ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به
ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احدا في
امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما قوله
عليه السلام وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو
الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه
ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به سيات من
اتبعه وقوله عليه السلام وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي • اي
على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء • وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس
بمشاهدتي كما قال الله تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا ومعنى قوله عليه السلام لي خمسة اسما قيل انها موجودة
في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي
عنه عليه السلام لي عشرة اسما وذكر منها طه ويس حكاه مكي • وقد قيل
في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي • وفي يس يا سيد حكاه السلمي

السلمي

عن

عن الواسطي وجعفر بن محمد • وذكر غيره الى عشرة اسما قد ذكر الخمسة التي في
الحديث الاول • قال وانا رسول الرحمة • ورسول الراحة • ورسول الملاحم •
وانا المقفي قفيت النبيين • وانا قيم • والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم
اروه وارى ان صوابه قثم بالثا كما ذكرناه بعد عن الحربي • وهو اشبه بالتفسير •
وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا
مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه • وروى النقاش عنه
عليه السلام لي في القرآن سبعة اسما محمد واحمد ويس وطه • والمدثر •
والمزمل • وعبد الله • وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان
عليه السلام يسمي لنا نفسه اسما فيقول انا محمد • واحمد • والمقفي • والحاشر •
ونبي التوبة • ونبي الملحمة • ويروى المرحمة والرحمة • وكل صحيح ان شا الله
تعالى • ومعنى المقفي معنى العاقب • واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة
والراحة • فقد قال الله تعالى • وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • وكما
وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة • ويهديهم الى صراط
مستقيم • وبالمؤمنين رؤف رحيم • وقد قال عليه السلام في صفة امته •
انها امة مرحومة • وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة •
اي يرحم بعضهم بعضا • فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة لامته •
ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم • وجعل امته امة مرحومة
ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده
الرحما • وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من
في السما • واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف
صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة • وروى حذيفة رضي الله عنه مثل حديث

لي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي
بحديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي مجتمع
قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه السلام معلوم
وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى
ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير
والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والامين
وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط
المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف
كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه
واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى
والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع
والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدق والهادي
وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله
وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج
والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة
والنعلين ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب المتوكل والمختار ومقيم
السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل
وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه
صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب

والمصدوق

وحمطايا

وخطيبا. والخاتَم والخاتِم حكاه كعب الأحبار. قال ثعلب فالخاتم الذي ختم الأنبياء. والخاتِم أحسن الأنبياء خَلقاً وخُلقاً. ويسمى بالسريانية مُشَفَّح والمنحمنّا. واسمه صلى الله عليه وسلم أيضاً في التوراة أحيد روي ذلك عن ابن سيرين. ومعنى صاحب القضيب أي السيف. وقع ذلك مفسراً في الإنجيل. قال معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك. وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الآن عند الخلفاء. وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا. وأراها والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن. وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان العرب. وأوصافه وألقابه وسماته صلى الله عليه وسلم في الكتب كثيرة. وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله تعالى.

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه ما أحرى هذا الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله. فاعلم أن الله تعالى خص كثيراً من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسميته إسحق وإسمعيل بعليم وحليم. وإبرهيم بحليم. ونوحا بشكور. وعيسى ويحيى ببر. وموسى بكريم وقوي. ويوسف بحفيظ عليم. وأيوب بصابر. وإسمعيل بصادق الوعد. كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم. وفضل محمداً نبينا صلى الله عليه وسلم بأن حلاه منها في الكتاب العزيز وعلى ألسنة

وكان يكنى قبل ... أبا القاسم ... ولد له إبراهيم جاءه جبريل فقال السلام عليك يا أبا إبراهيم

اسمائه بعدة كثيرة واجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر
اذ لم نجد من جمع فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين وحررنا منها
منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم الى ما علم منها
وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهره لنا الآن ويفتح غلقه فمن اسمائه
تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا
بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا
وأحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود وأحمد بمعنى أكبر
من حمد وأجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان بقوله
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى
الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال تعالى
بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود المتحقق
أمره وكذلك المبين أي البين أمره والهيته بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى
المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في
كتابه فقال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال تعالى وقل إني أنا النذير
المبين وقال تعالى قد جاءكم الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق
لما جاءهم قيل محمد عليه السلام وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وأمره وهو بالمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته او
المبين عن الله تعالى ما بعثه به كما قال عز وعلا لتبين للناس ما نزل اليهم
ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور أي خالقه او منور السموات والأرض
بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه صلى الله عليه وسلم نورا
فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن

ومن

وَقَالَ تَعَالَى فِيهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا • سُمِّيَ بِذَلِكَ لِوُضُوحِ أَمْرِهِ وَبَيَانِ نُبُوَّتِهِ
وَتَنْوِيرِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْعَارِفِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَسْمَائِهِ
تَعَالَى الشَّهِيدُ • وَمَعْنَاهُ الْعَالِمُ • وَقِيلَ الشَّاهِدُ عَلَى عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ • وَسَمَّاهُ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِيدًا وَشَاهِدًا • فَقَالَ تَعَالَى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا • وَقَالَ
تَعَالَى وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَهُوَ بِمَعْنَى الْأَوَّلِ • وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْكَرِيمُ •
وَمَعْنَاهُ الْكَثِيرُ الْخَيْرِ • وَقِيلَ الْمُفْضِلُ • وَقِيلَ الْعَفُوُّ • وَقِيلَ الْعَلِيُّ • وَفِي الْحَدِيثِ
الْمَرْوِيِّ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْأَكْرَمُ • وَسَمَّاهُ كَرِيمًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّهُ
لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • قِيلَ مُحَمَّدٌ • وَقِيلَ جِبْرِيلُ • وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ
وَمَعَانِي الِاسْمِ صَحِيحَةٌ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْعَظِيمُ وَمَعْنَاهُ
الْجَلِيلُ الشَّأْنِ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ • وَقَالَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ • وَوَقَعَ فِي أَوَّلِ سِفْرٍ مِنَ التَّوْرَيةِ عَنْ إِسْمَعِيلَ • وَسَيَلِدُ عَظِيمًا
لِأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ • وَهُوَ عَظِيمٌ • وَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ • وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْجَبَّارُ • وَمَعْنَاهُ
الْمُصْلِحُ • وَقِيلَ الْقَاهِرُ • وَقِيلَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ • وَقِيلَ الْمُتَكَبِّرُ • وَسُمِّيَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كِتَابِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَبَّارٍ • فَقَالَ تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ
سَيْفَكَ فَإِنَّ نَامُوسَكَ وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ • وَمَعْنَاهُ فِي حَقِّ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَّا لِإِصْلَاحِهِ الْأُمَّةَ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّعْلِيمِ • أَوْ لِقَهْرِهِ
أَعْدَاءَهُ أَوْ لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ عَلَى الْبَشَرِ وَعِظَمِ خَطَرِهِ • وَنَفَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ جَبْرِيَّةَ
التَّكَبُّرِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِهِ فَقَالَ تَعَالَى وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْخَبِيرُ
وَمَعْنَاهُ الْمُطَّلِعُ بِكُنْهِ الشَّيْءِ الْعَالِمُ بِحَقِيقَتِهِ • وَقِيلَ مَعْنَاهُ الْمُخْبِرُ • وَقَالَ اللهُ تَعَالَى
الرَّحْمَنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلَاءِ الْمَأْمُورُ بِالسُّؤَالِ غَيْرُ النَّبِيِّ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَسْئُولُ الْخَبِيرُ هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ • وَقَالَ غَيْرُهُ

بل السائل النبي صلى الله عليه وسلم والمسئول الله عز وجل. قال النبي صلى الله عليه وسلم
خبير بالوجهين المذكورين من قبل لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله
تعالى من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته بما أذن له في إعلامهم به
ومن أسمائه تعالى الفتاح. ومعناه الحاكم بين عباده أو فاتح أبواب الرزق
والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق
ويكون أيضا بمعنى الناصر. كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر. وسمى
الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الإسراء الطويل من
رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه
من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما. وفيه من قول النبي صلى الله عليه
وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته والفاتح
لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله أو الناصر للحق أو المبتدئ بهداية
الأمة أو المبدأ المقدم في الأنبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت أول
الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث. ومن أسمائه تعالى في الحديث الشكور.
ومعناه المثيب على العمل القليل. وقيل المثني على المطيعين. ووصف بذلك
نبيه نوحا عليه السلام فقال إنه كان عبدا شكورا. وقد وصف النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك نفسه أفلا أكون عبدا شكورا. أي معترفا بنعم ربي عارفا
بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن
شكرتم لأزيدنكم. ومن أسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة.
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال تعالى وعلمك

مالم

ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما • وقال تعالى ويعلمكم الكتاب
والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن أسمائه تعالى الأول والآخر
ومعناهما السابق للأشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه أنه
ليس له أول ولا آخر وقال عليه السلام كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم
في البعث • وفسر بهذا قوله تعالى • وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم • وقد أشار إلى نحو منه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه • ومنه قوله عليه السلام نحن الآخرون السابقون •
وقوله عليه السلام أنا أول من تنشق الأرض عنه • وأول من يدخل الجنة •
وأول شافع وأول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم
ومن أسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين • ومعناه القادر وقد وصفه
الله تعالى بذلك فقال تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين • قيل محمد وقيل جبريل
ومن أسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وورد في الحديث أيضا اسمه
عليه السلام بالصادق المصدوق • ومن أسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما
الناصر وقد قال الله تعالى إنما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام
أنا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي أولى بالمؤمنين وقال عليه السلام
من كنت مولاه فعلي مولاه ومن أسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد
وصف الله تعالى بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن والتوراة • وأمره
بالعفو وقال خذ العفو • وقال فاعف عنهم واصفح • وقال له جبريل وقد سأله
عن قوله تعالى خذ العفو فقال أن تعفو عمن ظلمك • وقال في التوراة والإنجيل
في الحديث المشهور في صفته صلى الله عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولكن
يعفو ويصفح • ومن أسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده

وبمعنى الدلالة والدعاء. قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم. واصل الجميع من الميل. وقيل من التقدم. وقيل في
تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم. وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه وسراجا
منيرا. فالله تعالى مختص بالمعنى الاول. قال تعالى انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء. وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه
تعالى المؤمن المهيمن. وقيل هما بمعنى واحد. فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق
وعده عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله
وقيل الموحد نفسه. وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في
الاخرة من عذابه. وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء
وقد قيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى
المؤمن. وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ. والنبي صلى الله عليه وسلم
امين ومهيمن ومؤمن. وقد سماه الله تعالى امينا فقال تعالى مطاع ثم
امين وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها
وسماه العباس رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله.
ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق. قيل المراد يا ايها
المهيمن. قاله القتيبي والامام القاسم القشيري. وقال تعالى يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين. اي يصدق. وقال عليه السلام انا امنة لاصحابي
فهذا بمعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس. ومعناه المنزه عن النقائص
المطهر من سمات الحدث. وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادي المقدس وروح القدس. ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام

في اسمائه

في أسمائه عليه السلام المقدس أي المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر أو الذي يتطهر به من الذنوب
ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم وقال تعالى ويخرجهم من
الظلمات إلى النور أو يكون مقدسا بمعنى مطهر من الأخلاق الذميمة
والأوصاف الدنية ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب
أو الذي لا نظير له أو المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله أي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال تعالى
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال تعالى إن الله يبشرك بيحيى
وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشرا لأهل طاعته
ونذيرا لأهل معصيته ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه
ويس وقد ذكر بعضهم أيضا أنهما من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه وها أنا أذكر
نكتة أذيل بها هذا الفصل وأختم بها هذا القسم وأزيح الإشكال بها فيما
تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه
عن شبه التمويه وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته وكبريائه
وملكوته وحسنى أسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه
به وأن ما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما
في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته
تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين إذ صفاتهم
لا تنفك عن الأغراض والأعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل
بصفاته وأسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من

قال من العلماء العارفين المحققين • التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات
ولا معطلة من الصفات • وزاد هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي
مقصودنا • تعالى ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته
صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ • وجلت الذات القديمة ان تكون لها
صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة • وهذا
كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو
القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا لتزيدك بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل
على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع نقص
حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا
يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم
او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني
من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض
فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد
وما احسن قول ذي النون المصري رحمه الله حقيقة التوحيد ان تعلم
ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج • وصنعه لها بلا مزاج • وعلة كل شيء صنعه
ولا علة لصنعه • وما تصور في وهمك فالله عز وعلا بخلافه • وهذا كلام عجيب
نفيس محقق والفصل الاخير تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني تفسير
لقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • والثالث تفسير لقوله تعالى انما
قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون • ثبتنا الله واياك على التوحيد
والاثبات والتنزيه • وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل

والتنبيه بمنّه ورحمته **الباب الرابع** فيما أظهره الله تعالى على يديه
من المعجزات • وشرّفه به من الخصائص والكرامات • **قال القاضي**
أبو الفضل رحمه الله حسب المتأمل أن يحقق أنّ كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج الى نصب البراهين
عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها • ونذكر شروط المعجز والتحدي
وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع وردّه • بل ألفناه لأهل ملته • الملبين
لدعوته • المصدقين لنبوته • ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم •
وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم • ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته •
ومشاهير آياته • لتدل على عظيم قدره عند ربه • وأتينا منها بالمحقق والصحيح
الإسناد • وأكثره مما بلغ القطع أو كاد • وأضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير
كتب الأئمة • واذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره • وحميد
سيره • وبراعة علمه • ورجاحة عقله وحلمه • وجملة كماله • وجميع خصاله •
وشاهد حاله • وصواب مقاله • لم يمتر في صحة نبوته • وصدق دعوته •
صلى الله عليه وسلم • وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والإيمان به • **فروينا**
عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أنّ عبد الله بن سلام رضي الله عنه
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر اليه فلما
استبنت وجهه عرفت أنّ وجهه ليس بوجه كذاب **حدثنا** به القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله قال حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون •
عن أبي يعلى البغدادي عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا
محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن
سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام •

الحديث وعن أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته
فلما رأيته قلت هذا نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم وغيره أن ضمادا
لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد
بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا
يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم
شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر
فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا من رجل لا ندري من هو
ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر
ليلة البدر لا يخيس بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى
تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام قال الجلندى والله لقد دلني على
هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا
كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد
وينجز الموعود وأشهد أنه نبي صلى الله عليه وسلم وقال نفطويه في قوله تعالى
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وإن لم يتل قرآنا كما قال
ابن رواحة لو لم تكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد
آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن

قاموس البحر معظمه ... اي البلغن عمقه ولجته الداخلة

الظعينة هي المرأة واصله الهودج الذي تكون فيه المرأة ثم سميت المرأة ظعينة به

وما فيه من برهان ودلالة **فصل** اعلم ان الله تعالى جل اسمه قادر على
خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع
تكليفاته ابتدا او دون واسطة لو شا كما حكي عن سنته في بعض
الانبيا وذكره بعض اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه ويكون
ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملئكة مع الانبيا او من جنسهم كالانبيا
مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت
الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا
به لان المعجز مع التحدي من النبي صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله عز
وجل صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه بما يقوله وهذا
كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى
في مصنفات ائمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من النبا وهو
الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه
على غيبه واعلمه انه عليه السلام نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول
او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل
بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه
ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في
حقه موتلفان صلى الله عليه وسلم واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول
بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله تعالى له بالابلاغ الى من
ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جا الناس ارسالا اذا
تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزم الامة اتباعه واختلف

ودليل وقوع [illegible] الطبيعة [illegible] علم
[illegible] المستخلفة [illegible]
[illegible] بما [illegible] الوجوه
علم آدم [illegible] علم ضروري في
الاسماء كلها اي الالفاظ الدالة
على الحقائق [illegible] اقل ما يفيد
التعبير [illegible]

العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين • فقيل هما سواء • واصله من الانباء
وهو الاعلام • واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي فقد اثبت لهما معا الارسال • قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول
الا نبيا • وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب • والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها
وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا
وحجتهم من الآية نفسها التفريق بين الاسمين • ولو كانا شيئا واحدا لما حسن
تكرارهما في الكلام البليغ • قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي ليس
بمرسل الى احد • وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ ومن
لم يات به نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار • والصحيح والذي عليه
الجما الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا • واول الرسل ادم واخرهم
محمد صلى الله عليهم وسلم • وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي • وذكر ان الرسل منهم ثلثمائة
وثلثة عشر • اولهم ادم • فقد بان لك معنى النبوة والرسالة • وليستا عند
المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل
ليس عليه تعويل • واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتلقى ما يأتيه من ربه تعالى بعجل سمي وحيا وسميت انواعات الالهامات وحيا
تشبيها بالوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم • وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد
كاتبه • ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما • ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا • اي اومأ ورمز • وقيل كتب • ومنه قولهم الوحا الوحا
اي السرعة • وقيل اصل الوحي السر والاخفاء • ومنه سمي الالهام وحيا • ومنه

قوله

قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم
ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها • وقد قيل ذلك في
قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون
واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان
الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة
البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله تعالى دل على صدق نبيه عليه
السلام كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم
ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء
الموتى وقلب العصا حية • واخراج ناقة من صخرة • وكلام شجرة • ونبع الماء من
الاصابع • وانشقاق القمر • مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك على
يد النبي صلى الله عليه وسلم من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله
تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل
نبوته • وبراهين صدقه • من هذين النوعين معا • وهو صلى الله عليه وسلم اكثر
الرسل معجزة • وابهرهم اية • واظهرهم برهانا • كما سنبينه وهي في كثرتها
لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران لا يحصى عدد معجزاته بالف
ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجز
عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه
بعددها وقدرها معجزة • ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات • ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها
علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله
عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند

جاحد فهو كإنكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا • وإنما جاء اعتراض
الجاحد من الحجة به فهو في نفسه • وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة
ووجه إعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض أئمتنا ويجري
هذا المجرى على الجملة أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق
عادات إن لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في
جريان معانيها على يديه • ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه
صلى الله عليه وسلم عجائب • وإنما خلاف المعاند في كونها من قبل الله تعالى
وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى وأن ذلك بمثابة قوله صدقت فقد
علم وقوع مثل هذا أيضا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها
كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم أحنف لاتفاق الأخبار
الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وإن
كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم
يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والأخبار كنبع الماء
من بين الأصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان
ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه إذا جمع إلى مثله اتفقا
في المعنى واجتمعا على الإتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله ورضي عنه وأنا أقول صدعا بالحق إن كثيرا من هذه الآيات
المأثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع أما انشقاق القمر فالقرآن
نص بوقوعه وأخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهر إلا بدليل • وجاء برفع
احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل

عرى

عُرَى الدين ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا أنفه • وننبذ بالعراء سخفه • وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام
رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن العدد الكثير من الصحابة
رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها
من جملة الصحابة وأخبارهم أن ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم
في يوم الخندق • وفي غزوة بواط • وعمرة الحديبية • وغزوة تبوك • وأمثالها •
من محافل المسلمين • ومجمع العساكر • ولم يؤثر عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم
مخالفة للراوي فيما حكاه ولا إنكار عما ذكر عنهم أنهم رأوه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة
في كذب • وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا
عندهم وهو غير معروف لديهم لأنكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها
من السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو
معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما بيناه
وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور
الأزمان وتداول الناس وأهل البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة والأراجيف الطارئة وأعلام
نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور
الأزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على
توهينها وتضعيف أصلها واجتهاد الملحد على إطفاء نورها إلا قوة وقبولا
ولا للطاعن عليها إلا حسرة وغليلا وكذلك إخباره عن الغيوب وإنباؤه
بما يكون وكان معلوما من آياته صلى الله عليه وسلم على الجملة بالضرورة وهذا

حتى لا غطاء عليه وقد قال به من أيمتنا القاضي والأستاذ أبو بكر وغيرهما
رحمهما الله • وما عندي أوجب قول القايل إن هذه القصص المشهورة
من باب خبر الواحد لا قلة مطالعته للأخبار وروايتها وشغله بغير
ذلك من المعارف والأقبال عنتوي بطرق النقل وطالع الأحاديث والسير
لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه • ولا يبعد
أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فإن أكثر الناس
يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة
والخلافة • وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها • وهكذا يعلم
الفقهاء من أصحاب مالك رحمه الله بالضرورة وتواتر النقل عنه أن مذهبه
إيجاب قراءة أم القرآن في الصلوة للمنفرد والإمام وإجزاء النية في أول
ليلة من رمضان عما سواه وأن الشافعي رضي الله عنه يرى تجديد النية
كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس • وأن مذهبهما القصاص في
القتل بالمحدد وغيره وإيجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح
وأن أبا حنيفة رضي الله عنه يخالفهما في هذه المسايل • وغيرهم ممن لم
يشتغل بمذاهبهم ولا روى أقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عن سواهم
وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا إن شاء الله تعالى •
فصل في إعجاز القرآن اعلم وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز
منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة
وجوه أولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته • ووجوه إيجازه وبلاغته •
الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام
قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة

عني سواه
الجارية
اللسان

اللسان ما لم يؤت انسان • ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب • جعل
الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب • فيخطبون بديهها في المقامات وشديد
الخطب • ويرتجزون به بين الطعن والضرب • ويمدحون • ويقدحون •
ويتوصلون • ويتوسلون • ويرفعون • ويضعون • ويطوقون من اوصافهم
اجمل من سمط اللآلي فيخدعون الالباب • فيأتون من ذلك بالسحر الحلال •
ويذللون الصعاب • ويذهبون الاحن • ويهيجون الدمن • ويجرئون الجبان •
ويبسطون يد الجعد البنان • ويصيرون الناقص كاملا • ويتركون النبيه خاملا •
منهم البدوي ذو اللفظ الجزل • والقول الفصل • والكلام الفخم • والطبع
الجوهري • والمنزع القوي • ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة • والالفاظ
الناصعة • والكلمات الجامعة • والطبع السهل • والتصرف في القول القليل
الكلفة • الكثير الرونق • الرقيق الحاشية • وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة
البالغة • والقوة الدامغة • والقدح الفالج • والمهيع الناهج • لا يشكون ان الكلام
طوع مرادهم • والبلاغة ملك قيادهم • قد حووا فنونها • واستنبطوا عيونها •
ودخلوا من كل باب من ابوابها • وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها • فقالوا في الخطير
والمهين • وتفننوا في الغث والسمين • وتقاولوا في القل والكثر • وتساجلوا
في النظم والنثر • فراعهم الرسول الكريم • بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد • احكمت اياته • وفصلت كلماته •
وبهرت بلاغته العقول • وظهرت فصاحته على كل مقول • وتظافر ايجازه واعجازه •
وتظاهرت حقيقته ومجازه • وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه • وحوت
كل البيان جوامعه وبدائعه • واعتدل مع ايجازه حسن نظمه • وانطبق

على كثرة فوايده مختار لفظه • وهم أفصح ما كانوا في هذا الباب مجالا • وأكثر في (وأشهر في الخطابة رجالا)
السجع والشعر ارتجالا • وأوسع في الغريب واللغة مقالا • بلغتهم التي بها يتحاورون
ومنازعهم التي منها يتناضلون • صارخا بهم في كل حين • ومقرعا لهم بضعا
وعشرين عاما على رؤوس الملا أجمعين • أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين • وإن كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله ولن تفعلوا • وقل لئن
اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الآية •
وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات • وذلك أن المفترى أسهل • ووضع
الباطل والمختلق على الاختيار أقرب • واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان
أصعب • ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد • وللأول
على الثاني فضل وبينهما شاو بعيد • فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم
أشد التقريع • ويوبخهم غاية التوبيخ • ويسفه أحلامهم • ويحط أعلامهم •
ويشتت نظامهم • ويذم آلهتهم وآباهم • ويستبيح أرضهم • وديارهم وأموالهم •
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته • محجمون عن مماثلته • يخادعون أنفسهم
بالتشغيب بالتكذيب • والاغترا بالافترا • وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر •
وسحر مستمر • وإفك افتراه • وأساطير الأولين • والمباهتة • والرضا بالدنية •
كقولهم قلوبنا غلف • وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب • ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون • والادعاء
مع العجز بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا • وقد قال لهم الله تعالى • ولن تفعلوا
فما فعلوا ولا قدروا • ومن تعاطى ذلك من سخفايهم كمسيلمة كشف عواره
لجميعهم • وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم • وإلا فلم يخف على أهل الميز

منهم

منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم • ولا جنس بلاغتهم • بل ولوا عنه مدبرين •
وأتوا مذعنين • من بين مهتد ومن بين مغلوب • ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة
من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية • قال والله
إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة • وإن أسفله لمغدق • وإن أعلاه لمثمر •
ما يقول هذا بشر • وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر
فسجد وقال سجدت لفصاحته • وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيا • فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام • وحكي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم
على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن
يحسن كلام العرب وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من
كتابكم فتأملتها فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال
الدنيا والآخرة • وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الآية •
وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت
أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه
الآية • فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين •
فهذا نوع من إعجازه • منفرد بذاته • غير مضاف إلى غيره على التحقيق • والصحيح
من القولين • وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أتى به معلوم
ضرورة • وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة • وعجز العرب عن
الإتيان به معلوم ضرورة • وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم
ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة • وسبيل من ليس من أهلها
علم ذلك بعجز المنكرين من أهلها عن معارضته • واعتراف المقرين بإعجاز

ج بطريق وهو الأمير والبطريق القائد ومقدم الجيوش والأمير

بلاغته وأنت إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة • وقوله
تعالى ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب • وقوله تعالى
ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم •
وقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية • وقوله تعالى
فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية • وأشباهها
من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها • وكثرة
معانيها • وديباجة عبارتها • وحسن تأليف حروفها • وتلاؤم كلمها
وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة • وفصولا جمة • وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها • وكثرت المقالات في المستنبطات
عنها • ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف • التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام • ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط
الكلام بعضه ببعض • والتئام سرده • وتناصف وجوهه • كقصة يوسف
عليه السلام على طولها • ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها
على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها • وتناصف
في الحسن وجه مقابلتها • ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها •

فصل الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب
الغريب • المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء
عليه • ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه • ولم يوجد قبله
ولا بعده نظير له • ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه • بل حارت فيه عقولهم
وتدلهت دونه أحلامهم ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر
أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر • ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد

ابن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق له فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما
منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيا من هذا ٠
وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود
العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا هو مجنون
قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيا الا وانا اعرف انه باطل
وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابيه وابنه والمرء
واخيه والمرء وزوجه ٠ والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل
يحذرون الناس ٠ فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا
الآيات ٠ وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم
اترك شيا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما
سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ٠ وقال النضر بن
الحرث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصفه اخاه انيسا
فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في
الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله
عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد
سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم
يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم

لكاذبون • والأخبار في هذا كثيرة • والإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز
والبلاغة بذاتها أو الأسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز
على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج
عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها • وإلى هذا ذهب غير واحد من
أئمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في مجموع
البلاغة والأسلوب وأتى ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب
والصحيح ما قدمناه • والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا • ومن تفنن في
علوم البلاغة وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف
عليه ما قلناه وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه •
فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن
نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر
وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى وقلب
العصا وتسبيح الحصى وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل
مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا
ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من أصحابه
وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن
يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز
وأحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر
لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة • وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال بل
صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الأنف وإباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا

وإلا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع
بالنجح وقطع العذر وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام
وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام • وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد
ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره • فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات
شفاههم • ولا أتوا بنطفة من معين مياههم • مع طول الأمد • وكثرة العدد • بنطفه
وتظاهر الوالد وما ولد • بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا • فهذان
نوعان من إعجازه

فصل الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من
الإخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي أخبر
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين • وقوله تعالى وهم من
بعد غلبهم سيغلبون • وقوله تعالى ليظهره على الدين كله • وقوله تعالى
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية • وقوله
تعالى إذا جاء نصر الله إلى آخرها • فكان جميع هذا كما قال • فغلبت الروم فارس
في بضع سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا • فما مات عليه السلام
وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام • واستخلف المؤمنين في
الأرض • ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى
المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها • وقوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر وإنا
له لحافظون • فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه
من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير
كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه • والحمد لله تعالى •

ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر • وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم
الله بأيديكم الآية • وقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية •
وقوله تعالى لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار الآية •
فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم
وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله تعالى ويقولون في أنفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول • وقوله تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك
الآية • وقوله تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم
آخرين الآية • وقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
إلى قوله وطعنا في الدين • وقد قال مبديا ما قدره الله تعالى واعتقده
المؤمنون يوم بدر • وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون
أن غير ذات الشوكة تكون لكم • ومنه قوله تعالى إنا كفيناك المستهزئين •
ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أصحابه رضي الله عنهم
بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا • وقوله تعالى والله يعصمك من الناس • فكان كذلك
على كثرة من رام ضره وقصد قتله • والأخبار بذلك معروفة صحيحة •

فصل الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم
البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ
من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله
عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته
وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم • وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم
أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم

مثافنة

ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه عن هذا
فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم
وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين
ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما في التورية والانجيل
والزبور وصحف ابرهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على
تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن
شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على
شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم
وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم
اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه
لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين
واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما
حرم عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم
وقوله تعالى ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم
التي نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر
ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وصدق مقالته
واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب
وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك
لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى احضار
ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده

ولم نر او نرا ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدا صحيحا ولا سقيما
من صحفه • قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير الآية فصل هذه الوجوه
الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية • ومن الوجوه البينة في اعجازه
من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى لليهود قل ان كانت لكم الدار
الآخرة خالصة الآية • قال ابو اسحق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة
عند الله
واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن
يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله
عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي
اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل
ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته • قال ابو محمد الاصيلي من اعجب
امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله تعالى بذلك نبيه
صلى الله عليه وسلم يقدم عليه ولا يجيب اليه • وهذا موجود مشاهد لمن اراد
ان يمتحنه منهم • وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة
نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه
من بعد ما جاءك من العلم الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك
ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط
فبقي كبيرهم ولا صغيرهم • ومثله قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا • فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان

دهره

وهذه الاية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في
التي قبلها **فصل** ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم
عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وابانة خطره
وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما
قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهيتهم له • ولهذا قال عليه السلام ان القران
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم • واما المؤمن فلا تزال روعته به
وهيبته اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه
به • قال الله تعالى مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله • وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل الاية • ويدل
على ان هذا شئ خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره
كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا
والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم
من اسلم لها لاول وهلة وامن به ومنهم من كفر • وحكي في الصحيح
عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء ام هم
الخالقون • الى قوله المسيطرون • كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك
اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله
عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى
قوله تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في
النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل
النبي صلى الله عليه وسلم يقرا وعتبة مصغ له ملق يديه خلف ظهره

مغمضٌ عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه
حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حُكي عن غير واحد ممن
رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي
ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل
يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان
هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته
وكان يحيى بن حكم الغزال بليغ الاندلس في زمنه فحكي انه
رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج
بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة

فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية
لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت
بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة
آياته الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمس مائة [عام] سنة
وخمس وثلثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة
ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة
علم اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة
والملحد فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء

يؤثر في معارضته • ولا ألف كلمتين في مناقضته • ولا قدر فيه على مطعن
صحيح • ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح • بل المأثور عن كل
من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه • والنكوص على عقبيه • فصل
وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة منها
أن قارئه لا يمله • وسامعه لا يمجه • بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة •
وترديده يوجب له محبة • لا يزال غضا طريا • وغيره من الكلام ولو بلغ في
الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد • ويعادى إذا أعيد • وكتابنا
يستلذ به في الخلوات • ويؤنس بتلاوته في الأزمات • وسواه من الكتب لا
يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك
اللحون تنشيطهم على قراءتها • ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره • ولا تفنى عجائبه • هو
الفصل ليس بالهزل • لا يشبع منه العلماء • ولا تزيغ به الأهواء • ولا تلتبس
به الألسنة • هو الذي لم تنته الجن حين سمعته إلى أن قالوا إنا سمعنا
قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد • ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب
عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام
بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع
فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم
ببراهين قوية وأدلة بينة • سهلة الألفاظ موجزة المقاصد • رام المتحذلقون
بعد أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق
السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم • وقال تعالى قل يحييها الذي
أنشأها أول مرة • وقال تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا • إلى ما حواه

من علوم السير وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة
ومحاسن الاداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القران
من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم ان الله انزل هذا القران امرا
وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم
ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه
هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم
به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى
صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره
قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله
المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد
ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان ولا يتشانا
فيه نبأ الاولين والاخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه
وسلم اني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها اعينا عميا واذانا صما
وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب
رضي الله عنه عليكم بالقران فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى
ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى
هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع
كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ومنها
جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القران وحسن

وصفه
رصفه وإعجازه وبلاغته • وأنه أتى في البلاغة أمره ونهيه • ووعده ووعيده •
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معًا من كلام واحد وسورة
منفردة • ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد • ولم يكن في حيز
المنثور • لأن المنظوم أسهل على النفوس • وأوعى للقلوب • وأسمع في الآذان •
وأحلى على الأفهام • فالناس إليه أميل • والأهواء إليه أسرع • ومنها تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه • وتقريبه على متحفظيه • قال الله تعالى ولقد يسرنا
القرآن للذكر • وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجمّاء على مرور
السنين عليهم • والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب مدة • ومنها
مشاكلة بعض أجزائه بعضًا • وحسن ائتلاف أنواعها • والتئام أقسامها • وحسن
التخلص من قصة إلى أخرى • والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه
وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي • وخبر • واستخبار • ووعد ووعيد •
وإثبات نبوة • وتوحيد • وتقرير • وترغيب • وترهيب • إلى غير ذلك من فوائد
دون خلل يتخلل فصوله • والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته
ولانت جزالته • وقل رونقه • وتقلقلت ألفاظه • فتأمل أول ص وما جمع
فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم
وما ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به • والخبر عن اجتماع
ملائهم على الكفر • وما ظهر من الحسد في كلامهم • وتعجيزهم وتوهينهم • ووعيدهم
بخزي الدنيا والآخرة • وتكذيب الأمم قبلهم • وإهلاك الله لهم • ووعيد هؤلاء
مثل مصابهم • وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم • وتسليته بكل ما
تقدم ذكره • ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام •
وأحسن نظام • ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة •

وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن الى وجوه كثيرة ذكرها
الأئمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان نعدّها فنا منفردا
في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة • وكذلك كثير مما قدمنا ذكره
عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه • وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة
التي ذكرناها • فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي
لا تنقضي • وبالله التوفيق فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس • قال الله
تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته • وأجمع
المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه •
حدثنا القاضي سراج بن عبد الله حدثنا الأصيلي حدثنا المروزي حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن
ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم • وفي بعض
طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل
بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة • وزاد فقال كفار قريش
سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا
يبلغ من سحره ان يسحر الأرض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا
هذا فأتوا فسئلوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن
الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى ينظروا
أرأوا ذلك أم لا فأخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا فقالوا يعني الكفار

قوله بلفظ الماضي ... [illegible]

يعنون النبي عم وابو كبشة اسم رجل خالف قريش في عبادة ... فشبهه النبي عم به

هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله
وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم اجمعين فقال
علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه
وسلم وعن انس رضي الله عنه سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان
يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حراء بينهما ورواه عن
انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه
فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد
وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس رضي الله عنهما عبيد الله بن عبد الله
بن عتبة ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما مجاهد ورواه عن حذيفة ابو
عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه الاحاديث
صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم
يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض
انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم
لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل
الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما
هو من مقابليهم من اقطار اهل الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال
ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها
كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم
واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع
التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به

فرقتين

بالليل

ولذلك ما يكون الكسوف القمري كثيراً في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر
وكثيراً ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام
تظهر في الأحيان بالليل في السما ولا علم عند أحد منها وخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن أسما بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه انه
الشمس قالت أسما فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت ووقفت
على الجبال والأرض وذلك بالصهبا في خيبر قال وهذان الحديثان
ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي
لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسما لأنه من علامات النبوة وروى
يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن إسحق لما أسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجي
قال يوم الأربعا فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى
النهار ولم تجي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة
وحبست عليه الشمس فصل في نبع الما من بين أصابعه وتكثيره ببركته
صلى الله عليه وسلم أما الأحاديث في هذا فكثيرة جداً روى حديث
نبع الما من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة رضي الله عنهم
منهم أنس وجابر وابن مسعود حدثنا أبو إسحق إبرهيم بن جعفر الفقيه
رحمه الله بقراءتي عليه حدثنا القاضي عيسى بن سهل حدثنا أبو القاسم حاتم
ابن محمد حدثنا أبو عمر ابن الفخار حدثنا أبو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى

حدثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رضي الله عنه
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت الماء
ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند اخرهم ورواه ايضا
عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد يغمر قال كم كنتم
قال زهاء ثلثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا
حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود
ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء
فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر رضي الله عنه
عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي
صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة .
وروي مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد
ابن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث
بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم

فغمره ولم يتكلم بشيء لا ادري ما هو • وقال صلى الله عليه وسلم ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه • وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده
في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما امره قال
فرايت الما يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت
وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ما وقيل ما
معنا يا رسول الله ما غيرها فسكبها في ركوة كانت معه ووضع اصبعه وسطها
وغمسها في الما وجعل الناس يجيئون ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي
وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة
لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه لما
جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء
قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم ينكر احد من
الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم لهم فصل ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم
تفجير الما ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك رضي الله عنه في
الموطا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم قد وردوا
العين وهي تبض بشي من ما مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى
اجتمع في شي ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها فجرت بما كثير فاستقى الناس • قال في حديث ابن اسحق فانخرق
من الما ما له حس كحس الصواعق • ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة

ان

أن نرى ما هاهنا فدعا بنبي حبانا وفي حديث البراء وسلمة بن الأكوع وحديثهما
أتم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها قال البراء وأتي بدلو منها فبصق ودعا وقال سلمة فإما دعا وإما
بصق فيها فجاشت فأرووا أنفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايات
في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فأخرج صلى الله عليه وسلم
سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى ضربوا
بعطن وعن أبي قتادة رضي الله عنه وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم العطش في بعض أسفاره فدعا بالميضأة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله أعلم نفث فيها أم لا فشرب الناس حتى رووا وملؤوا
كل إناء معهم فخيل إلي أنها كما أخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا
وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري حديث أبي قتادة على غير ما
ذكره أهل الصحيح وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لأهل مؤتة عند
ما بلغه قتل الأمراء وذكر حديثا طويلا فيه آيات ومعجزات للنبي صلى الله
عليه وسلم وفيه إعلامهم أنهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضأة
قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم أنه قال لأبي قتادة احفظ علينا
ميضأتك فإنه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين
حين أصاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عطش في بعض أسفارهم
فوجه رجلين من أصحابه وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا معها بعير
عليه مزادتان الحديث فوجداها وأتيا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل في إناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم أعاد الماء في

ضربوا

المزادة لا يعرف اسمها وقد أسلمت بعد رؤية المعجزة عن النبي عم

المزادتين ثم فتحت عزاليهما وأمر الناس فملؤوا أسقيتهم حتى لم يدعوا
شيئاً إلا ملؤوه قال عمران ويخيل إليّ أنهما لم تزدادا إلا امتلاءً ثم أمر
فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها وقال صلى الله عليه وسلم اذهبي فإنا
لم نأخذ من مائك شيئاً ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن
الأكوع رضي الله عنه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل
بإداوة فيها نطفة فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة
أربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر
ما أصابهم من العطش حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه
فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه
فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت فملؤوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب رضي الله عنه أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه
وسلم وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال اشرب. والحديث في هذا
الباب كثير ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء وما جانسه **فصل**
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن
ابن أعين حدثنا معقل عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى
النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل
منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال
صلى الله عليه وسلم لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث

أبي طلحة

أبي طلحة المشهور وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلاً من
أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده أي إبطه فأمر بها ففتت وقال فيها
ما شاء الله أن يقول. وحديث جابر رضي الله عنه في إطعامه يوم الخندق
ألف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر رضي الله عنه فأقسم بالله
لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك. رواه
عن جابر سعيد بن ميناء وأيمن. وعن ثابت مثله عن رجل من الأنصار
وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل من في البيت والحجرة والدار وكان
ذلك قد امتلأ ممن قدم معه عليه السلام لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الإناء. وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولأبي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال
ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوه وما
خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع. قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة
وثمانون رجلاً. وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه أتي النبي صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد
آخرون. ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من
طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة
إلا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون

ونصابي القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن
ابي عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن
الخطاب رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجا الرجل بالحثية من
الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على
نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في
الجيش وعا الا ملوه وبقي منه وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني النبي
صلى الله عليه وسلم ان ادعوله اهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شينا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان
فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو
ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعوله قوما سماهم
وكل من لقيت حتى امتلا البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلث اصابعه وجعل القوم يتغدون
ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفي
رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا زها ثلثمائة وانهم اكلوا
حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت
وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ان فاطمة
رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا رضي الله عنه الى النبي

صلى الله عليه وسلم لسعد اسعفها فأمرها فعرفت به الجيش بأسره صحفة
ثم عرفت له عليه السلام ولعلي رضي الله عنه تمرها ثم رفعت الفضلة وإنها
لتفيض فأكلنا منها ما شاء الله • وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال
اذهب فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي
بحاله • من رواية دكين الأحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
ابن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة ومن ذلك
حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل
ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله
عليه وسلم بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها
ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل
سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم • قال وكان الغرماء يهود فتعجبوا من ذلك
وقال أبو هريرة رضي الله عنه أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت شيء من التمر في المزود قال فأتني به
فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع لي عشرة
فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال
خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر
مما جئت به فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن قتل عثمان فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله
وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة

ومنها ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه فامره ان
يدعو اهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه
شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم
فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم
قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب
فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي
بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب
الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر للنبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عيالهم عظما وان النبي عظماء
صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلها في دلو خالد ودعا
له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي
ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد
او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها
ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة
فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه رضي الله عنهن وقال كلن واطعمن
من غشيكن وفي حديث انس رضي الله عنه تزوج النبي صلى الله عليه وسلم
فصنعت امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع
احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤوا الصفة

الحى

والحزرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن
يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت
كان أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة في
الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة
رضي الله عنهم رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم
وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق
ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر **فصل** في كلام الشجرة وشهادتها له الشجر
بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم **حدثنا** أحمد بن محمد بن غلبون
الشيخ الصالح فيما أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن
أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي حدثنا أبو حيان
التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال صلى الله عليه
وسلم يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو قال
تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من
يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها
فإنها تجيبك فدعاها فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم رجعت إلى مكانها **وعن** بريدة رضي الله عنه
سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها واستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي ان اقبل يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله تعالى فالتأمتا وفي رواية اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن

فقال

لها

البعير الذي يجعل في انفه خشاش وهو عود يربط عليه حبل يذلل به لينقاد

وأما النصف بكسر الميم فالخادم [illegible]

الحضر العدو

تنزيه

فوالذي

فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي
نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال
يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من
هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية أشاءتين وعن
غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة
أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة
جاءت فأطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنها استأذنت أن تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد
عن ابن مسعود رضي الله عنهما في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل
الحديث الأول أو نحوه قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه
فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد
وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد
اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين
أضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك أنه
صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة
فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه أن جبريل عليه السلام

الودية الصغيرة من الفسيل وجمعها ودي [illegible] على فعيل والفسيل صغار النخل

قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع
تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت
إلى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال
اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وحزنه
لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن إسحق أن النبي صلى الله
عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت
بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن رضي الله عنه أنه عليه
السلام شكا إلى ربه من قومه أنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا
مخافة عليه فأوحى الله تعالى إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع
غصنا منها يأتيك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى انتصب بين يديه
فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا
مخافة علي • ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها
وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي
أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه
الترمذي وقال هذا حديث حسن فصل في قصة حنين الجذع ويعضد
هذه الأخبار حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر
والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر
منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر
وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأم سلمة •

الحنين الشوق وتوقان
النفس والأنين مثل أن الرجل
يأن أنينا بالكسر أيضا وأنانا
بالضم أيضا انانا لكرد بالفارسية
في الأسماء

والمطلب

والمطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهم كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد
مسقوفا على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم
إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت
العشار وفي رواية أنس رضي الله عنه حتى ارتج المسجد بخواره وفي
رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب حتى تصدع
وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد
غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد
غيره والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيمة
تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحق
عن أنس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو جعل
في السقف وفي حديث أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم
صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض
وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى
إلى نفسه فجاء يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث
بريدة رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك
إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد
لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك
ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني
في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه

من بيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء على دار الفناء

فكان الحسن رضي الله عنه اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة

تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فانتم احق

ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله

ابن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب

وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحق بن ابي طلحة

ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة وابو الوداك عن ابي

سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس رضي الله عنهما وابو حازم وعباس

ابن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله

ابن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل

رحمه الله ورضي عنه فهذا حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه من

الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره ومن

دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن

عيسى التميمي حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب

ابو القاسم حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري

حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري حدثنا

اسرائيل عن منصور عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال

لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود

رضي الله عنه كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن

نسمع تسبيحه وقال انس رضي الله عنه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا

من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح
ثم صبهن في يد أبي بكر رضي الله عنه فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن وروى
مثله أبو ذر وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي رضي الله عنه
كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما
استقبله شجرة ولا جبل إلا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر
ابن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قيل إنه
الحجر الأسود وعن عائشة رضي الله عنها لما استقبلني جبريل عليه السلام
بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر
بحجر ولا شجر إلا سجد له وفي حديث العباس رضي الله عنه إذ اشتمل
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستره إياهم بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وعن جعفر بن محمد عن أبيه رضي الله عنهم مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه
جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه صلى الله عليه وسلم
فسبح وعن أنس رضي الله عنه صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
وعثمان رضي الله عنهم أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي
وصديق وشهيدان ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه علي وطلحة
والزبير رضي الله عنهم وقال فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد والخبر
في حراء أيضا عن عثمان رضي الله عنه قال ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم
وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد
أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم

حين طلبته قريش فقال له ثبير اهبط يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء إليّ يا رسول الله وروى ابن عمر رضي الله
عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره
ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر
حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان حول البيت
ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده إليها ولا يمسها
ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع لقفاه
ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما
يعيد ومن ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم مع الراهب في ابتداء أمره إذ
خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد فخرج وجعل يتخللهم
حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه
الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر
ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا تسجد إلا لنبي وذكر القصة ثم قال وأقبل
صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه
إلى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء إليه فصل في الآيات في ضروب
الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ حدثنا أبي حدثنا
القاضي يونس حدثنا أبو الفضل الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن
أبيه وجده قالا حدثنا أبو العلاء أحمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا
يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا

داجن فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرّ وثبت مكانه
فلم يجئ ولم يذهب وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب
وروي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في
محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبًّا فقال من هذا قالوا نبي الله
قال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين
يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه فسمعه
بلسان مبين يسمعه القوم جميعًا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة يا رسول الله
قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله
وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين
وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي
ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه بينا راع يرعى غنمًا له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه
فأقعى الذئب وقال للراعي ألا تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي
العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من تكلم
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد
سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول
وروي حديث الذئب عن أبي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق له
عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفًا على غنمك وتركت نبيًّا لم يبعث
الله نبيًّا قط أعظم منه عنده قدرًا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف
أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب

فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع
فأسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي
صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها
بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس
وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو
ابن الاكوع وأنه كان صاحب هذه القصة ايضا وسبب إسلامه بمثل
حديث أبي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لأبي سفين
ابن حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي
الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب من ذلك محمد بن
عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفين
واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل
هذا الخبر وانه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا طائر سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام وأنت جالس فكان سبب
اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم
وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال
يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك
ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس
رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر
ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر رضي الله عنه

نحن أحق بالسجود لك منها الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في
الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر
قال وكان لا يدخل أحد الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه
وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن
والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل أن
النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي
رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه شكى كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية أنه شكى إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل
من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه
وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش
عنها ونداءهم لها إنك لمحمد وأنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت
ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي صلى الله عليه
وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم والمغيرة
ابن شعبة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر شجرة
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم
الغار وفي حديث آخر أن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له
ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله
عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن

إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم

الله

٤

اليه بأبهن بنداً وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه
وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما
وأرجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه
الاعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية فأطلقها
فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله
ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فعرفه انه
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه أن سفينة تكسرت
به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت أنا مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ صلى الله عليه وسلم
بأذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها
ميسماً وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم يعفوراً وأنه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات
تردى في بئر جزعاً وحزناً فمات وحديث الناقة التي شهدت عند
النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي العنز
التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا
على غير ماء وهم زهاء اربعمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأروى

الخندق ثم قال للرابع أمسكها وما أراك تربطها فوجدها قد انطلقت
رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي
جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلوة
في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله
قبلته فما حرك عضوا حتى صلى عليه السلام والحديث في هذا الباب كثير
وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الأئمة ويلتحق
بهذا ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله للملوك
خرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم
الذي بعثه إليهم والله الموفق فصل في إحياء الموتى وكلامهم وكلام
الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا أبو الوليد هشام بن
أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو
عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا حدثنا أبو علي
الحافظ حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا
أحمد بن سعيد حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا وهب بن بقية
عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها
مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت
إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك
قال فأمر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث أنس وفيه قالت أردت
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا أنقتلها قال لا وكذلك

رُوِيَ عن أبي هريرة من روايته عنه وفيه قال فما عرض لها وَرَوَاهُ أيضا جابر
ابن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية
الحسن أن فخذها تكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت
إني مسمومة قال ولم يعاقبها • وكذلك ذكر الخبر ابن إسحاق وقال فيه فتجاوز
عنها وفي الحديث الآخر عن أنس رضي الله عنه أنه قال فما زلت أعرفها
في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت أكلة
خيبر تعادني فالآن أوان قطعت أبهري وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما
أنه دفعها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها • وكذلك قد اختلف في قتله
الذي سحره • وقال الواقدي وعفوه عنه أثبت عندنا وروي أنه قتله
وحكى ابن سحنون كان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل
الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد
ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر رضي الله عنهم
وروى الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله إلا أنه قال في آخره
فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا أحدا
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة
أهل الصحيح وخرجه الأئمة وهو حديث مشهور • واختلف أئمة أهل
النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة
الميتة أو الحجر أو الشجرة وحروف وأصوات يحدثها الله فيها ويسمعها
منها دون تغيير أشكالها ونقلها عن هيئتها • وهو مذهب الشيخ أبي الحسن

والقاضي

الأبهر ... عرق ... يكتنف الصلب والقلب ... فإذا انقطع فلا حياة لصاحبه ... شرح

والقاضي أبي بكر رحمهما الله • وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها أولاً ثم
الكلام بعده وحُكي هذا أيضاً عن شيخنا أبي الحسن وكلٌّ محتمل والله أعلم إذ لم
نجعل الحياة شرطاً لوجود الحروف والأصوات إذ لا يستحيل وجودها مع
عدم الحياة بمجردها فأما إذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط
الحياة لها إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي خلافاً للجبائي من بين سائر
متكلمي الفرق في إحالته وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من
حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات والتزم ذلك
في الحصى والجذع والذراع وقال إن الله تعالى خلق فيها حياة وخرق لها فماً ولساناً
وآلة أمكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم
بنقل تسبيحه أو حنينه ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئاً من ذلك
فدل على سقوط دعواه مع أنه لا ضرورة إليه في النظر والموفق الله وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بصبي قد شب لم يتكلم
قط فقال من أنا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رأيت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجباً جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب
فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن
الحسن رضي الله عنه أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له أنه طرح بُنية
له في وادي كذا فانطلق معه إلى الوادي وناداها باسمها يا فلانة أجيبي
بإذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها إن أبويك قد
أسلما فإن أحببتِ أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله

ح أو كذا

مطلب [illegible]

خير لي منهما وعن أنس رضي الله عنه أن شابا من الأنصار توفي وله أم عجوز
عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم إن كنت تعلم
أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحمل علي هذه المصيبة
فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبيد الله بن
عبيد الله الأنصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد
وعثمان البر الرحيم فنظرنا فإذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه
أن زيد بن خارجة خر ميتا في بعض أزقة المدينة فرفع وسجي إذ سمعوه
بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول أنصتوا أنصتوا فحسر عن وجهه
فقال محمد رسول الله النبي الأمي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول
ثم قال صدق صدق وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك
يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل
في إبراء المرضى وذوي العاهات أخبرنا أبو الحسن علي بن مشرف فيما أجازنيه
وقرأته على غيره قال حدثنا أبو إسحق الحبال قال حدثنا أبو محمد بن النحاس
حدثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن إسحق
حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة أحد
بطولها قال وقالوا قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت وأصيبت
يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروى قصة

قتادة

قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها
أبو سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم
ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف
أن أعمى قال يا رسول الله ادع الله لي أن يكشف لي عن بصري قال فانطلق
فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيّ محمدٍ نبيّ
الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في
قال فرجع وقد كشف الله عن بصره وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه
استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض
فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه
بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال
فريك أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين
ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد وتفل في عيني
علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث على ضربة
بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها
السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم
يوم الخندق إذ انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب
فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله
فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل
يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت • رواه ابن وهب

ومن روايته ايضا ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونفث عليه حتى صح واتته امراة من خثعم معها صبي به بلا لا يتكلم
فاتي بما فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها ان تسقيه وتمسه
به فبرا الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما
جات امراة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل
الجرو الاسود فسعى وانكفات القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل
فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه وكانت في كف الجعفي سلعة
تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم
فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما
وهو ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحيا فقالت انما اريد
من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسال شيا فيمنعه
فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما لم تكن امراة بالمدينة اشد
حيا منها فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا باب
واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم
وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جا في حديث حذيفة
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا ابو محمد العتابي بقراتي عليه حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد المروزي
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا عبد الله بن ابي الاسود حدثنا
حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه قال قالت امي ام سليم

ثع ثعة

شرحبيل

برسول الله خادمك أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك
له فيما أعطيته ومن رواية عكرمة قال أنس والله إن مالي لكثير وإن ولدي
وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما أعلم أحداً
أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي
لا أقول سقطاً ولا ولد ولد ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن
ابن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته
ذهباً وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت
فيه الأيدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفاً وكن أربعاً وقيل مائة ألف
وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفاً
وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة
أعتق يوماً ثلاثين عبداً وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت
عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وبأحلاسها ودعا
صلى الله عليه وسلم لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن
أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له ۞ ودعا
صلى الله عليه وسلم بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه أو بأبي جهل فاستجيب
له في عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة
منذ أسلم عمر رضي الله عنه وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش
فسأله عمر الدعاء فدعا صلى الله عليه وسلم فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم
ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا
وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان
أحسن الناس ثغراً إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين

وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره
فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة

ومائة سنة. وقيل اكثر من هذا ودعا صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي
الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد الحبر وترجمان
القرآن ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه
فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا صلى الله عليه وسلم للمقداد رضي الله عنه
بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا صلى الله عليه وسلم بمثله
لعروة بن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم بالكناسة فما ارجع حتى اربح
اربعين الفا وقال البخاري في حديثه فكان لو اشترى التراب ربح
فيه وقال صلى الله عليه وسلم لابي قتادة افلح وجهك اللهم بارك
له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة
وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها اعصار
ريح حتى ردها عليه ودعا صلى الله عليه وسلم لام ابي هريرة فاسلمت
ودعا صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ان يكفى الحر والقر
فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه
حر ولا برد ودعا صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي الله عنها ان الله
ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد وسأله صلى الله عليه وسلم الطفيل
ابن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال
يا رب اخاف ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في
الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا صلى الله عليه وسلم على مضر فاقحطوا
حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا صلى الله عليه وسلم
على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا
بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا ودعا صلى الله عليه وسلم على صبي

[illegible]

قطع علينا الصلوة ان يقطع الله أثره فأقعد وقال صلى الله عليه وسلم لامرأة
أكلك الأسد فأكلها وقال صلى الله عليه وسلم لرجل يأكل بشماله كل
بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه وقال
صلى الله عليه وسلم لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فأكله الأسد وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود وفي
دعائه صلى الله عليه وسلم على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو
ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر •
ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه وسلم اي لا تراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا
صلى الله عليه وسلم على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري
فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة • الصدان جانب
الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله
عليه وسلم ترد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم
ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها اي رافعة
وهذا الباب أكثر من أن يحاط به فصل في كراماته وبركاته وانقلاب
الأعيان له فيما باشره أو لمسه صلى الله عليه وسلم حدثنا احمد بن محمد •
حدثنا ابو ذر الهروي اجازة • وحدثنا القاضي ابو علي سماعا • والقاضي ابو
عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي حدثنا ابو
ذر حدثنا ابو محمد • وابو اسحق • وابو الهيثم حدثنا الفربري • حدثنا البخاري •
حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان اهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي

الحمد لله
[illegible]

سقط من اصل الشفا
عبد الاعلى بن حماد شيخ البخاري
وهو ثابت في اصل البخاري ولا
بد منه ليتصل الاسناد اهـ

القطوف من الدواب البطيء صح

طلحة كان يقطف او به قطاف وقال عمره يبطأ فلما رجع قال وجدنا فرسك
بحرا وكان بعد لا يجارى وتحمّل جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان
ما يملك زمامه وصنع صلى الله عليه وسلم مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي خفقها
بمخفقة معه وبرّك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها باثني عشر
الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت
شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها
قتالا الا رزق النصر وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما
انها اخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم
ابن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم
فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب
من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته
فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء
فما نزفت بعد وبزق صلى الله عليه وسلم في بئر كانت في دار انس فلم يكن
بالمدينة اعذب منها ومرّ على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح
فقال صلى الله عليه وسلم بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى صلى الله عليه وسلم
بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن والحسين رضي الله عنهما
لسانه صلى الله عليه وسلم فمصّاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام
مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها
يسألونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم

ادمها

أدمتها حتى عصرتها وكان صلى الله عليه وسلم يتفل في أفواه الصبيان المراضع
فيجزيهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه
وغرسه لسلمان رضي الله عنه حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها
لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها
له بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي
صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه
إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها
وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من الذهب (ذهبة) بعد أن أدارها على لسانه فوزن
منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن
عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب أولها وشربت
آخرها فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا
ظمئت وأعطى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة
مظلمة مطيرة عرجونا وقال عليه السلام انطلق به فإنه سيضيء لك من
بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا
فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل
بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب
وقال صلى الله عليه وسلم اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده
سيفا صارما طويل القامة أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده
يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف
يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب (نخل)
النخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه

غيره

الحوامل

الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة أم معبد • وأعنز معوية بن ثور • وشاة أنس
وغنم حليمة مرضعته وشارفها • وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها
فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده صلى الله عليه وسلم أصحابه رضي الله عنهم
سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلوة نزلوا فحلوه فإذا
هو لبن طيب وزبدة في فمه • من رواية حماد بن سلمة ومسح صلى الله عليه وسلم وبرك ع
على رأس عمير بن سعد وبارك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروي مثل
هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد
لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان
جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على رأس قيس
بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة ورأسه أبيض وموضع كف
النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان يدعى الأغر
وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه آخر فما زال
على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده صلى الله عليه وسلم على رأس حنظلة
بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم
ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان وجه امرأة في ع
من الجمال ما بها ومسح على رأس صبي به عاهة فبرئ واستوى شعره وعلى غير
واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرئوا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل به
أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وعن طاوس لم يؤت

النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ به من يضحك في صفته الأذهب. المثل
الحنون ومجّ صلى الله عليه وسلم في دلو من بئر ثم صبّ فيها ففاح منها ريح
المسك وأخذ قبضة من تراب يوم حنين فرمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم وشكى إليه
أبو هريرة النسيان فأمره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل
فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن
عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب
وأثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو
صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل
ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون. والأحاديث في هذا
الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة معجزاته
المعلومة صلى الله عليه وسلم على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة
رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الإمام أبو بكر محمد
ابن الوليد الفهري إجازة وقرأته على غيره قال أبو بكر حدثنا أبو علي التستري.
حدثنا أبو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي حدثنا أبو داود حدثنا عثمان
ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في
مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من
نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره
كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه. ثم قال
حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله

القذا مقصور وهو ما يسقط في العين وكذا ما يسقط في الشراب

طالهم وعلاهم

صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة
فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء
الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه
مما وعدهم به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا
تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء
وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح
في اخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ
وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم
بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم
وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى
لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل
فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج
وقال صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض
فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان
امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة

الفتن

حث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب
ولا في الشمال مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل الغرب
ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب
لانهم المخصوصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره ذهب الى انهم اهل المغرب
وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث اخر من رواية ابي امامة
لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله
وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر صلى الله
عليه وسلم بملك بني امية وولاية معوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا
وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج
المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه
وان اشقاها الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم
النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة
وطائفة ممن ينتسب اليه من الروافض كفروه وقال صلى الله عليه وسلم
يقتل عثمان وهو يقرا المصحف وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم
يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وان الفتن
لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على
بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت
على عايشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية
فقتله اصحاب معوية وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير ويل للناس
منك وويل لك من الناس وقال صلى الله عليه وسلم في قزمان وقد ابلى مع
المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال صلى الله عليه وسلم في جماعة فيهم

منهم

ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
بها وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش
ما اقاموا الدين وقال صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير
فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا
به وانذر بالردة وبان الخلافة بعده ثلثون ثم ملكا فكانت كذلك بمدة
الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر بدا نبوة
ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة
وفسادا في الامة واخبر صلى الله عليه وسلم بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون
الصلوة عن وقتها وسيكون في امته ثلثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي
حديث آخر ثلثون دجالا كذابا احدهم الدجال الكذاب كلهم يكذب
على الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكثر فيكم العجم
ياكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس
بعصاه رجل من قحطان وقال صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم
ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون
ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال صلى الله عليه وسلم لا يأتي زمان
الا والذي بعده شر منه وقال هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش وقال
ابو هريرة رضي الله عنه راويه لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان
واخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الامة
اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل امرهم يتبدد حتى
لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده أثرة واخبر صلى الله عليه وسلم بشأن

وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجه عنه فاني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماء

وجبرية

آخرهم

ويظهر فيهم السمن

خوارج

الخوارج ووصفهم والمخدج الذي فيهم • وأن سيماهم التحليق • وترى رعاة
الغنم رؤوس الناس • والعراة الحفاة يتبارون في البنيان • وأن تلد الأمة
ربتها • وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا • وأنه هو يغزوهم • وأخبر
صلى الله عليه وسلم بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس • وما وعد من
سكنى البصرة • وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة • وأن الدين لو كان
منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس • وهاجت ريح في غزاته فقال
هاجت لموت منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك • وقال صلى الله
عليه وسلم لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد • قال
أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة •
وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله • وبالذي غل الشملة
وحيث هي • وناقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها • وبشأن كتاب
حاطب إلى أهل مكة • وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل
النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله وأطلعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأمر والسر أسلم • وأخبر صلى الله عليه وسلم
بالمال الذي ترك عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري
وغيرها فأسلم • وأعلم صلى الله عليه وسلم بأنه سيقتل أبي بن خلف • وفي عتبة صوابه عتيبة بالتصغير
ابن أبي لهب أنه يأكله كلب الله • وعن مصارع أهل بدر فكان كما قال • وقال
صلى الله عليه وسلم في الحسن رضي الله عنه إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين
فئتين • ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون •
وأخبر صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد
وبموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه • وأخبر صلى الله عليه وسلم فيروز إذ

ورد عليه رسول من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق وتقرر القصة
أسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم أبا ذر بتطريده كما كان وجده في المسجد
نائماً فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام قال فإذا أخرجت
منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده وأخبر صلى الله عليه وسلم أن
أسرع أزواجه لحوقاً أطولهن يداً فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر
صلى الله عليه وسلم بقتل الحسين رضي الله عنه بالطف وأخرج بيده تربته وقال
فيها مضجعه وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن صوحان تسبقه منه عضو
إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه
على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال صلى الله عليه وسلم لسراقة كيف بك إذا ألبست سواري
كسرى فلما أتي بهما إلى عمر رضي الله عنه ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي
سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال صلى الله عليه وسلم تبنى مدينة بين دجلة
ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف بها يعني بغداد والهراة
وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر
لهذه الأمة من فرعون لقومه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقتتل
فئتان دعواهما واحدة وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه في سهيل بن عمرو
عسى أن يقوم مقاماً يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام أبي بكر رضي الله عنه
يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى
بصائرهم وقال صلى الله عليه وسلم لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد
البقر فتحدث هذه الأمور كلها في حياته وبعد موته صلى الله عليه وسلم
كما قال إلى ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم واطلع عليه صلى الله عليه وسلم

من أسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم
ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء
وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاقة
في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان فكان كما قال ووجد على تلك
الصفة وإعلامه صلى الله عليه وسلم قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي
تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل اسم لله
فوجدوها كما قال ووصفه صلى الله عليه وسلم لكفار قريش بيت المقدس
حين كذبوه في خبر الإسراء ونعته إياه نعت من عرفه • وإعلامهم بعيرهم التي
مر عليها في طريقه • وإنذارهم بوقت وصولها فكان كله كما قال صلى الله عليه وسلم
إلى ما أخبر به من الحوادث التي تكون ولم تأت بعد منها ما ظهرت مقدماتها
كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب • وخراب يثرب
خروج الملحمة • وخروج الملحمة فتح القسطنطينية • ومن أشراط الساعة وآيات
حلولها وذكر الحشر والنشر ، وأخبار الأبرار • والفجار والجنة والنار وعرصات
القيامة • وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا مفردا يشتمل على أجزاء وحده
وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند
الأئمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه

قال الله تعالى والله يعصمك من الناس • وقال تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا
وقال تعالى أليس الله بكاف عبده • قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين • وقيل غير
هذا • وقال تعالى إنا كفيناك المستهزئين • وقال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا
الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه • والفقيه الحافظ
أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري • قالا حدثنا أبو الحسين الصيرفي • قال حدثنا

أبو يعلى البغدادي حدثنا أبو علي السنجي حدثنا أبو العباس المروزي حدثنا
أبو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن ابرهيم حدثنا
الحرث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عايشة قالت
كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من
الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها
الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابي فاخترط
سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فأرعدت يد الأعرابي وسقط سيفه
وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت هذه
القصة في الصحيح وأن غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وأن النبي
صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس
وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وقد انفرد من أصحابه
لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روي أنه وقع له
مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وأن الرجل
أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين
ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت أنه ملك وأسلمت وقيل وفيه نزلت
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم
أيديهم الآية وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحرث المحاربي أراد أن يفتك
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه
فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه

وتدر بسنبغه من بدى الرّاحة ورجع الظهر وقيل في قصته غير هذا وذكر أنّ
فيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية استلقى
ثم قال من شا فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب تضع
العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانما يطاها
كثيبا اهيلا وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة
فلما وقفت عليهما لم ترى الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه و
فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت
بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم
حتى اذا رايناه في الصلوة سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي من تهامة احد
فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجينا حتى اذا رايناه جاء الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه ٢٠
وعن عمر رضي الله عنه تواعدت انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجينا منزله فسمعنا له فافتتح وقرا الحاقة ما الحاقة الى فهل
ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر فقال انج وفرا هاربين فكانت
من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة
عندما اخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على
رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذرى التراب على رؤسهم وخلص منهم
وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت الذي نسج

فتسمعنا

عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من
نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد صلى الله عليه وسلم ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام وقصته
صلى الله عليه وسلم مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش
فيه وفي أبي بكر رضي الله عنه الجعائل فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا
قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها
واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله
عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أتينا فقال
لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم
أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله
عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ههنا
وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر أن راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم
قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له
حتى رجع إلى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن إسحق وغيره أبو جهل بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه
وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان
قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فذكر أنه
عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ذاك جبريل لو دنا لأخذه وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي

صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم
وسمع قوله ورجع الى اصحابه ولم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين
القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآية ومن ذلك ما ذكره
ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض
آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله
عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقيل ان قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت وحكى
السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتل عمرو بن
امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما
سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله
فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل
المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد
قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل
فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه
اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق
اجنحة قد ملأت الارض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم انزل الله على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى آخر
السورة ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل
اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع
سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق
فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو

أبغض الخلق إلي فما رفعتها إلا وهو أحب الخلق إلي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت
أمامه أضرب بسيفي وأقيه بنفسي ولو لقيت أبي تلك الساعة لأوقعت به
دونه وعن فضالة بن عمرو أردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو
يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال أفضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث
به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن
قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه ومن مشهور ذلك
خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان
عامر قال له أنا أشغل عنك وجه محمد صلى الله عليه وسلم فاضربه أنت فلم
يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك
بيني وبينه أفأضربك ومن عصمته له أن كثيرا من اليهود والكهنة أنذروا
به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله
حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال عليه
السلام فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له صلى الله عليه
وسلم من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا
والدين ومعرفته بأمور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح
أمته وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء والرسل والجبابرة والقرون
الماضية من لدن آدم إلى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد
أنبائهم وأيام الله فيهم وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم
وأعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة
من الكتابيين بما في كتبهم وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها وإخبارهم
بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على لغات العرب وغريب ألفاظ فرقها

[illegible]

بأموره

والاحاطة

106

١٠٤

فصاحاتها

والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها ومعاني
أشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة والحكم
البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي
لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا إلا من جهة الخذلان
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه
دون طلب إقامة برهان عليه ثم ما أحل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود
عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى الاحتواء على ضروب العلوم وفنون المعارف
كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه
المعارف كلامه فيها قدوة وأصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لأول عابر
وهي على رجل طائر وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا ثلث رؤيا حق ورؤيا يحدث
بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم إذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم أصل كل داء البردة
وما روي عنه صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه من قوله عليه السلام
المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة وإن كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه
وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله صلى الله عليه وسلم خير ما تداويتم به السعوط
واللدود والحجامة والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى
وعشرين وفي العود الهندي سبعة أشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن
آدم وعاء شرا من بطن الى قوله فإن كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
للنفس وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن سبأ أرجل هو أم امرأة أو أرض فقال

رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك
جوابه صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها
بالنسب الى سواله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم حمير راس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان
غاربها وذروتها وقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والارض وقوله صلى الله عليه وسلم في الحوض زواياه سواء وقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون
على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله صلى الله عليه وسلم وهو بموضع
نعم موضع الحمام هذا وقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله
صلى الله عليه وسلم لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله صلى الله عليه
وسلم لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الخط
وحسن تصويرها كقوله صلى الله عليه وسلم لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث
الاخر الذي يروى عن معوية انه كان يكتب بين يديه فقال له الق الدواة وحرف
القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم
وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع
الكتابة والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات
الامم كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية •
وقوله صلى الله عليه وسلم ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث

أبي هريرة رضي الله عنه اشكنبد ردم أي وجع البطن بالفارسية إلى غير ذلك مما لا
يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
أهلها عمره وهو رجل كما قال الله عز وجل أمي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة
من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الأمور ولا عرف
هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الآية • إنما كانت غاية معارف العرب النسب وأخبار أوائلها والشعر
والبيان وإنما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه
ومباحثة أهله عنه • وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل
إلى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما نصصناه إلا
قولهم أساطير الأولين • وإنما يعلمه بشر فرد الله تعالى قولهم بقوله عز وجل
لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين • ثم ما قالوه مكابرة العيان
فإن الذي نسبوا تعليمه إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد
الهجرة ونزول الكثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات • وأما الرومي
فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي
صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء
اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى به والإتيان بمثله بل عن
فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن • نعم وقد كان سلمان
أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم في اسمه بين أظهرهم
يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد
صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ

عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن
الحرث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل الكتب
بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم
الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة
مقامه بمكة من تعليم واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا
بعد كله لكان مجي ما اتى به في معجز القران قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة
ومجليا لكل امر فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر
اياته انباؤه مع الملئكة والجن وامداد الله تعالى له بالملئكة وطاعة الجن له
ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه
وجبريل الاية وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملئكة اني معكم فثبتوا الذين
امنوا وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملئكة
الايتين وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية حدثنا
سفين بن العاص الفقيه سماعا عليه ٭ حدثنا ابو الليث السمرقندي ٭ حدثنا عبد
الغافر الفارسي ٭ حدثنا ابو احمد الجلودي ٭ حدثنا ابن سفين ٭ حدثنا مسلم ٭
حدثنا عبيد الله بن معاذ ٭ حدثنا ابي ٭ حدثنا شعبة ٭ عن سليمان الشيباني ٭ سمع زر
ابن حبيش ٭ عن عبد الله ٭ قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم من
الملئكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسرا مشهور وقد
راهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه السلام

في صورة رجل يسأله عن الإسلام والإيمان وراى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده
جبريل في صورة دحية وراى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها
يوم بدر وبعضهم راى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب وراى أبو
سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها
شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم
حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه وراى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن
وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل
يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن
من أنت قال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في
حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها
بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى وقال عليه السلام إن
شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت
أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة
أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئا وهذا
باب واسع جدا فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت
به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتب من صفته وصفة أمته واسمه

وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وما وجد في ذلك من
اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لوي وسفيان
ابن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به
من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلما يهود
وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التوريه
والانجيل مما قد جمعه العلما وبينوه ونقله عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن
سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علما يهود
وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر واسقف الشام والجارود
وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من
علما النصارى • وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب
واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علما اليهود ممن حمله الحسد
والنفاسة على البقا على الشقا والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع
يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه صلى الله عليه وسلم
واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه
وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر
عن معارضته وابدا ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله صلى الله
عليه وسلم لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار
ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوريه فاتلوها ان كنتم صادقين الى ما
انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى
نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بنت كريز وفاطمة

مر

بن العاص ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته صلى الله عليه
وسلم وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب
واجواف الصور وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب
٥ ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده وما
حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا راسه عندما وضعته شاخصا
ببصره الى السما وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما راته
اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته
حتى ما تنظر الا النور **وقول** الشفا ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه
السلام على يدي واستهل سمعت قايلا يقول رحمك الله واضا لي ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم • وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته
ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته
وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته
وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان
اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا واذا غاب فاكلوا
في غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله
عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته عليه السلام
شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا **ومن ذلك** حراسة السما بالشهب وقطع
رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه من بغض الاصنام والعفة
عن امور الجاهلية وما خصه الله تعالى به من ذلك وحماه حتى في ستره في
الخبر المشهور عند بنا الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه

الحجارة وتعري فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك
قال اني نهيت عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية
ان خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك
لميسرة فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة
رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن
ذلك انه صلى الله عليه وسلم نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة
يابسة فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فاشرفت وتدلت عليه اغصانها
بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما ذكر من
انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم
اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته
وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه
حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه
في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم
الذي سمعوه ألا تنزعوا القميص عنه عند غسله صلى الله عليه وسلم وما روي
من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه رضي
الله عنهم من كراماته وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر وتبرك غير
واحد بذريته فصل قال القاضي ابو الفضل قد اتينا في هذا الباب
على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها
الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر

مطلب

بعمه و ... من الاكابر

الأيسر من غرسه مما ذكره مشاهير الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها
طلباً للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصّي أن يكون ديواناً جامعاً
مشتملاً على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم أظهر من سائر
معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند
نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك
فإن أردته فتأمل فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء صلوات
الله عليهم تقف على ذلك إن شاء الله وأما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله
معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين سورة إنا أعطيناك
الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى أن كل آية منه كيف كانت معجزة
وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت من كلمة أو كلمتين
والحق ما ذكرناه أولاً لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو أقل ما تحداهم به
مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففي القرآن
من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات إنا أعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك
الكوثر أزيد من سبعة آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما
تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه إعجاز أخر من الإخبار
بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من
الغيب كل خبر منها معجز فتضاعف العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر
التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر براهينه ثم الأحاديث الواردة والأخبار الصادرة عنه

عليه السلام في هذه الأبواب وعمّا دلّ على أمره مما أشرنا إلى جملة تبلغ نحوًا
من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فإن معجزات
الرسل صلوات الله عليهم كانت بقدر همم أهل زمانهم وبحسب الفن الذي
سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم أهله السحر بعث
إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدّعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم
ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغنى ما
كان الطب وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما
لم يحتسبوه من إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب
وهكذا سائر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم • ثم إن الله تعالى بعث محمدًا
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها أربعة • البلاغة • والشعر •
والخبر • والكهانة • فأنزل عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة
والإيجاز • والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم • ومن النظم الغريب • والأسلوب
العجيب • الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه • ولا علموا في أساليب الأوزان
منهجه • ومن الإخبار عن الكوائن • والحوادث • والأسرار • والمخبآت • والضمائر •
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان
أعدى العدو • فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرًا • ثم اجتثها
من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم • وجاء من الأخبار عن القرون السالفة •
وأنباء الأنبياء والأمم البائدة • والحوادث الماضية • مما يعجز من تفرغ لهذا العلم
عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبيّنا المعجز فيها • ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة
لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة
بيّنة الحجة لكل أمة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه

سهو المصنف رحمه الله [illegible]

بالية

وإنما

الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل • فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه
صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان • ويتظاهر البرهان • وليس
الخبر كالعيان • وللمشاهدة زيادة في اليقين • والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين •
منها الى علم اليقين • وان كان كل عندها حقا • وسائر معجزات الرسل صلوات
الله عليهم انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها • ومعجزة نبينا صلى الله
عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل • ولهذا اشار عليه السلام
بقوله فيما اخبرنا القاضي الشهيد • حدثنا القاضي ابو الوليد • حدثنا ابو ذر •
حدثنا ابو محمد • وابو اسحق • وابو الهيثم • قالوا حدثنا الفربري • حدثنا البخاري •
حدثنا عبد العزيز بن عبد الله • حدثنا الليث • عن سعيد • عن ابيه • عن ابي هريرة •
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو
اني اكثرهم تابعا يوم القيمة • هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح ان شا الله وذهب غير واحد من العلما في تاويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا عليه السلام الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا يمكن
التخييل فيه • ولا التحيل عليه والتشبيه • فان غيرها من معجزات الرسل قد
رام المعاندون لها باشيا طمعوا في التخييل بها على الضعفا كالقا السحرة حبالهم
وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه • والقران كلام ليس للحيلة
ولا للسحر في التخييل فيه عمل • فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من
المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا لخطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل
والتمويه • والتاويل الاول اخلص وارضى • وفي هذا التاويل الثاني ما يغض الخفي
عليه ويغضي • ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في

مقدور البشر فصرفوا عنها أو على أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان
بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى
لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا ترك
العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلاء
والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع
والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للتعجيز عن الإتيان بمثله والنكول
عن معارضته وأنهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم • وإلى هذا ذهب الإمام
أبو المعالي الجويني • وغيره قال وهذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة
في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن
ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى
أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام من
جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة
ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام
عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عجزهم
عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب مطلب
عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات الأنبياء عليهم السلام حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم
أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم • وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم • وغيرهم من
القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل
بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن

شبه

شبه لهم لحاجتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم
مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا
على المن والسلوى • واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير • والعرب على
جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإن كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى •
ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء
لبه • ولما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى فهموا حكمته وتبينوا
بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا
الدنيا كلها في صحبته صلى الله عليه وسلم وهجروا ديارهم وأموالهم • وقتلوا آباءهم
وأبناءهم في نصرته • وأتى في معنى هذا بما يلوح له رونق • ويعجب منه زبرج لو
احتيج إليه وحقق • لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها
ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها • وبالله أستعين •

وحده

تم نصف الكتاب

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه صلى الله عليه وسلم

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه • وهذا قسم لخصنا فيه الكلام
في أربعة أبواب على ما ذكرناه في أول الكتاب • ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلوة عليه
والتسليم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم

الباب الأول

في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله عليه وسلم • إذا تقرر
بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى
به صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا •
وقال تعالى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله •
وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية • فالإيمان بالنبي محمد عليه السلام

إيمان . إسلام

واجبٌ متعين لا يتم الإيمان إلا به ولا يصح الإسلام إلا معه. قال الله تعالى
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا. حدثنا أبو محمد
الخشني الفقيه بقراءتي عليه. حدثنا الإمام أبو علي الطبري. حدثنا عبد الغافر
الفارسي. حدثنا ابن عمرويه. حدثنا ابن سفين. حدثنا أبو الحسين. حدثنا
أمية بن بسطام. حدثنا يزيد بن زريع. حدثنا روح. عن العلاء بن عبد الرحمن
ابن يعقوب. عن أبيه. عن أبي هريرة رضي الله عنه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما
جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم
على الله تعالى. قال القاضي أبو الفضل والإيمان به عليه السلام هو تصديق
نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
تم الإيمان به والتصديق له كما ورد في الحديث نفسه من رواية عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام إذ قال
أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله. وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد
بالجنان والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحالة المحمودة التامة
وأما الحالة المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق
قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك

نبوته

عبد الله

قوله والإسلام منصوب معطوف على الإيمان الذي اسم إن [illegible]

هذه المحمودة

لرسوله

لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون • اى كاذبون فى قولهم ذلك عن اعتقاد وتصديق وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدقه ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين فى الدرك الأسفل من النار وبقى عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان فى احكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التحكم عنها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه • وللفرق بين القول والعقد ما جعل فى حديث جبريل عليه السلام الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان • وبقيت حالتان اخريان بين هذين احديهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع و للشهادة بلسانه فاختلف فيه • فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان • فلم يذكر سوى ما فى القلب • وهذا مؤمن بقلبه غير عاص لا مفرط بترك غيره • وهذا هو الصحيح فى هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول له مهلة ويعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها غير مخلد • وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادته اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا يفضي الى منبع من الكلام فى الاسلام والايمان وانواعهما فى الزيادة فيهما والنقصان • وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه

دهم

عليها

والعدل

شهادته

لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرناه
غنية فيما قصدناه ان شاء الله تعالى **فصل** واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم
فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به
قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول **وقال** تعالى ورسوله
قل اطيعوا الله والرسول واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون **وقال** تعالى
وان تطيعوه تهتدوا **وقال** تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله **وقال** تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا **وقال** تعالى ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين الاية **وقال** تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل
الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه
قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به مطلب
وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا من
يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه **وسئل** سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام
فقال وما اتاكم الرسول فخذوه **وقال** السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه
والرسول في سننه وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم **ويقال**
اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة **حدثنا** ابو محمد
ابن عتاب بقراءتي عليه حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف
حدثنا محمد بن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبدان حدثنا
عبد الله حدثنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة
رضي الله عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله

[illegible] عبد الله [illegible] عبد الرحمن
[illegible] العتكي المروزي [illegible]
تصدق بالعلم الف
وعاش [illegible] سنة
ومات سنة ١٣١
رحمه الله

ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد
عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته • فطاعته امتثال
لما أمر الله تعالى به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار في دركات جهنم
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا
فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء
فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة رضي الله
عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى قال من
أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي الحديث الآخر الصحيح عنه عليه
السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش
بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجا فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش
فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني
وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل
فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي
محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
ومحمد فرق بين الناس فصل وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء
بهديه صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي
الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت

المأدبة بضم الدال وفتحها طعام يصنع لدعوة أو عرس

ويسلموا تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد
وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الاية
قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول صلى الله عليه وسلم الاقتداء به والاتباع
لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل
هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم ابن عبد الله
قال بمتابعة السنة فامرهم الله بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله تعالى
ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه
على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم
بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن رضي الله عنه ان اقواما قالوا
يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية
وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
ونحن اشد حبا لله فانزل الله تعالى الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله
ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته
لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل الجنيد
تعصي الاله وانت تظهر حبه ۞ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع
ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله تعالى له رحمته
له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري رحمه الله
فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسياتي بعد

في محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه
قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه
بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد حدثنا ابو حفص الجهني حدثنا ابو بكر
الآجري حدثنا ابرهيم بن موسى الجوزي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد
ابن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي
وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه
صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما
امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي
حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه
فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون
عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه
عليه السلام انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم
فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري
ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم
الرسول فخذوه الآية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور

نحدثنا بها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة • مطلب العلم ثلاثة
وعن الحسن بن ابي الحسن البصري رضي الله عنه قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير
من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه السلام ان بني اسرائيل مطلب [illegible] المتمسك [illegible]
افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي ستفترق على ثلث وسبعين كلها في
النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي
وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم من احيا سنتي فقد احياني
ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال
ابن الحرث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل
بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله
ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا
فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه
وسيرته صلى الله عليه وسلم حدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابي تليد
الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ • حدثنا سعيد بن نصر • حدثنا
قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة • قالا حدثنا محمد بن وضاح • حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن اسيد انه سأل عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن
ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله تعالى بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله تعالى
واستكمال لطاعة الله عز وجل وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها
ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور
ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة •
وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا السنة والفرائض واللحن أي اللغة •
وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن
أعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع كما رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي رضي الله عنه حين قرن فقال
له عثمان رضي الله عنه ترى أني أنهى الناس عنه وتفعله قال لم أكن لأدع سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه ألا إني لست بنبي ولا
يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال
ابن عمر رضي الله عنهما صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال أبي بن
كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله تعالى إلا كان
مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحات عنها
ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في
سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة • وانظروا أن يكون عملكم

ان كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم عليهم
السلام وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر رضي الله عنه بحال بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت عليه
السنة فكتب إليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم
الحق فلا أصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه
إلى الله والرسول إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
الشافعي رضي الله عنه ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها
وقال عمر رضي الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا
أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا أدري إلا
أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال أبو عثمان الحيري
من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه
نطق بالبدعة وقال سهل التستري أصول مذهبنا ثلثة الاقتداء بالنبي
صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية
في جميع الأعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن أحمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة
تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا أحمد أبشر
فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما يقتدى بك قلت من
أنت قال جبريل فصل ومخالفة أمره وتبديل سنته صلى الله عليه وسلم
ضلال وبدعة متوعد عليه من الله بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر

مطلب الحيري

مطلب أصول مذهبنا ثلثة

مطلب في فضائل أحمد بن حنبل

الذين

فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وقال
تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا حدثنا أبو محمد عبد الله بن أبي
جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد
حدثنا أبو الحسن القابسي حدثنا أبو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا أحمد
ابن أبي سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم حدثنا مالك
عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال
عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم
قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى أنس رضي الله عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم
من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن أبي رافع عن أبيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر
من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه زاد في حديث المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا
أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم
فنزلت أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام
هلك المتنطعون وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره
أن أزيغ

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على
الزام محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه
لها اذ قرع تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله
واوعدهم بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم
انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو
مما قراته على غير واحد قال حدثنا سراج بن عبد الله القاضي حدثنا ابو
محمد الاصيلي حدثنا المروزي حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا
محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا ابن علية عن عبد العزيز
ابن صهيب عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة
نحوه وعن انس عنه عليه السلام ثلث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان
يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان
يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين
جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي من نفسي التي بين
جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول عليه السلام عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام
لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا

حدثنا محمد بن عتاب بقرأتي عليه • حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد • حدثنا
ابو الحسن علي بن خلف • حدثنا ابو زيد المروزي • حدثنا محمد بن يوسف • حدثنا
محمد بن اسمعيل • حدثنا عبدان • حدثنا ابي • حدثنا شعبة • عن عمرو بن مرة عن
سالم بن ابي الجعد • عن انس رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما اعددت لها من كثير
صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت
يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال
المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود
وابو موسى وانس وعن ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما فقال من احبني واحب هذين
واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك فما
اصبر حتى اجي فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت
الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث اخر كان رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي
اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله
الاية وفي حديث انس رضي الله عنه من احبني كان معي في الجنة فصل
فيما روي عن السلف والائمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا

الطرف البصر اي تحرك كما سبق

القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي حدثنا الجلودي
حدثنا ابن سفين حدثنا مسلم حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن
عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله
ومثله عن أبي ذر وتقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم
لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان
قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن
قلبي طال شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر
رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام
أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي
طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاله للعباس أن تسلم
أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذاك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن ابن إسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو
بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل
وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد
على الظمأ وعن زيد بن أسلم خرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا
في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون

الأخيار

الأخيار. فذكرت قومًا بكاءً بالأسحار. يا ليت شعري والمنايا أطوار، هل تجمعني
وحبيبي الدار. يعني النبي صلى الله عليه وسلم. فجلس عمر رضي الله عنه يبكي. وفي
الحكاية طول. وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه خدرت رجله فقيل له
اذكر أحب الناس إليك يزل عنك، فصاح: يا محمداه، فانتشرت. ولما احتضر
بلال نادت امرأته: واحرباه، فقال: واطرباه، غدًا ألقى الأحبة، محمدًا وحزبه.
ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فكشفته لها، فبكت حتى ماتت. ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة
من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان بن حرب: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا
الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال زيد: والله ما أحب
أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي. فقال أبو
سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا صلى الله عليه وسلم.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم أحلفها
بالله ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة بأرض عن أرض، وما خرجت إلا حبًا
لله ورسوله. ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال: كنت والله
ما علمت صوامًا قوامًا تحب الله ورسوله.

فصل في علامة محبته عليه السلام.

اعلم أن من أحب شيئًا آثره وآثر موافقته، وإلا لم يكن صادقًا في حبه وكان مدعيًا.
فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه. وأولها
الاقتداء به، واستعمال سنته، واتباع أقواله وأفعاله، وامتثال أوامره واجتناب
نواهيه، والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه. وشاهد هذا
قول الله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. وإيثار ما شرعه
وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته. قال الله تعالى: والذين تبوءوا الدار

مطلب
مطلب في علامة محبته

والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وإسخاط العباد في رضا الله تعالى
حدثنا القاضي أبو علي الحافظ رحمه الله. حدثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل
ابن خيرون. قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي. حدثنا أبو علي السنجي حدثنا محمد بن
محبوب. حدثنا أبو عيسى حدثنا مسلم بن حاتم حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري.
عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد
فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي. ومن أحيا سنتي فقد أحبني. ومن أحبني كان
معي في الجنة. فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها
في بعض هذه الأمور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها. ودليله قوله عليه
السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله
عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن أحب شيئا أكثر من ذكره. ومنها كثرة شوقه إلى لقائه صلى الله عليه وسلم
فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم
كانوا يرتجزون. غدا نلقى الأحبة محمدا وصحبه. وتقدم قول بلال. ومثله
قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان. ومن علاماته مع كثرة
ذكره تعظيمه له صلى الله عليه وسلم وتوقيره عند ذكره. وإظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه قال إسحق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه
إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين. منهم من يفعل ذلك
محبة له وشوقا إليه. ومنهم من يفعل ذلك تهيبا وتوقيرا ومنها محبته لمن أحب
النبي صلى الله عليه وسلم وهو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار

وعداوة

وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبّهم فمن احبّ شيا احبّ من يحبّ
وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين رضي الله عنهما اللهم اني احبهما
فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحبّ من يحبّه وقال عليه السلام من احبهما
فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني
فقد ابغض الله وقال عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال صلى الله
عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها
وقال عليه السلام لعايشة رضي الله عنها في اسامة بن زيد احبيه فاني
احبه وقال عليه السلام اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغض الانصار
وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم • فبالحقيقة من احب شيا احب كل شي يحبه • وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس رضي الله عنه
حين راى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا من حوالى القصعة فما زلت
احب الدبا من يومئذ • وهذا الحسن بن علي • وعبد الله بن عباس • وابن جعفر
رضي الله عنهم اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ
بالصفرة اذ راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض ما
ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع
في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته • قال الله تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهولاء اصحابه

عليه السلام قد قتلوا أحبائهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته
وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه
ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى به واهتدى
وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن
تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال
سهل بن عبد الله رحمه الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله مطلب
وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض
الدنيا وعلامة بغض الدنيا ألا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة
وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان
يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله • ومن علامة حبه للنبي صلى الله عليه وسلم
شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما
كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما • ومن علامة تمام محبته • زهد
مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لأبي سعيد
الخدري رضي الله عنه إن الفقر إلى من يحبني منكم أسرع من السيل من أعلى
الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني لأحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني
أحبك ثلاث مرات قال عليه السلام إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا • ثم
ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع بالحقيقة إلى اختلاف مقال • مطلب اختلاف الناس [illegible]

[illegible]

ولكنها اختلاف احوال فقال بعضهم المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه
التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وقال
بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة
مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال اخر ايثار المحبوب
وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب
لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له
واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها • وحقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان فتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه
كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها
مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة
عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف
والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف
بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة في اخرى ما يؤدي
الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته
له من جهة احسانه له وانعامه عليه • فقد جبلت النفوس على حب من احسن
اليها • فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في حقه عليه السلام
فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة • اما جمال
الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب
ما لا يحتاج الى زيادة • واما احسانه وانعامه على امته صلى الله عليه وسلم
فكذلك قد مر منه في اوصاف الله تعالى له من رافته بهم ورحمته لهم وهدايته
اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم

ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا. ويتلوا
عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم.
فاي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين. واي
افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين. اذ كان ذريعتهم
الى الهداية. ومنقذهم من العماية. وداعيهم الى الفلاح والكرامة. ووسيلتهم
الى ربهم. وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقا الدايم
والنعيم السرمد. وقد استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية
شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار. وعادة وجبلة بما ذكرناه انفا لافاضته
الاحسان وعمومه الاجمال. فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين
معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع. فمن
منحه ما لا يبيد من النعيم. ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب. واذا
كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته او
قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته. فمن جمع هذه الخصال على
غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل. وقد قال علي رضي الله عنه في
صفته عليه السلام من راه بديهة هابه. ومن خالطه معرفة احبه. وذكرنا
عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم.

فصل في وجوب مناصحته عليه السلام. قال الله تعالى ولا على الذين لا
يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله
غفور رحيم. قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية. حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراتي عليه. حدثنا الحسين
ابن محمد. حدثنا يوسف بن عبد الله. حدثنا ابن عبد المومن. حدثنا ابو بكر التمار.

قوله واعظم خطرا اي قدرا صح

قال الجوهري واشاد بذكره اي رفع من قدره ويقال اشدت بالشيء رفعته

حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا سهيل بن ابي
صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ابن بشار رحمهم الله
النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان
البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم
نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف النصح فعل
الشيء الذي به الصلاح والملائمة ماخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به
الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له
بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في
محابه والتبعد من مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان
به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه
فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله
عليه وسلم التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله ابو سليمان
وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحيا سنته بالطلب والذب
عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابرهيم اسحق
التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام
بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها
والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في

حياته ونصحا بعد مماته • ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة
من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال الله تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية • وقال تعالى وينصرون الله ورسوله
الاية • واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فالتزام التوقير
والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة
آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير
منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على
ذلك • فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها
كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان مطلب
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي
فقيل بماذا قال صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودي فاعجبتني كثرتهم
فتمنيت اني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي
ذلك وغفر لي • واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم فيه وامرهم
به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور
المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم • والنصيحة
لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم
ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم

امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة واصيلا •
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله • ويا ايها الذين امنوا

الحمد لله [illegible]

لا ترفعوا

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الآيات وقال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا • فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم
إكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضي الله عنهما تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الأخفش تنصروه وقال الطبري تعينوه
وقرئ تعززوه من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهو اختيار ثعلب
قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فاستمعوا له وأنصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء من ذلك
من قتال أو غيره من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقوه به إلى هذا يرجع قول الحسن
ومجاهد والضحاك والسدي والثوري • ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك
فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم • قال الماوردي يعني اتقوه في التقدم • وقال
السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم •
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض
ويرفع صوته • وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه • قال أبو محمد مكي أي لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض • ولكن
عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا
كقوله تعالى في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
على أحد التأويلين • وقال غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين • ثم خوفهم الله تعالى
بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الآية في وفد بني تميم
وقيل في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا
فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الآية

مطلب ثابت بن قيس بن شماس [illegible]

الاولى في مجاورة كانت بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
واختلافٍ جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع
صوته فلما نزلت هذه الآية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط عمله ثم اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر
بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى
ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان
ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك
بعدها الا كأخي السرار وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه كأخي
السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه
فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه صلى الله عليه وسلم وروي صفوان
ابن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري
ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت
وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا لان معناها
ارعنا نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه الا برعايته لهم
بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها
لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره

السرار اي المسارة وهي الكلام سرا [illegible]

دالجلالة

وإجلاله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بحر الأسدي
سماعي عليهما في آخرين قالوا حدثنا أحمد بن عمر حدثنا أحمد بن الحسن حدثنا
محمد بن عيسى حدثنا ابرهيم بن سفين حدثنا مسلم حدثنا محمد بن مثنى وأبو
معن الرقاشي وإسحق بن منصور قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا حيوة
ابن شريح حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن
العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا
له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه وروى الترمذي
عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من ٥
المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره
إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم
إليهما وروى أسامة بن شريك أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله
كأنما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته صلى الله عليه وسلم إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ
إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة
إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا
ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده
وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني
جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت
ملكا في قوم قط مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه وفي رواية إن رأيت ملكا

قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد رأيت قوما
لا يسلمونه أبدا وعن أنس رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل يريدون
ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين وجهه
النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا لأعرابي جاهل سله عن من قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء أرعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد
أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته •
فصل واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه
لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته رضي الله
عنهم قال أبو إبرهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع
ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به
نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله تعالى به قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين
رضي الله عنهم حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري •
وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما أجازونيه • قالوا أخبرنا أبو العباس

أحمد

احمد بن عمر بن دلهاث قال حدثنا ابو الحسن علي بن فهر حدثنا ابو بكر
محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب حدثنا يعقوب
ابن اسحق بن ابي اسرائيل حدثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المومنين
مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع
صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية
وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من ورا الحجرات الاية وان حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر فقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة
وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك
عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم جاوك الاية وقال مالك وقد سيل عن ايوب السختياني ما حدثتكم
عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه فلا اسمع منه غير
انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت
واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك
اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسايه
فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد كنت
ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القرا لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكي
حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلث خصال اما مصليا

مطلب ان حرمته ميتا كحرمته حيا

دائما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد
الذين يخشون الله عز وجل • ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه و
سلم فينظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله بنزف
عليه وسلم • ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع • ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم
فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته • ولقد كنت آتي
صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروى عن قتادة أنه كان إذا سمع
الحديث أخذه العويل والزويل • ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي
وحرمته حيا وميتا سواء • وكان ابن سيرين ربما يضحك فإذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع • وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله
عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب
له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسين بن محمد الحافظ • حدثنا أبو الفضل بن خيرون • حدثنا أبو بكر البرقاني
وغيره • حدثنا أبو الحسن الدارقطني • حدثنا علي بن مبشر • حدثنا أحمد بن سنان القطان •
حدثنا يزيد بن هرون • حدثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون •
قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا
أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى
رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما قريب

من ذا وفي رواية فتربّد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه •
وقال إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مرّ مالك بن أنس رحمه الله
على أبي حازم وهو يحدّث فجازه وقال إني لم أجد موضعاً أجلس فيه فكرهت أن
آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم • وقال مالك جاء رجل إلى ابن
المسيّب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدّثه فقال له الرجل وددت
أنك لم تتعنّ فقال إني كرهت أن أحدّثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذُكر عنده حديث النبي صلى الله
عليه وسلم خشع • وقال أبو مصعب كان مالك بن أنس رحمه الله لا يحدّث بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالاً له • وحكى مالك ذلك عن
جعفر بن محمد • وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدّث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدّث قال مصعب فسئل عن ذلك
فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم • قال مطرّف كان إذا أتى الناس
مالكاً خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل
فإن قالوا المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيّب
ولبس ثياباً جدداً ولبس ساجه وتعمّم ووضع على رأسه رداءه وتُلقى له منصّة فيخرج
فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخّر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصّة إلا إذا حدّث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحبّ أن أعظّم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدّث به إلا على طهارة متمكناً قال وكان
يكره أن يحدّث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال أحبّ أن أُفهم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم • قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدّثنا فلدغته

عقرب ستة عشر مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله
لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم • فقال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن
حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي • وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر
ان هشام بن الغازي سأل مالكا وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا •
قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران •
وكان قتادة يستحب ان لا تقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا
يحدث الا على طهارة • وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم
فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه رضي الله عنهم اجمعين كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح
رضي الله عنهم قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية
وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو احمد بن محمد العدل من كتابه
وكتبت من اصله • حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني • حدثتني ام القاسم بنت الشيخ
ابي بكر الخفاف • حدثني ابي • حدثنا حاتم هو ابن عقيل • حدثنا يحيى هو ابن اسمعيل •
حدثنا يحيى هو الحماني • حدثنا وكيع عن ابيه • عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان
عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله اهل بيتي ثلاثا
قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس رضوان الله

عليهم أجمعين • وقال عليه السلام إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما • وقال عليه السلام معرفة آل محمد
براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب •
قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن أبي
سلمة لما نزلت هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية
وذلك في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فجللهم بكساء
وعلي رضي الله عنه خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن أبي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي
صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة رضي الله عنهم وقال اللهم
هؤلاء أهلي • وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي
مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه • وقال صلى الله عليه وسلم فيه لا يحبك
إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق • وقال صلى الله عليه وسلم للعباس رضي الله عنه
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله • ومن
آذى عمي فقد آذاني وإنما عم الرجل صنو أبيه • وقال صلى الله عليه وسلم للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته • وقال صلى الله عليه وسلم هذا
عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت أسكفة
الباب وحوائط البيت آمين آمين • وكان يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول
اللهم إني أحبهما فأحبهما • وقال أبو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
في أهل بيته رضي الله عنهم • وقال أيضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي • وقال صلى الله عليه وسلم أحب الله

من احب حسنا وحسينا • وقال صلى الله عليه وسلم من احبني واحب هذين
واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة • وقال
صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله • وقال صلى الله عليه وسلم قدموا
قريشا ولا تقدموها • وقال عليه السلام لام سلمة لا تؤذيني في عايشة وعن
عقبة بن الحرث رايت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول
بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن قال
اتيت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي او اكتب فاني استحيي من الله ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى
زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجا ابن عباس فاخذ
بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلما فقبل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم
ورأى ابن عمر رضي الله عنهما محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي
فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه • وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك
بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها
حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها • ولما
فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلثة الاف ولاسامة بن
زيد في ثلثة الاف وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني
الى مشهد فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك
واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي •

مطلب

علم

وبلغ معونة ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل
عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله لما ضربه
جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فافاق فقال
اشهدكم اني قد جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى
النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل
ان المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط
عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني ابو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي
قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر من السما الى الارض احب
الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم **فصل** ومن توقيره وبره عليه السلام توقير اصحابه وبرهم
ومعرفة حقهم والاقتدا بهم وحسن الثنا عليهم والاستغفار لهم والامساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من
مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويصوب لهم اصوب المخارج
اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضايلهم وحميد سيرهم ويسكت عما ورا ذلك كما قال عليه السلام اذا ذكر
اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشدا على الكفار رحما

ولا يغمص بالصاد المهملة

بينهم الى اخر السورة • وقال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار
الاية • وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة • وقال
تعالى من المؤمنين رجال صدقوا الاية حدثنا القاضي ابو علي وحدثنا ابو الحسين
وابو الفضل قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب •
حدثنا الترمذي حدثنا الحسن بن الصباح حدثنا سفين بن عيينة • عن زائدة •
عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال صلى الله
عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم • وعن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام
الا به • وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم • ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه • وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا
نصيفه • وقال صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا • وقال صلى الله عليه وسلم
اذا ذكر اصحابي فامسكوا • وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر ان الله اختار
اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر
وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير • وقال صلى الله
عليه وسلم من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني • قال مالك بن انس
وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع باية الحشر
والذين جاؤوا من بعدهم الاية • وقال رحمه الله من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

فهو

فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار • وقال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • قال ايوب
السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل •
ومن احب عثمان فقد استضا بنور الله • ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى •
ومن احسن الثنا على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق • ومن
انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة وللسلف الصالح واخاف ان لا
يصعد له عمل الى السما حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما • وفي حديث خالد
ابن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا
له ذلك • ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك • ايها الناس ان الله
غفر لاهل بدر والحديبية • ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني
لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا • وقال مطلب
رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معوية فغضب وقال لا يقاس
باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معوية معوية صاحبه وصهره وكاتبه
وامينه على وحي الله عز وجل • واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله • وقال عليه السلام في الانصار
اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم • وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في اصحابي
واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه عليه السلام اللهم من
حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة • وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني
في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني

الأمر بعيد • قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي
هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر كالمودع لهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
الا له شفاعة يوم القيمة • وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة •
قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر اصحابه
ولم يعز اوامره فصل ومن اعظامه واكباره صلى الله عليه وسلم اعظام
جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه
عليه السلام او عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي محذورة
قصة من مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها
فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده • وكانت
في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت
قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه الصلوة
والسلام لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين • وروي ابن عمر رضي الله عنهما
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه • ولهذا
كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطا
ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه بحافر دابة • وروي انه وهب للشافعي
رضي الله عنه كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه
بمثل هذا الجواب • وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضلوية الزاهد
وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال

قصة بضم القاف وتشديد الصاد
ما اقبل على الجبهة من مقدم الراس

ان

ان تربة المدينة رديئة ان يضرب ثلثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر
وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها
غير طيبة وفي الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا
١٢٨ او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد
٥ عثمان رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الاكلة
في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا
فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا
وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا ●

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ● فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا ●
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ● لمن بان عنه ان نلم به ركبا ●

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم انشأ يقول متمثلا ● رفع الحجاب لنا فلاح لناظري ● قمر تقطع دونه الاوهام ●
واذا المطي بنا بلغن محمدا ● فظهورهن على الرحال حرام ● قربتنا من خير من وطئ الثرى ●
فلها علينا حرمة وذمام ● وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك
فقال العبد الآبق يأتي الى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت
على قدمي قال القاضي رحمه الله وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد
بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس
والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر مدارس آيات ومساجد صلوات ومشاهد
الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر

يقال عمر البناء والبلد عمارة كمتعدد ولازم وبابه دخل

المسلمين • ومواقف سيد المرسلين • ومتبوأ خاتم النبيين • حيث انفجرت النبوة
واين فاض عبابها • ومواطن مهبط الرسالة • واول ارض مس جلد المصطفى •
صلوات الله وسلامه عليه ترابها ان تعظم عرصاتها • وتتنسم نفحاتها •
وتقبل ربوعها وجدراتها •

يا دار خير المرسلين ومن به • هدي الانام وخص بالآيات •
عندي لاجلك لوعة وصبابة • وتشوق متوقد الجمرات •
وعلي عهد ان ملأت محاجري • من تلكم الجدرات والعرصات •
لاعفرن مصون شيبي بينها • من كثرة التقبيل والرشفات •
لولا العوادي والاعادي زرتها • ابدا ولو سحبا على الوجنات •
لكن سأهدي من حفيل تحيتي • لقطين تلك الدار والحجرات •
اذكى من المسك المفتق نفحة • تغشاه بالآصال والبكرات •
وتخصه بزواكي الصلوات • ونوامي التسليم والبركات •

الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم

وفرض ذلك وفضيلته • قال الله تعالى ان الله وملئكته يصلون على النبي الاية •
وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه ان الله وملئكته يباركون على النبي
عليه السلام • وقيل ان الله تعالى يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم وملئكته
يدعون له • وقال المبرد واصل الصلوة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملئكة
رقة واستدعا للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملئكة على من
جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعا • وقال بكر القشيري
الصلوة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم
تشريف وزيادة تكرمة • وقال ابو العالية صلوة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملئكة •

وصلاة

وصلاة الملائكة دعاء قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة فدل انهما
بمعنيين وأما التسليم الذي امر الله به عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت
هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى عباده ان يسلموا عليه وكذلك اصحابه صح
من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند
ذكره وفي معنى السلام عليه ثلثة وجوه احدها السلامة لك ومعك ويكون
السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك
متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى
المسالمة له والانقياد كما قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل
اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله
بالصلوة عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر
الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة
والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة
صلى الله عليه وسلم وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله
قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة
على الانسان وفرض عليه ان يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال
القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال
القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال
القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم رحمهم الله

أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا يتعين في الصلوة
وأن من صلى عليه مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه قال أصحاب الشافعي رضي الله
عنهم الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلوة وقالوا وأما
في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلوة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي رضي الله عنه في ذلك
فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته
فاسدة وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه. ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها.
وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه
الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال أبو بكر بن المنذر يستحب
أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك
تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك وأهل المدينة وسفين الثوري وأهل الكوفة
من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جمل أهل العلم. وحكي عن مالك وسفين أنها في
التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء وشذ الشافعي رضي الله عنه
فأوجب على تاركها في الصلوة الإعادة. وأوجب إسحق الإعادة مع تعمد تركها دون
النسيان وحكى أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فريضة. قال أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلوة وقاله محمد بن الحكم وغيره وحكى
ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي
رضي الله عنه وحكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلثة أقوال في الصلوة
الوجوب والسنة والندب. وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي
في هذه المسألة. قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء

الا الشافعي رضي الله عنه ولا اعلم له فيها قدوة • والدليل على انها ليست من فروض
الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه • وقد شنع الناس عليه
هذه المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه
له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم • وكذلك
كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر
وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم لم يذكروا
فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم • وقد قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله
عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القران • ونحوه عن ابي سعيد الخدري •
وقال ابن عمر كان ابو بكر رضي الله عنه يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان
في الكتاب • وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه • وفي الحديث لا صلوة
لمن لم يصل علي • وقال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره • وضعف
اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث • وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود •
عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة ولم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه •
قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة
لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم **فصل**
في المواطن التي تستحب فيها الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب
من ذلك في تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء **حدثنا**
القاضي ابو علي رحمه الله بقراتي عليه • قال حدثنا الامام ابو القاسم البلخي • قال حدثنا
الفارسي • عن ابي القاسم الخزاعي • عن الهيثم • عن ابي عيسى الحافظ • حدثنا محمود بن
غيلان • حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ • حدثنا حيوة بن شريح • حدثنا ابو هانئ
الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي

صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته فلم يصلّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله
والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء وروي من غير
هذا السند بتحميد الله وهو أصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلوة
معلق بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال وعلى آل محمد وروي أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود رضي الله عنه إذا أراد أحدكم أن يسأل الله
تعالى شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليسأل الله فإنه أجدر أن ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج
إلى شراب شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء
وأوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فإن مطلب ٥
وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار في السماء وإن وافق مواقيته فاز
وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع
وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار
وأسبابه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلوة على
صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب
دعائي ثم تبدأ بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم أن تصلي على محمد عبدك ونبيك
ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين ومن مواطن الصلوة

عليه

عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابه أو عند الأذان وقد قال عليه السلام
رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي • وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم عند الذبح • وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب • وقال لا يصلى
عليه إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب • قال أصبغ عن ابن القاسم موطنان
لا يذكر فيهما إلا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله
ولو قال بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله تعالى وقال أشهب
قال ولا ينبغي أن تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى
النسائي عن أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار علي من
الصلوة يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد • قال أبو
إسحق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه وعلى آله ويسلم تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا خرج فعل مثل ذلك وجعل
موضع رحمتك فضلك • وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى فإذا دخلتم بيوتا بلغ
فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة
الله وبركاته • قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد • وقال النخعي
إذا لم يكن في المسجد أحد فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا لم يكن
في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة إذا دخلت
المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته
على محمد • ونحوه عن كعب إذا دخل وإذا خرج ولم يذكر الصلوة • واحتج ابن
شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد • ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم رضي الله عنهم وذكر السلام والرحمة • وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا الصلوة على الجنائز • وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واله في الرسائل • وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض • ومنهم من يختم به ايضا الكتب • وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره • قال حدثتني كريمة بنت احمد • قالت حدثنا ابو الهيثم • حدثنا محمد بن يوسف • حدثنا محمد بن اسمعيل • حدثنا ابو نعيم • حدثنا الاعمش • عن شقيق بن سلمة • عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم • واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام • قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة رضي الله عنها وابن عمر رضي الله عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم • واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان حين سلامه

علي

كل عبد صالح في السماء والارض من الملئكة وبني آدم والجن. قال مالك في المجموعة
واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم **فصل في كيفية**
الصلوة عليه والتسليم حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه.
حدثنا القاضي ابو الاصبغ محمد حدثنا ابو عبد الله بن عتاب. حدثنا ابو بكر بن
واقد وغيره. حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله. حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال
اخبرني ابو حميد الساعدي رضي الله عنه انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي
عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل
ابرهيم وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابرهيم انك حميد
مجيد وفي رواية مالك عن ابي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابرهيم وبارك على محمد كما باركت على
آل ابرهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما علمتم وفي رواية كعب بن عجرة
اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل
على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على
محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا
عليه. وابو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه. قالا حدثنا ابو عبد الله بن
سعدون الفقيه. قال حدثنا ابو بكر المطوعي حدثنا ابو عبد الله الحاكم عن
ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن
المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين

عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عدهن في يدي جبريل عليه السلام وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد
مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم
انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابرهيم وعلى
آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابرهيم
وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل
اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما
صليت على ابرهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت
النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم
قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابرهيم انك حميد مجيد
وعن سلامة الكندي كان علي رضي الله عنه يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك
ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم
لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك
لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا لنفاذ
امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله اسبابه به هديت القلوب
بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام
فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة

ورسولك

ورسولك بالحق رحمة • اللهم افسح له في عدنك • واجزه مضاعفات الخير من فضلك
مهنآت له غير مكدرات • من فوز ثوابك المحلول • وجزيل عطائك المعلول • اللهم
اعل على سائر الناس بناءه • وأكرم مثواه لديك ونزله • وأتمم له نوره • واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة • ومرضي المقالة • ذا منطق عدل • وخطة
فصل • وبرهان عظيم • وعنه أيضا في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم • إن الله
وملائكته يصلون على النبي الآية • لبيك اللهم ربي وسعديك • صلوات الله البر
الرحيم • والملائكة المقربين • والنبيين والصديقين • والشهداء والصالحين •
وما سبح لك من شيء يا رب العالمين • على محمد بن عبد الله خاتم النبيين • وسيد
المرسلين • وإمام المتقين • ورسول رب العالمين • الشاهد البشير • الداعي إليك
بإذنك • السراج المنير • وعليه السلام • وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين • وإمام المتقين • وخاتم
النبيين • محمد عبدك ورسولك إمام الخير • وقائد الخير • ورسول الرحمة • اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون • اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد • وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد • وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول
من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى صلى الله عليه وسلم فليقل
اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته
وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين •
وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد
الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى
وعن وهب بن الورد أنه كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك

لنفسه • وأعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك • وأعط محمدا أفضل ما أنت
مسؤول له إلى يوم القيامة • وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله
عليه وسلم فأحسنوا الصلوة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين • وإمام المتقين • وخاتم
النبيين • محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة • اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون • اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد • اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما
باركت على آل إبرهيم إنك حميد مجيد • وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على
أهل البيت وغيرهم كثير • وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد
من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين • وفي تشهد علي رضي الله عنه • السلام على نبي الله • السلام على
أنبياء الله ورسله • السلام على رسول الله • السلام على محمد بن عبد الله • السلام علينا
وعلى المؤمنين والمؤمنات • من غاب منهم ومن شهد • اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته • جاء في هذا الحديث عن علي بالعفو
رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران • وفي حديث الصلوة عليه
صلى الله عليه وسلم أيضا عنه قبل الدعاء له بالرحمة لم يأت في غيره من الأحاديث
المرفوعة المعروفة • وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي صلى الله
عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعى له بالصلوة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة
والمغفرة • وقد ذكر أبو محمد بن أبي زيد في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على إبرهيم وعلى آل إبرهيم • ولم يأت به هذا في حديث صحيح

وحمه

وحجته قوله في التسليم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته **فصل**
في فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له **حدثنا**
أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا أبو بكر بن معوية
حدثنا النسائي أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني
كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة
في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة
حلت عليه الشفاعة **وروى** أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيات
ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات **وعن** أنس عنه عليه
السلام أن جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه
عشر درجات **ومن** رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل
فقال إني أبشرك أن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه
ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبيد الله بن أبي طلحة **وعن**
زيد بن الحباب رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل
على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي **وعن** ابن
مسعود رضي الله عنه أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة **وعن** أبي
هريرة رضي الله عنه **عنه** عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب **وعن** عامر بن ربيعة رضي الله عنه سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى علي

هو ابن المبارك

[illegible]

فليقلل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر
الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك
قال اذا تكفى ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرايت من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال صلى الله عليه وسلم
ما يمنعني وقد خرج جبريل انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك
ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة ات محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته الا حلت له الشفاعة يوم القيامة
وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا
اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد
رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الاثار ليردن علي
اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة
من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر رضي الله عنه الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل
من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم واثمه

وطلاقة وجهه

حدثنا

حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله • حدثنا ابو الفضل خيرون •
وابو الحسين الصيرفي • قالا حدثنا ابو يعلى • حدثنا السنجي • حدثنا محمد بن محبوب •
حدثنا ابو عيسى • حدثنا احمد بن ابرهيم الدورقي • حدثنا ربعي بن ابرهيم •
عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابي سعيد • عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي
ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك
عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة • قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما
وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين ثم صعد
فقال امين ثم صعد فقال امين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل اتاني
فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده
الله قل امين فقلت امين • وقال فيمن ادرك رمضان فلم يتقبل منه فمات
مثل ذلك • ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثل ذلك • وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه عنه عليه السلام انه قال البخيل الذي اذا
ذكرت عنده فلم يصل علي • وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة • وعن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل
من ذكرت عنده فلم يصل علي • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا عنه قبل ان يذكروا الله ويصلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه من نسي الصلوة علي نسي طريق الجنة • وعن قتادة
رضي الله عنه عنه عليه السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلم يصل علي

مطلب

وعن جابر رضي الله عنه عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا
على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة وعن
ابي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا ولم يصلوا فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان
دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم
قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزا عنه ما كان
في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى
عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي حدثنا الحسين
ابن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسه
حدثنا ابو داود حدثنا ابن عوف حدثنا المقرئ حدثنا حيوة عن ابي صخر
حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن
ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن
ابي هريرة وعن ابن عمر رضي الله عنهما اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه
يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت
صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن رضي الله عنه عنه عليه السلام حيث
ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس احد
من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي

رضي الله عنهما

رضي الله عنهما اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا
علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس رضي الله عنه
اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمن بن سحيم
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هولاء الذين ياتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهرا واليوم الازهر
فانهما يوديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي
علي الا حملها ملك حتى يوديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول
كذا وكذا **فصل** في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وساير الانبيا عليهم السلام **قال القاضي** رحمه الله عامة اهل العلم متفقون
على جواز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم **وروي** عن ابن عباس قال لا تجوز
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم **وروي** عنه لا تنبغي الصلوة على احد
الا النبيين **وقال** سفين يكره ان يصلى الا على نبي **ووجدت** بخط بعض شيوخي
مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا غير معروف من مذهبه • وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره
الصلوة على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به • قال يحيى بن يحيى لست
اخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم • واحتج بحديث ابن عمر
وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه • وفيه وعلى ازواجه
وعلى اله **وقد** وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي **روي** عن ابن عباس كراهة
الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى **وقد**

روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني • قالوا والاسانيد عن
ابن عباس لينة • والصلوة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق
حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع • وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم
وملئكته الاية • وقال تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة • وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى • وكان صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان • وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى
ازواجه وذريته • وفي اخر وعلى آل محمد • قيل اتباعه • وقيل امته • وقيل آل بيته •
وقيل الاتباع الرهط والعشيرة • وقيل آل الرجل ولده • وقيل قومه • وقيل
اهله الذين حرمت عليهم الصدقة • وفي رواية انس رضي الله عنه سئل النبي
صلى الله عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي • ويجي على مذهب الحسن رضي الله عنه
ان المراد بآل محمد محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه و[سلم]
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل
بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله به هو الصلوة على محمد نفسه
وهذا مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير
داود وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه
وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى الاندلسي • والصحيح من رواية
غيره ويدعو لابي بكر وعمر وروى ابن وهب عن انس بن مالك رضي الله عنه كنا ندعو
لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال القاضي رحمه الله والذي ذهب

اليه

اليه بعض المحققين واميل اليه ما قاله مالك وسفين وروى عن ابن عباس
واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبيا عند ذكرهم
بل هو شي يختص به الانبيا توقيرا لهم وتعزيزا كما يخص الله تعالى عند ذكره
بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبيا بالصلوة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله به
بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما • ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان •
وقال والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم • وايضا فهو امر لم يكن معروفا
في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض
الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك • وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصلوة على الال والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع
والاضافة اليه لا على التخصيص • قالوا وصلوة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى
عليه مجراها مجرى الدعا والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير • قالوا
وقد قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فكذلك يجب
ان يكون الدعا له مخالفا لدعا الناس بعضهم لبعض • وهذا اختيار الامام ابي
المظفر الاسفرايني من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم
وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة
من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي
ابو علي • قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون • حدثنا الحسين بن جعفر • حدثنا

أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني • حدثنا القاضي المحاملي • حدثنا محمد بن عبد الرزاق •
حدثنا موسى بن هلال • عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره وعن أنس بن
مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة
محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني
بعد موتي فكأنما زارني في حياتي • وكره مالك رحمه الله أن يقال زرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم • وقد اختلف في معنى ذلك • فقيل كراهة الاسم لما ورد من قوله
عليه السلام لعن الله زوارات القبور • وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور
فزوروها • وقوله عليه السلام من زار قبري فقد أطلق اسم الزيارة • وقيل لأن
ذلك لما قيل إن الزائر أفضل من المزور • وهذا أيضا ليس بشيء إذ ليس كل زائر
بهذه الصفة وليس عموما • وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم
عز وجل ولم يمنع هذا اللفظ في حقه صلى الله عليه وسلم • وقال أبو عمران إنما كره
أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك
بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ
وأن يخص بأن يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم • وأيضا فإن الزيارة مباحة
بين الناس • وواجب شد المطي إلى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا
وجوب ندب وترغيب وتأكيد • والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك
له لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه
وسلم لما يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدك
واشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فحمى إضافة هذا
اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله أعلم •
قال إسحق بن إبرهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد

إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته
ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه صلى الله عليه وسلم
والعمود الذي كان يستند إليه وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه
وبمن عمره وقصده من الصحابة رضي الله عنهم وأئمة المسلمين والاعتبار بذلك
كله. قال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية إن الله وملائكته يصلون على النبي
ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك
يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن أبي سعيد المهري قدمت على عمر بن
عبد العزيز فلما ودعته قال لي إليك حاجة إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فأقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد إليه البريد من
الشام. قال بعضهم رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف. قال مالك في رواية ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال
في المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي.
قال ابن أبي مليكة من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على رأسه. وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته
مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول السلام على النبي السلام على أبي بكر السلام
على أبي ثم ينصرف. ورءي واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر
ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والقعنبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جلسوا من جانب المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي

الموطا من رواية يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر • وعند ابن القاسم والقعنبي
ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته • قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال
القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ
الصلوة ولابي بكر وعمر كما جاء في حديث ابن عمر من الخلاف • وقال ابن حبيب
ويقول اذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله
السلام علينا من ربنا وصلى الله وملايكته على محمد • اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما
وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة
اجزاتاك وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة
من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا
ثم تصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء وقبور
الشهداء • قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل
وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك • قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت
النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك •
واذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي

أبواب فضلك وفي رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه وإذا خرج يقول
اللهم إني أسألك من فضلك وفي أخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته
على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله
خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة أيضا
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر
مثل حديث فاطمة رضي الله عنها قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن
غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة رضي الله عنه إذا دخل
أحدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال
مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة
الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس لمن قدم من سفر
أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له
ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقيل له فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون
من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة
أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم
يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الأمة
إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك
ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا
منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين أهل

المدينة والقبر لان القبر ما قصد والذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا
ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف
عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما
في الفريضة فالتقدم الى الصفوف • والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت
فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه
وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره صلى الله عليه وسلم وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم *مطلب في فضل سكنى المدينة ومكة شرفهما الله*
فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول
ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انه مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه •
قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ • حدثنا ابو عمر النمري • حدثنا ابو محمد بن عبد المومن •
حدثنا ابو بكر بن داسة • حدثنا ابو داود • حدثنا مسدد • حدثنا سفين عن الزهري
عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد
الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وقد
تقدمت الاثار في الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال
اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم • وقال مالك *مطلب*
رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال



ممن أنت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه
الصوت • قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لأحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا
بشيء من الأذى وأن ينزه عما يكره • قال القاضي رحمه الله حكى ذلك كله القاضي (مطلب)
اسمعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم • والعلماء كلهم متفقون
أن حكم سائر المساجد هذا الحكم • قال القاضي اسمعيل • وقال محمد بن مسلمة وتكره
في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت فقد كره رفع الصوت بالتلبية في
مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى • وقال أبو هريرة رضي الله عنه
عنه عليه السلام صلوة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا
المسجد الحرام • قال القاضي اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم
في المفاضلة بين مكة والمدينة • فذهب مالك في رواية أشهب عنه وقاله
ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه الى أن معنى الحديث أن الصلوة في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلوة في سائر المساجد بألف صلاة الا
المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلوة فيه
بدون الألف • واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلوة في
المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه • فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله
عليه وسلم بتسع مائة وعلى غيره بألف • وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة
على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين • وذهب أهل مكة
والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك
وحكاه الساجي عن الشافعي رضي الله عنه وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم
على ظاهره وأن الصلوة في المسجد الحرام أفضل • واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير

عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه وصلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على الصلوة في سائر المساجد بمائة ألف ولا خلاف أن موضع قبره عليه السلام أفضل بقاع الأرض قال القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة وأبي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة من ترع الجنة وقال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما يبينه ما بين حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لأن قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هناك منبر والثالث أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله تعالى فتكون في الجنة بعينها

قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت
له شهيدا وشفيعا يوم القيمة • وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو
كانوا يعلمون • وقال عليه السلام إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها
وقال عليه السلام لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا
منه وروى عنه عليه السلام من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه
الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين
يوم القيمة وعن ابن عمر رضي الله عنهما من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت
بها فإني شفيع لمن يموت بها وقال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة
إلى قوله آمنا • قال بعض المفسرين آمنا من النار • وقيل كان يأمن من الطلب
من أحدث حدثا ولجأ إليه في الجاهلية • وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت مثابة
للناس وأمنا على قول بعضهم وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير
فأعلموه أن كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي
أبيض البدن فقال لعله حج ثلث حجج قالوا نعم قال حدثت أن من حج حجة
أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار • ولما نظر
له على الله دين فليقم ومن حج ثلث حجج حرم الله شعره وبشره على النار • ولما نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فقال مرحبا بك من بيت ما أعظمك
وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من أحد يدعو الله عند
الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام
من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيمة
من الآمنين قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثنا أبو العباس

العذري حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي حدثنا الحسن بن رشيق
سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت
الحميدي قال سمعت سفين بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس
رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء
في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار
وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب
لي وقال سفين وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو
الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن الحميدي وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفين الا استجيب لي وقال محمد بن
ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا
استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما اذكر
الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من
امر الاخرة وقال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابي اسامة الا استجيب لي وقال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء
كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل وان لم تكن من
الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل او يجوز عليه

وما يمنع او يبعد من الاحوال البشرية ان تضاف اليه صلى الله عليه وسلم قال
الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية وقال تعالى ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
وقال تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون
في الاسواق وقال تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية • فمحمد صلى الله
عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما
اطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم اذ لا
تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال
تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا • اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله
واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل • فالانبياء والرسل وسائط
بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما
لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته • فظواهرهم
واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر
من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم
متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى متشبهة بصفات الملائكة
سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية
اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة
ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن

[illegible]

هكذا قوله [illegible] [illegible]

أرسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى. فجعلوا من جهة الأجسام
والظواهر مع البشر. ومن جهات (جهة) الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن
صاحبكم خليل الرحمن. وكما قال صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي.
وقال عليه السلام لست كهيئتكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني. فبواطنهم
منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات. وهذه جملة لن يكتفي ذي
بمضمونها كل همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا في البابين
بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل **الباب الأول فيما يختص**
بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء صلوات
الله عليهم **قال القاضي** أبو الفضل رحمه الله **اعلم** أن الطوارئ من التغيرات
والآفات على آحاد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد اجسامه
واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب. وقول باللسان. وعمل
بالجوارح. وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر. فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه
عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما
سنبينه إن شاء الله تعالى فيما نأتي به من التفاصيل **فصل** في حكم قلب النبي عقده
صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته **اعلم** منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه
بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة
ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه

والعصمة

والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين • هذا ما وقع اجماع المسلمين
عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء سواه • ولا يعترض
على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك ابرهيم
في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة
لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني ان ابرهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم
اجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه فيكون قوله اولم تؤمن اي لم تصدق بمنزلتك
مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سال زيادة يقين وقوة طمانينة
وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها
وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من
النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة
ولهذا قال سهل بن عبد الله سال كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا
في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك
من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق
الادب المراد اقدرني على احياء الموتى • وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه
السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة • وقول
نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابرهيم شك وابعاد
للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى
فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين
يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابرهيم على اختبار
حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا

إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك الآية • فاحذر ثبت الله قلبك
أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة
بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل • ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة
المفسرين على هذا • واختلفوا في معنى الآية • فقيل المراد قل يا محمد للشاك إن
كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل • قوله تعالى
قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية • وقيل المراد بالخطاب العرب
وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية • الخطاب
له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير • قال بكر بن
العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله • وهو عليه السلام كان
المكذب فيما يدعو إليه فكيف يكون ممن كذب به • فهذا كله يدل على أن المراد
بالخطاب غيره • ومثل هذه الآية قوله تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا • المأمور هاهنا
غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله عليه وسلم والنبي عليه السلام هو
الخبير المسؤول لا المستخبر السائل • وقيل إن هذا الشك الذي أمر غير النبي صلى الله
عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب إنما هو فيما قصه من أخبار الأمم لا فيما دعا
إليه من التوحيد والشريعة • ومثل هذا قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك
من رسلنا الآية • المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم
قاله القتبي • وقيل معناه سلنا عمن أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام
ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون • على طريق الإنكار أي ما جعلنا
حكاه مكي • وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسأل الأنبياء ليلة الإسراء عن ذلك

نكار

وكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسال قد اكتفيت
قاله ابن زيد • وقيل سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى
قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة • والمراد بهذا والذي قبله اعلامه
بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي
العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى • وكذلك قوله تعالى
والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر
في اول الاية • وقد يكون ايضا على مثل ما تقدم اي قل لمن امترى في ذلك يا محمد
لا تكونن من الممترين بدليل قوله تعالى في اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية
وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره • وقيل هو تقرير كقوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل • وقيل معناه
ما كنت في شك فسل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك • وقيل ان كنت تشك
فيما شرفناك وفضلناك به فاسالهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك
وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى
قوله تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل
بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استياسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم قد
كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين • وقيل ان الضمير في ظنوا عائد الى الاتباع والامم
لا على الانبياء والرسل • وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء •
وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه
مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء • وكذلك ما ورد في حديث السيرة

هذا ردع في [illegible] من الاصعار والتلاوة
[illegible]
[illegible]

ومبتدأ الوحي من قوله عليه السلام لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك
فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك
وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه • هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله بعد
لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه الملك وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول
ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير
كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة
مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله
لأول حالة بنية البشرية • وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ثم قالت ثم حبب إليه الخلاء
وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث
النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين
ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى إليه وقد روى ابن إسحق عن بعضهم أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ
وذكر نحو حديث عائشة رضي الله عنها في غطه له وإقرائه اقرأ باسم ربك السورة
قال فانصرف عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن أبغض إلي من شاعر
أو مجنون قلت لا تحدث عني قريش بهذا أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن
نفسي منه فلأقتلنها فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت مناديا ينادي من السماء
يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي فإذا جبريل على صورة رجل وذكر
الحديث فقد بين في هذا أن قوله لما قال وقصده لما قصد إنما كان قبل لقاء
جبريل وقبل إعلام الله تعالى له بالنبوة وإظهاره واصطفائه له بالرسالة عليه السلام
ومثله حديث عمرو بن شرحبيل أنه عليه السلام قال لخديجة إني إذا خلوت وحدي

سمعت

سمعت ندآ وقد خشيت والله ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوا واخشى ان يكون بي
جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او
مجنون • والفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتدا
امره وقبل لقا الملك له واعلام الله تعالى انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ
لا يصح طرقها واما بعد اعلام الله تعالى له ولقايه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز
عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه نحو
ما كان يصيبه فقالت له خديجة رضي الله عنها اوجه اليك من يرقيك قال اما
الان فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها الحديث انما
ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي
ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
وليختبر هو حاله بذلك فقد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها ان ورقة امر خديجة رضي الله عنها
ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه
اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا
شيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به فهذا يدل على انها مستثبتة
بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة
رؤس الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من
شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا

ذكره رواته ولا من حدث به ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا
الأمر من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه قد يحمل على أنه كان أول الأمر كما ذكرناه
أو أنه فعل ذلك لما أحرجه من تكذيب من بلّغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا • ويصحح معنى هذا التأويل حديث
رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله أن المشركين لما اجتمعوا
بدار الندوة للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على أن يقولوا
إنه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل عليه السلام
فقال يا أيها المزمل يا أيها المدثر أو خاف أن الفترة لأمر أو سبب منه فخشي أن
تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به • ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه له لما
وعدهم به من العذاب • وقول الله تعالى في يونس فظن أن لن نقدر عليه معناه
أن لن نضيق عليه • قال مكي طمع في رحمة الله وأن لا يضيق عليه مسلكه في خروجه
وقيل حسن ظنه بمولاه أنه لا يقضي عليه العقوبة • وقيل نقدر عليه ما أصابه
وقد قرئ نقدّر عليه بالتشديد • وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه • وقال ابن زيد
معناه أفظن أن لن نقدر عليه على الاستفهام • ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة من
صفات ربه • وكذلك قوله تعالى إذ ذهب مغاضبا • الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم
وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه إذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة
الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء • وقيل مستحييا من قومه أن يسموه بالكذب
أو يقتلوه كما ورد في الخبر • وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما أمره به من التوجه
إلى أمر أمره الله تعالى به على لسان نبي آخر فقال له يونس عليه السلام غيري
أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا • وقد روي عن ابن عباس أن رسالة

يونس

يونس ونبوته عليه السلام إنما كانت بعد أن نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله
تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه • ويستدل
أيضاً ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة إذاً قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله عليه السلام إنه ليغان
على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة • وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة فاحذر
أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو ريناً وقع في قلبه عليه السلام
بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه • قاله أبو عبيد • وأصله من غين السماء
وهو إطباق الغيم عليها • وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية
كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوا فلا يمنع ضوء الشمس • وكذلك لا يفهم من الحديث
أنه يغان على قلبه عليه السلام مائة مرة أو أكثر من سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر الروايات وإنما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون
المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر
ومشاهدة الحق بما كان دفع إليه من مقاسات البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل
ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة
وهو في كل هذا في طاعة ربه عز وجل وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم
أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله صلى الله
عليه وسلم عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
أرفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضاً من علي حاله
وخفضاً من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك • هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها
وإلى معنى ما أشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا
غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات

والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي. وذهبت طائفة من أرباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه
في حال سهو أو فترة إلى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته
عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم. قالوا وقد يكون الغين
هنا على قلبه عليه السلام السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه
ويكون استغفاره عليه السلام عندها إظهارا للعبودية والافتقار. وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار. وقال
غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون إلى الأمن. وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة
حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة
لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا. وعلى هذه الوجوه
الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام أنه ليغان على
قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد
عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين. وقوله لنوح
عليه السلام فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم
أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من قال في آية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن ممن
يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى. وفي آية نوح عليه السلام لا تكونن ممن يجهل
أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات
الله تعالى. وذلك لا يجوز على الأنبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم
بسمات الجاهلين كما قال تعالى إني أعظك أن تكون من الجاهلين. وليس في آية منها
دليل على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح
قبلها فلا تسألن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا

قد

قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتدأ ونهاه الله أن يسأله عما
طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه • ثم اكمل الله
نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح • حكى معناه
مكي • كذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض
قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر • حكاه ابو بكر
ابن فورك • وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اى فلا تكونوا من
الجاهلين • حكاه ابو محمد مكي • وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفضل وجب القول
بعصمة الانبيا منه بعد النبوة قطعا **فان قلت** فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم
على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله
تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية • وقوله تعالى اذا لاذقناك
ضعف الحياة الاية • وقوله تعالى لاخذنا منه باليمين • وقوله تعالى وان تطع
اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله • وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك
وقوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته • وقوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين **فاعلم** وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه الا
يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفترى عليه
او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين • لكن يسر الله امره بالمكاشفة والبيان في
البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه
وقوى قلبه بقوله عز وجل والله يعصمك من الناس • كما قال لموسى وهرون عليهما
السلام لا تخافا لتشتد بصايرهما في الابلاغ واظهار دين الله تعالى ويذهب
عنهما خوف العدو المضعف للنفس • واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل

الآية • وقوله تعالى إذاً لأذقناك ضعف الحياة • فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا
وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله • وكذلك قوله تعالى وإن تطع أكثر من
في الأرض • فالمراد غيره كما قال عز وجل إن تطيعوا الذين كفروا الآية • وقوله تعالى
فإن يشإ الله يختم على قلبك • ولئن أشركت ليحبطن عملك • وما أشبهه فالمراد غيره
وأن هذه حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا • وقوله تعالى
اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم أطاعهم والله ينهاه
عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية • وما
كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل وأما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل النبوة
من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك • وقد تعاضدت الأخبار
والآثار عن الأنبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والإيمان • بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من
أهل الأخبار أن أحداً نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك ومستند
هذا الباب النقل • وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله
وأنا أقول إن قريشاً قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الأمم
أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا الرواة ولم
نجد في شيء من ذلك تعييراً لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه وتركه
ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع وأقطع في الحجة من
توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي إطباقهم

على الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه إذ لو كان لنقل وما سكتوا
عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها حكاه كما
الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك الآية وبقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق
النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد أن
يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصره قبل عليه
مولده صلى الله عليه وسلم بدهور ويجوز عليه الشرك أو غيره من الذنوب هذا
ما لا يجوزه إلا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد أتاه جبريل عليه
السلام وشق قلبه صغيراً واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وإيماناً كما تظاهرت به أخبار المبدإ ولا يشبه
عليك بقول إبرهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فإنه قد قيل
كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف
وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين إلى أنه إنما قال ذلك مبكتاً
لقومه ومستدلاً عليهم • وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الإنكار والمراد
أهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي أي على قولكم كما قال أين شركائي
أي عندكم ويدل على أنه لم يعبد شيئاً من ذلك ولا أشرك قط بالله طرفة عين
قول الله تعالى عنه إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون • ثم قال أفرأيتم ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين • وقال إذ جاء
ربه بقلب سليم أي من الشرك • وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام فإن قلت
فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قيل إنه إن لم يؤيدني
بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو

معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على
الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة
العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتدا بمعنى الصيرورة كما جا في حديث
الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا كذلك ومثله قول الشاعر

قبل ذلك صح

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بما فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك
فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو
الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل
الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي
وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال
هاهنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حرا في طلب ما يتوجه به الى ربه

ويتشرع به

ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق
فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى
قال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك
بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى
وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل
لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرا الحسن بن علي رضي الله عنهما ووجدك ضال
فهدى اي اهتدى بك وقال ابن عطا ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال
المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا
في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا انا لنراها في ضلال مبين

لفي

ذكره

اي محبة بنبيه • وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك
لبيانه • لقوله تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية • وقيل ووجدك لم يعرفك احد
احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء • ولا اعلم احدا من المفسرين قال
فيهما ما لا يجوز الايمان • وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا
وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين شيا بغير قصد • قاله ابن عرفة • وقال
الازهري معناه من الناسين • وقد قيل ذلك في قوله ووجدك ضالا فهدى
اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما • فان قلت فما معنى قوله ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما كنت
تدري قبل الوحي ان تقرا القران ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان • وقال
بكر القاضي نحوه • قال ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام • قال فكان قبل
مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا •
وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد • فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا
موضوع او شبيه بالموضوع • وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده
والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه • والمعروف عن النبي
صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله عليه السلام بغضت الي
الاصنام • وقوله في الحديث الاخر الذي روته ام ايمن حين كلمه عمه وآله في
حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم
ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي شخص ابيض طويل يصيح بي

١٦٩

ورآه لا تمسّه فما شهد بعد لهم عيدا. وقوله عليه السلام في قصة بحيرا حين
استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته
مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا
فبالله إلا أخبرتني عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك. وكذلك المعروف من سيرته
عليه السلام وتوفيق الله له أنه صلى الله عليه وسلم قبل نبوته يخالف المشركين في
وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه كان موقف إبرهيم عليه السلام

فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله. قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء
في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه. فأما ما عدا هذا
الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة وأنها قد احتوت
من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه. ومن طالع الأخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا عليه السلام
في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه. إلا أن أحوالهم في هذه
المعارف تختلف فأما ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة
من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم
عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها
وأمور الدنيا تضادها خلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهرا من
الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
إن شاء الله. ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي
إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا
سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع

عدم

عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية. وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة. وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا
يصح من النبي عليه السلام إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو
أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه
فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل
عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين
وعلى مقتضى حديث أم سلمة رضي الله عنها إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل
علي فيه. خرجه الثقات. وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم
فلا يكون أيضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي
لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد أن لو قام عليه
دليل لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول
الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد
في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع. ونظر
النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له
قبل. هذا فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فأما ما لم يعقد عليه قلبه من
أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولا إلا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر
علم جملتها عنده عليه السلام إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم
بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها
عنده صلى الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب
وانتفاء الجهل. وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة
إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه. وأما ما تعلق بعقده صلى الله عليه وسلم من ملكوت

السموات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة
وأشراط الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه إلا
بوحي تعلى ما تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم منه شك ولا ريب
بل هو فيه على غاية اليقين • لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وإن كان
عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر • لقوله عليه السلام إني لا أعلم إلا ما
علمني ربي • ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين •
وقول موسى للخضر عليهما السلام هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا • وقوله
صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم • وقوله عليه
السلام أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك
وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم • قال زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم
إلى الله تعالى • وهذا ما لا خفاء به إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها
هذا حكم عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والأمور الدينية

فصل واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان
وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا
القاضي الحافظ أبو علي رحمه الله • قال أخبرنا أبو الفضل بن خيرون العدل • حدثنا
أبو بكر البرقاني وغيره • حدثنا أبو الحسن الدارقطني • حدثنا إسماعيل الصفار • حدثنا
عباس الترقفي • حدثنا محمد بن يوسف • حدثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد
عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله
قال وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم • زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا
بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه روي فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه وصحح

بعضهم هذه الرواية ورجحها • وروى فأسلم بمعنى القرين أنه انتقل عن حال كفره
إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث • ورواه بعضهم
فاستسلم • قال القاضي أبو الفضل رحمه الله فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه
المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه •
وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء نوره وإماتة نفسه
وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في
صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره • ففي الصحاح قال أبو هريرة رضي الله عنه
عليه السلام إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي
يقطع علي الصلوة فأمكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى
تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا • وفي حديث أبي الدرداء رضي الله عنه
عنه عليه السلام إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي
والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت
أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة • وكذلك
في حديثه صلى الله عليه وسلم في الإسرا ثم أردت أخذه وذكر نحوه وطلب عفريت
له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه • ذكره في الموطا • ولما لم
يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط إلى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة أخرى في
غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك • وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان
أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم الآية • ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة
وكل هذا فقد كفاه الله تعالى أمره وعصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام

كل أحد من

أي أخذه

ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجا ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن
في الحجاب • وقال عليه السلام حين لُدّ في مرضه وقيل له خشينا ان يكون بك
ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطها علي فان قيل فما معنى
قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية • فقد قال بعض
المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين • ثم قال واما ينزغنك
اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله • وقيل النزغ
هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي • وقيل ينزغنك
يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه
غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم
يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم
يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه • وقد قيل في الاية غير
هذا • وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا
في اول الرسالة ولا بعدها • والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي
صلى الله عليه وسلم ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري
يخلقه الله تعالى له او ببرهان يظهره الله لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا
لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه
الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها
ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقا الشيطان فيها شغله
بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه
او يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه

والوعر

إشغاله

عند

ويكشف

وتكشف لبسه وتحكم اياته . وسيأتي الكلام على هذه الآية بعد باشبع من هذا
ان شاء الله . وقد حكى السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان
وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمن بعد هذا مبيّنة
ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له . وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه
السلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب . انه لا يجوز لاحد ان يتأول
ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله
وامره ليبتليهم ويثيبهم . قال مكي . وقيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به
الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان .
وقوله تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه . وقول نبينا صلى الله عليه
وسلم حين نام عن الصلوة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان . وقول موسى
عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد
في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل
بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين . وقال صلى الله عليه وسلم
فليقاتله فانما هو شيطان . وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ
لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه
والمروي انه انما نبي بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته
بدليل القران . وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته . وقد قال المفسرون
في قوله تعالى فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه
احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام
وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس
ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا

وأما قوله صلى الله عليه وسلم إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه
ولا وسوسته له بل إن كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله
عليه السلام إن الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم
أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا
إن جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة وأما
إن جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو دليل
مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله

فصل وأما أقواله عليه السلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه صلى الله عليه وسلم معصوم
فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا وغلطا
أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما
قال اتفاقا وبإطباق أهل الملة إجماعا. وأما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه
السبيل عند الأستاذ أبي إسحق الإسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط
وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها
عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة
لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه إجماع المسلمين
أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر عن ربه عز وجل
وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى حالي
والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أكتب
كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله
إلا حقا ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول إذا قامت

المعجزة

المعجزة على صدقه صلى الله عليه وسلم وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا
صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول
اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم • وابين لكم ما نزل عليكم •
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى • وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم •
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا • فلا يصح ان يوجد منه
في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو
لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل • فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة
واحدة من غير خصوص • فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب
برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق **فصل** وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين
سؤالات **منها** ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم
وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى • قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتها لترتجى • ويروى ترتضى **وفي** رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع
الغرانيق العلى • وفي اخرى • والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة
سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم •
وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه • وفي رواية اخرى
ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلام جاءه
فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية • وقوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الاية **فاعلم** اكرمك الله
ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين **احدهما** في توهين اصله

والثاني على تسليمه. أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه
أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل. وإنما أولع به وبمثله
المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم
وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع
إسناده واختلاف كلماته. فقائل يقول إنه في الصلوة وآخر يقول قالها في نادي
قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة. وآخر يقول
بل حدث نفسه فسهى. وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي
صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك. وآخر يقول بل
أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة. ومن حكيت
هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها
إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية. والمرفوع فيه حديث
شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب
الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة. قال أبو بكر
البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل
يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن
سعيد بن جبير. وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. فقد بين لك
أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا. وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه. وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه

اسانيده

وكذبه

وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله • والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل واما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة
على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة • اما من تمنيه
ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو كفر او ان يتسور عليه
الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل • وذلك كله ممتنع في حقه
عليه السلام او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر
او سهوا وهو معصوم من هذا كله • وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته
صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه
عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول
على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية • ووجه
ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو كان
كما روي لكان بعيد الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل
التأليف والنظم • ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين
وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك • وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف
بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه • ووجه ثالث
وهو انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل
فتنة وتعييرهم المسلمين والشمات بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه

والشمات خ
والشماتة

مرض من أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى
هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين
الصولة ولأقامت اليهود بها الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسرا حتى كانت
في ذلك لبعض الضعفاء ردة • وكذلك ما روي في القصة ولا فتنة أعظم
من هذه البلية لو وجدت • ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة ولا تشعيث
لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة • ولا عن مسلم بسببها بنت شفة • فدل
على بطلها واجتثاث أصلها • ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن بطلانها
هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين • ووجه رابع
ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين •
وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه
حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته الله لكاد يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه
أن الله تعالى عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا
وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه صلى الله عليه وسلم زاد على الركون والافتراء
بمدح آلهتهم وأنه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل • وهذا ضد
مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله
تعالى في الآية الأخرى • ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن
يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء • وقد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون • قال الله تعالى يكاد سنا
برقه يذهب بالأبصار • ولم يذهب • وأكاد أخفيها • ولم يفعل • قال القشيري
القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها • طالبته
ووعدوه به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل • قال ابن الأنباري ما قارب الإيمان

الرسول

الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ركن • وقد ذكرت في معنى الآية تفاسير أُخر ما
ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد سفسافها فلم يبق
في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بعصمته وتثبيته
مما كاده به الكفار وراموا من فتنته • ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته
صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد أعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد
أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى
قتادة ومقاتل رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند
قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله تعالى على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم في هذا
الباب من جميع العمد والسهو • وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث
نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن
قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان • وكل هذا لا يصح أن
يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه صلى الله
عليه وسلم • وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله
بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين • ثم رجع إلى
تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو
صح م وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر • ولا يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلوة
فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع • والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده

أي قبل النهي عنه في الشرع وغير مبطل للصلاة وكان الكلام [illegible] في وقت الصلاة ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين [illegible]

وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل
القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد
الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا
نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من
قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على ما انزلها الله تعالى وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه
وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين
وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة
وسبب هذه الفتنة • وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الاية • تمنى تلى • قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة •
وقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم
اياته • وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فينتبه
لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الاية انه حدث نفسه • وقال
اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في
القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس
من القران بل السهو عن اسقاط اية منه او كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل
ينبه عليه ويذكر به للحين كما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو والغلط
وما لا يجوز • ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة
العلى فان سلمنا القصة قلنا لا يبعد ان هذا كان قرانا والمراد بالغرانقة العلا
وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة

قال الراغب الدس ادخال الشيء في الشيء بضرب من الاكراه واصل الدس الاخفاء ومنه العرف دساس شهاب

النسخ لغة كما قال الراغب ازالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل شهاب

بعقبه

شفاعتهم

أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله
كما حكى الله تعالى عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله تعالى ألكم الذكر
وله الأنثى • فأنكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح
فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان
ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله تعالى ما ألقى الشيطان وأحكم
آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس
كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله تعالى حكمة وفي نسخه
حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين • وليجعل
ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين
لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت
له قلوبهم الآية • وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ
ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من
ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه
وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
لعلكم تغلبون • ونسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا
ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي إلا إذا تمنى الآية • وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن
وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما تضمنه تعالى من قوله إنا نحن نزلنا
الذكر الآية • ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه
العذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا أبدا

لذا الكلام

ويشنعوا

ضمنه

تدرك تفاصيلها فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا
الباب ان يونس عليه السلام قال لهم ان الله تعالى مهلككم وانما فيه انه
دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال
لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله
عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي الاية وروي في الاخبار انهم راوا دلايل العذاب ومخايله
قاله ابن مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى السحاب القبر
فان قلت فما معنى ما روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث
اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي
حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول
اكتب كيف شيت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول
له اكتب كيف شيت وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا كان يكتب
للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما
كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق
بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مومن ريبا
اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر
افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا . والعجب لسليم العقل كيف
يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر
على الله ورسوله ولم ترد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد
ما قاله وافتراه على نبي الله . وانما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله

الثوب القبر
الثوب القبر نسخه

كافرا خ

عدو خ

وأولئك هم الكاذبون. وما وقع من ذكرها في حديث أنس وظاهر حكايته
لها فليس فيه ما يدل أنه شاهدها ولعله حكى ما سمع. وقد علل البزار حديثه
ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن أنس قال وأظن
حميدا إنما سمعه من ثابت قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ولهذا والله
أعلم لم يخرج أهل الصحيح حديث ثابت وحميد والصحيح حديث عبد العزيز
ابن رفيع عن أنس الذي خرجه أهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن أنس قول
شيء من ذلك من قبل نفسه إلا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة
لما كان فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه ولا جواز
للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القرآن وأنه من
عند الله إذ ليس فيه لو صح أكثر من أن الكاتب قال له عليم حكيم أو كتبه فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه أو قلمه لكلمة أو كلمتين مما أنزل
على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل إظهار الرسول لها إذ كان ما تقدم مما أملاه
الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به
وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف إذا سمع البيت أن يسبق إلى قافيته
أو مبتدإ الكلام الحسن إلى ما يتم به فلا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك
في آية ولا في سورة. وكذلك قوله عليه السلام إن صح كل صواب. فقد يكون هذا
فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان أنزلتا جميعا على النبي صلى الله
عليه وسلم فأملى إحداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام إلى
الأخرى فذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه
وسلم ثم أحكم الله من ذلك ما أحكم ونسخ ما نسخ كما وجد ذلك في بعض قد ح
مقاطع الآي. مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت

العزيز الحكيم وهي قراءة الجمهور • وقد قرأ جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست
من المصحف • وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور
وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشرها وننشزها ويقض الحق
ويقص الحق • وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا
وهما • وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم
الى الناس غير القرآن فيصف الله ويسميه كيف شاء • فصل هذا القول
فيما طريقه البلاغ • واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند
لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا يضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال
نفسه • فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شي من ذلك
بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه
وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه صلى الله عليه وسلم ودليل ذلك
اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم رضي
الله عنهم مبادرتهم الى تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره صلى الله عليه
وسلم في اي باب كانت وعن اي شي وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد في
شي منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا • ولما احتج
ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم
كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم
فقال عمر رضي الله عنه كذبت يا عدو الله • وايضا فان اخباره وآثاره وسيره
وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شي منها استدراكه عليه
السلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شي اخبر به • ولو كان ذلك

في ذكر بعض ... عليه

لنقل •

لمثل كما نقل من نصيحته عليه السلام رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا • وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب غيرها
كقوله عليه السلام والله لا أحلف على يمين فأرى خيرا منها إلا فعلت الذي حلفت
عليه وكفرت عن يميني • وقوله عليه السلام إنكم تختصمون إلي الحديث • وقوله
عليه السلام اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر • كما سنبين كل ما في هذا من مشكل
في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله تعالى مع أشباهها • وأيضا فإن الكذب
متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب
بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا • ولهذا ما ترك المحدثون
والعلماء الحديث عن من عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته
وأيضا فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع
مسقط للمروءة • وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة • والمرة الواحدة منه فيما
يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها ويزري بقائلها لاحقة بذلك • وأما ويستشنع
فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها في
الخلاف فيها مختلف فيه • والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده
إذ عمدة النبوة البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وتجويز شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين
بأنه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام خلف في القول في وجه من الوجوه لا
بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو
فيما ليس طريقه البلاغ • نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام
به في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر القلوب
عن تصديقهم بعد • وانظر أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش

وغيرها من العرب وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل
وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني من اول الكتاب ما يبين لك
صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث
السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر • حدثنا القاضي ابو
الاصبغ ابن سهل • حدثنا حاتم بن محمد • حدثنا ابو عبد الله بن الفخار • حدثنا
ابو عيسى • حدثنا عبيد الله • حدثنا يحيى • عن مالك عن داود بن الحصين • عن ابي
سفين مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله
اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن **وفي**
الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين
وانها لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك
يا رسول الله **فاعلم** وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد
الانصاف • ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف • وها انا اقول اما على
القول بتجويز الوهم والغلط مما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه
من القولين • فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه • واما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في افعاله صلى الله عليه وسلم جملة ويرى انه في مثل هذا عامد
لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه
على هذا القول تعمد هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره في موضعه • واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز
السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم

خبر

أخبر عن اعتقاده وضميره. أما إنكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا.
وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وأنه لم ينس في ظنه
فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وإن لم ينطق به وهذا صدق أيضا **وجه ثالث**
أن قوله عليه السلام ولم أنس راجع إلى السلام أي إني سلمت قصدا وسهوت
عن العدد أي لم أسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد **وجه رابع**
وهو أبعدها ما ذهب إليه بعضهم وإن احتمله اللفظ من قوله عليه السلام
كل ذلك لم يكن أي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان أحدهما ومفهوم اللفظ خلافه
مع الرواية الأخرى الصحيحة وهو قوله عليه السلام ما قصرت الصلوة وما نسيت
هذا ما رأيت فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها
وتعسف الآخر منها **قال القاضي** أبو الفضل رحمه الله تعالى والذي أقول ويظهر
لي أنه أقرب من هذه الوجوه كلها أن قوله عليه السلام لم أنس إنكار للفظ الذي
نفاه عن نفسه وأنكره على غيره بقوله بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا وكذا
ولكنه نسي. وبقوله عليه السلام في بعض روايات الحديث الآخر لست أنسى
ولكن أنسى فلما قال له السائل أقصرت الصلوة أم نسيت أنكر قصرها كما كان ونسيانه
هو من قبل نفسه عليه السلام. وأنه إن كان جرى شيء من ذلك فقد نسي
حتى سأل غيره فتحقق أنه نسي وأجري عليه ذلك ليسن. فقوله على هذا لم أنس
ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي
وجه آخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك أنه قال إن النبي صلى الله عليه
وسلم كان يسهو ولا ينسى. ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لأن النسيان
غفلة وآفة والسهو إنما هو شغل بال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته
ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة

عنها وقد اتفق على هذا المعنى لم يكن في قوله عليه السلام ما قصرت ولا
نسيت خلف في قوله • وعندي ان قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت وما نسيت
بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين
تاركا لاكمال الصلوة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي • والدليل على ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح اني لأنسى او انسى لأسن • واما قصة
كلمات ابرهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصة
في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم • وبل فعله كبيرهم هذا • وقوله عليه السلام
للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب
لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن
الكذب • اما قوله عليه السلام اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم
اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا •
وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت • وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم • وقيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته
وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق • وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم
وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك •
وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكن ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر
معلول حتى الهمه الله تعالى باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس
والقمر ما نصه الله تعالى وقد قدمنا بيانه • واما قوله عليه السلام بل فعله
كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق
فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه • واما قوله

قال العلامة التفتازاني [illegible]

كانوا

عليه السلام

عليه السلام أختي فقد بيّن في الحديث وقال فإنك أختي في الإسلام وهو صدق
والله تعالى يقول إنما المؤمنون إخوة فإن قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد
سمّاها كذبات وقال لم يكذب إبرهيم إلا ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته فمعناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا
في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبرهيم
عليه السلام بمؤاخذته بها وأما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد
غزوة ورّى بغيرها فليس فيه خلف في القول إنما هو ستر مقصده لئلا يأخذ
عدوه حذره منه وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن
أخباره والتعريض بذكره لا أنه يقول تجهزوا إلى غزوة كذا أو وجهتنا إلى موضع
كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والأول ليس فيه خبر يدخله الخلف فإن
قلت فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم
فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه الحديث وفيه قال بلى عبد لنا بمجمع البحرين
أعلم منك وهذا خبر قد أنبأ الله تعالى أنه ليس كذلك فاعلم أنه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هل تعلم أحدا أعلم منك
فإذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة • وعلى الطريق
الآخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لأن حاله في النبوة والاصطفاء
يقتضي ذلك فيكون إخباره بذلك أيضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله عليه السلام أنا أعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد
وأمور الشريعة وسياسة الأمة ويكون الخضر أعلم منه بأمور أخر مما لا يعلمها
أحد إلا بإعلام الله من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى أعلم
على الجملة بما تقدم • وهذا أعلم على الخصوص بما أعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه

من لدنا علما. وعتبنا به ذلك عليه فيما قال لم نعلم أنكار هذا القول عليه لانه
لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا أو لانه لم يرض قوله شرعا
وذلك والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته
من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه فيورثه ذلك من الكبر والعجب
والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبيا فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا
قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر
وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من موسى ولا يكون
الولي اعلم من النبي صلى الله عليه وسلم. واما الانبيا فيتفاضلون في المعارف وبقوله
وما فعلته عن امري فدل انه بوحي. ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله
بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره
الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا يعول عليه. واذا
جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم نحتج
الى اثبات نبوة خضر عليه السلام وبهذا قال بعض الشيوخ كان موسى عليه السلام
اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله تعالى والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال
اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا للتعليم

فصل

واما ما يتعلق بالجوارح
من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه
الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة
به فاجمع المسلمون على عصمة الانبيا عليهم السلام من الفواحش والكبائر الموبقات
ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر
ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق

وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لأن
كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة • والجمهور
قائل بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم
إلا حسينا النجار فإنه قال لا قدرة لهم على المعاصي أصلا • وأما الصغائر
فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره
من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به • وذهبت طائفة
أخرى إلى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يأت في الشرع قاطع
بأحد الوجهين • وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين إلى
عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر
وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره أن كل ما عصي الله
به فهو كبيرة وأنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منه ومخالفة
الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة • قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب
لا يمكن أن يقال إن في معاصي الله صغيرة إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء
والمشيئة في العفو عنها إلى الله تعالى وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية
وكثير من أئمة الفقها • وقال بعض أئمتنا ولا يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون
عن تكرار الصغائر وكثرتها إذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة أدت إلى
إزالة الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة فهذا أيضا مما
يعصم عنه الأنبياء عليهم السلام إجماعا لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به
ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والأنبياء منزهون عن ذلك بل يلحق
بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى مثله لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح

الصغيرة
الصغائر صح
يوجب
منصب

إلى الحظر. وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه قصداً. وقد
استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم
واتباع آثارهم وسيرهم مطلقاً وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك
والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم من غير التزام قرينة بل مطلقاً عند بعضهم
وإن اختلفوا في حكم ذلك. وحكى ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك التزام
ذلك وجوباً وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر أصحابنا وقول أكثر أهل
العراق وابن سريج والإصطخري وابن خيران من الشافعية وأكثر الشافعية
على أن ذلك ندب. وذهبت طائفة إلى الإباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان
من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة. ومن قال بالإباحة في أفعاله لم
يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم إذ ليس كل
فعل من أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية
ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية لا سيما على من يرى تقديم الفعل
على القول إذا تعارضا من الأصوليين. ونزيد هذا حجة بأن نقول من جوز الصغائر
ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل
وأنه متى رأى شيئاً فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف يكون هذا
حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم
من مواقعة المكروه كما قيل. إذ الحظر أو الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر
والنهي عن فعل المكروه. وأيضاً فقد علم من دين الصحابة رضي الله عنهم قطعاً
الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت. وفي كل فن كالاقتداء
بأقواله صلى الله عليه وسلم فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم
حين خلع نعله صلى الله عليه وسلم واحتجاجهم برؤية ابن عمر رضي الله عنهما

إياه

إياه جالساً لقضاء حاجته مستقبلاً بيت المقدس • وأخبر غير واحد منهم
في غير شيء مما بابه العبادة أو العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعله وقال هلا أخبرتها إني أقبل وأنا صائم • وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة
كنت أفعله أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم • وغضب عليه السلام على الذي
أخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء • وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم
بحدوده • والآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه تعلم من مجموعها — بها صح
على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء
منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما أنكر عليه السلام
على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه • وأما المباحات فجائز وقوعها منهم إذ
ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها
إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من أنوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق الهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من المباحات — بالهم صح
إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم
وما أخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفاً
في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك فضل الله على نبينا صلى الله عليه وسلم — عظيم صح
وعلى سائر الأنبياء عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه
المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل
النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون • والصحيح إن شاء الله تعالى تنزيههم من كل
عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فإن
المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع • وقد اختلف الناس في حال نبينا
صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه هل كان متبعاً لشرع قبله أم لا فقال جماعة

لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا
معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر
الشريعة • ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة
ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر ابن الطيب
من طريق السمع • وحجته أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة
إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة
ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة • وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك
عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا • وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي
أبي بكر أولى وأظهر • وقالت فرقة أخرى بالوقف في أمره عليه السلام وترك قطع
الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها
في أحدهما طريق النقل وهو مذهب أبي المعالي • وقالت فرقة ثالثة إنه كان
عاملا بشرع من قبله • ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا • فوقف بعضهم
عن تعيينه وأحجم • وجسر بعضهم على التعيين وصمم • ثم اختلفت هذه المعينة
فيمن كان يتبع • فقيل نوح • وقيل إبرهيم • وقيل موسى • وقيل عيسى • صلوات الله عليهم
فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة • والأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر
وأبعدها مذاهب المعينين إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة
ولا حجة لهم في أن عيسى عليه السلام آخر الأنبياء فلزمت شريعته من جاء
بعدها إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة إلا
لنبينا صلى الله عليه وسلم • ولا حجة للآخر أيضا في قوله تعالى أن اتبع ملة إبرهيم
حنيفا • وللآخرين في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا • فحمل هذه

الآية

الأئمة على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده • وقد سمى الله فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
عليهما السلام على قول من يقول إنه ليس برسول • وقد سمى الله تعالى جماعة منهم
في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه
من التوحيد وعبادة الله تعالى • وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا
القول في سائر الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم أو يخالفون بينهم أما من منع
الاتباع عقلا فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية • وأما من مال إلى النقل فأينما
تصور له وتقرر اتبعه • ومن قال بالوقف فعلى أصله • ومن قال بوجوب الاتباع
لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون المخالفة
فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف • وأما
ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر
الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه • فأحوال الأنبياء عليهم
السلام في ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية لهم مع أممهم سواء • ثم ذلك على
نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل
وأخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه **أما الأول**
فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب • وقد ذكرنا الاتفاق
على امتناع ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
أو سهوا • فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا وطرؤ ح
ولا سهوا لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء وطرو هذه العوارض عليها
يوجب التشكيك وتسبب المطاعن • واعتذروا عن أحاديث السهو بتوجيهات
نذكرها بعد هذا وإلى هذا مال أبو إسحق • وذهب الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى

ان المخالفة فى الأفعال البلاغية والأحكام الشرعية سهوًا وعن غير قصد منه
جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو فى الصلوة • وفرق بين ذلك وبين الأقوال
البلاغية لقيام المعجزة على الصدق فى القول • ومخالفة ذلك تناقضها وأما
السهو فى الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح فى النبوة بل غلطات الفعل وغفلات
القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم إنما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني • نعم بل حالة النسيان والسهو هنا فى حقه عليه السلام
سبب إفادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام انى لأنسى أو أنسّى لأسنّ
بل قد روى لست أنسى ولكن أنسّى لأسنّ • وهذه الحالة زيادة له صلى الله عليه وسلم
فى التبليغ وتمام عليه فى النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن فان القائلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقرّ على السهو والغلط بل ينبهون عليه
ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول
الآخرين • وأما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه السلام
وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه فالأكثر من
طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات
بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة الأهل
وملاحظة الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور
كما قال عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله • وليس فى هذا شىء يحط
من رتبته ويناقض معجزته • وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات
والفترات فى حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب
علم القلوب والمقامات ولهم فى هذه الأحاديث مذاهب سنذكرها بعد هذا
ان شاء الله تعالى فصل فى الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه

عليه السلام

عليه السلام • قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه السلام
وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه
في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن
نبسط القول فيه • الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة
ثلثة احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث
ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي بيان السهو
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا • وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل
الذي قررناه • وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول
وارفع للاحتمال • وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس
وتظهر فائدة الحكمة منه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه
عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق • وقد قال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني • وقال رحم الله فلانا لقد
اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطهن ويروى انسيتهن • وقال عليه السلام اني
لانسى او انسى لاسن • قيل هذا اللفظ شك من الراوي • وقد روي اني لا انسى
ولكن انسى لاسن • وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه
التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله • قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما
قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم • او انسى على سبيل عادة
البشر من الذهول عن الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف
احد النسيانين الى نفسه عليه السلام اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر • وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام
على الحديث الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان

النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلاً بها لا غفلة عنها • واحتج بقوله عليه السلام في الرواية الأخرى اني لا انسى • وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمداً وقصداً ليسن • وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون متعمداً ساهياً في حال • ولا حجة لهم في قولهم انه صلى الله عليه وسلم امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله عليه السلام اني لا انسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله عليه السلام اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه لقوله عليه السلام بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز تأخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين • والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له • فان قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادي وقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد

وكذا

بالعدو [illegible]

بسور

ينذر منه غير ذلك • ويصحح هذا التأويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه
ان الله قبض ارواحنا • وقول بلال رضي الله عنه فيه ما ألقيت علي نومة
مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده من اثبات حكم وتأسيس
سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن
اراد ان تكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه عليه السلام لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام حتى
ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ • وحديث ابن عباس رضي الله عنهما
المذكور فيه وضوؤه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن
الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث
آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت خطيطه ثم اقيمت الصلوة
فصلى ولم يتوضأ • وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس
في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب
وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير
هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح
فقيل في الجواب انه كان من شأنه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة
اول الفجر لا تصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة
فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته
فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت • وقد قال عليه السلام
اني انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني • وقال لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت
انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ • اما نهيه عن ان
يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ نقله من القرآن اي ان الغفلة في هذا

غطيطه

في هذا لم يكن منه ولكن الله تعالى اضطره اليها ليمحو بها ما نسي او نسيت وما كان من
سهو او غفلة من قبله ثم تذكرها صلح ان يقال فيه انسي • وقد قيل ان هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه • والاخر
على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقط من
هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر بابلاغه وتوصيله الى عباده ثم
يستذكرها من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب
وترك استذكاره • وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله
كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما
لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله تعالى
كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام
على ما احتجوا به في ذلك **اعلم** ان المجوزين للصغائر على الانبياء عليهم السلام
من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر
كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف
المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها
للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف
فيما احتجوا به من ذلك قديما وقامت الدلالة على خطإ قولهم وصحة غيره
وجب تركه والمصير الى ما صح • وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله تعالى •
فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر • وقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات • وقوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك • وقوله تعالى عفا الله عنك

لما أذنت لهم • وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
عظيم • وقوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآيات • وما قص من قصص غيره
من الأنبياء كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى • وقوله تعالى عنه ربنا ظلمنا
أنفسنا الآية • وقوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما الآية •
وقوله تعالى عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين • وما ذكر من قصته وقصة
داود عليهما السلام • وقوله تعالى وظن داود أنما فتناه إلى قوله وأناب • وقوله
تعالى ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته • وقوله تعالى عن
موسى عليه السلام فوكزه موسى فقضى عليه • قال هذا من عمل الشيطان • وقول
النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم رب اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت • ونحوه من أدعيته عليه السلام وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث
الشفاعة • وقوله عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث
أبي هريرة رضي الله عنه إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين
مرة • وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله تعالى له
ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون • وقال تعالى عن إبراهيم عليه
السلام والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين • وقوله تعالى عن موسى
عليه السلام تبت إليك • وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان • إلى ما أشبه هذه
قال القاضي رحمه الله
الظواهر • فأما احتجاجهم بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون • فقيل المراد ما كان قبل النبوة
وبعدها • وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع أعلمه أنه مغفور له •
وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن نصر • وقيل
المراد بذلك أمته عليه السلام • وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل

حكاه الطبري واختاره القشيري • وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تأخر
من ذنوب امتك • حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطا وبمثله والذي
قبله يتأول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات • قال مكي
مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لامته • وقيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار
فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم الآية • وبمال المؤمنين في الآية
الاخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنهما فمقصد الآية انك مغفور لك
غير مواخذ بذنب ان لو كان • قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة من العيوب •
وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك • فقيل ما سلف
من ذنبك قبل النبوة • وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة • وقيل
معناه انه حفظ قبل النبوة منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره • حكى
معناه السمرقندي • وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى
بلغها • حكاه الماوردي والسلمي • وقيل ازدحطنا عنك ثقل ايام الجاهلية
حكاه مكي • وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك
لك • حكى معناه القشيري • وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما
استحفظت وحفظ عليك • ومعنى انقض • اي كاد ينقضه فيكون المعنى على
من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل
نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها
او يكون الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره
او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه • واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت

لهم • فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب
الى ذلك • قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا
وقد كان له صلى الله عليه وسلم أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف
وقد قال الله تعالى فأذن لمن شئت منهم • فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى بما لم
يطلع من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس
عفا هاهنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم تجب عليكم قط أي لم يلزمكم ذلك • ونحوه للقشيري •
قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب • قال
ومعنى عفا الله عنك • أي لم يلزمك ذنبا • قال الداودي روي أنها تكرمة •
قال مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك • وحكى السمرقندي أن
معناه عافاك الله • وأما قوله في أسارى بدر • ما كان لنبي أن تكون له أسرى.
الآية فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به
وفضل من بين سائر الأنبياء عليه وعليهم السلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي
غيرك كما قال عليه السلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فإن قيل فما معنى
قوله تريدون عرض الدنيا الآية • قيل المعنى بالخطاب لمن أراد ذلك منهم
وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي
صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه • بل قد روي عن الضحاك أنها نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي
عمر رضي الله عنه أن يعطف عليهم العدو • ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق
فاختلف المفسرون في معنى الآية • فقيل معناها لولا أنه سبق مني أن لا أعذب

أخذ الأسرى لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية. وقيل
المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم
على الغنائم. ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن
وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى. وقيل لولا أنه سبق في
اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لأن من فعل
ما أحل له لم يعص. قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا. وقيل بل كان عليه السلام
قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاؤوا القتل وإن
شاؤوا الفدا على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفدا ويقتل منا وهذا
دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال
إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل فعوتبوا على ذلك
وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين.
وإلى نحو هذا أشار الطبري. وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من السماء
عذاب ما نجا منه إلا عمر إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه
في إعزاز الدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت
عذابا نجا منه عمر ومثله. وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر
عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق. وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت
ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل
من نص ولا جعل الأمر إليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك. وقال القاضي بكر
ابن العلاء أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال
الغنائم والفدا. وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها

الحضرمي

ابن الحضرمي والحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك
قبل بدر بأزيد من عام • فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم
في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة • وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله
عليهم لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته
وتأكيد منته بتعريفهم ما كتب في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه
عتاب وإنكار أو تذنيب • هذا معنى كلامه • وأما قوله • تعالى عبس وتولى الآيات •
فليس فيه إثبات ذنب له عليه السلام بل إعلام الله أن ذلك المتصدى له ممن
لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك حال الرجلين الإقبال على الأعمى
وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى
وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية ومخالفة له • وما
قصه الله تعالى عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده
والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله تعالى • وما عليك ألا يزكى • وقيل أراد بعبس
وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم • قاله أبو تمام • وأما قصة
آدم عليه السلام وقوله تعالى فأكلا منها بعد قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا
من الظالمين • وقوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه
بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى • أي جهل • وقيل أخطأ فإن الله تعالى
أخبر بعذره بقوله تعالى • ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما •
قال ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله تعالى إن
هذا عدو لك ولزوجك الآية • وقيل نسي ذلك بما أظهر لهما • وقال ابن عباس
رضي الله عنهما إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي • وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما • إني لكما لمن الناصحين •

وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله حانثا وقد روي عذر آدم عليه السلام بمثل هذا
في بعض الآثار • وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع
وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما • أي قصدا للمخالفة •
وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الحزم والصبر • وقيل كان عند أكله سكران
وهذا فيه ضعف لأن الله تعالى وصف خمر الجنة أنها لا تسكر فإذا كان ناسيا
لم تكن معصية • وكذلك إن كان ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على خروج
الناسي • والساهي عن حكم التكليف • وقال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره إنه
يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى • فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل أكلها متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله
عن شجرة مخصوصة لا على الجنس • ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ
لا من المخالفة • وقيل تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فإن قيل
فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه • وقال فتاب عليه • وقوله في
حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت • فسيأتي
الجواب عنه وعن أشباهه مجملا آخر الفصل إن شاء الله تعالى وأما قصة
يونس عليه السلام • فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس
نص على ذنب وإنما فيه أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه • وقيل إنما نقم
الله تعالى عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب • وقيل بل لما وعدهم
العذاب ثم عفا الله تعالى عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا • وقيل
بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك • وقيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة
وقد تقدم الكلام أنه لم يكذبهم • وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على قول

مرغوب

مرغوب عنه. وقوله تعالى إذ أبق إلى الفلك المشحون. قال المفسرون
تباعد. وأما قوله إني كنت من الظالمين. فالظلم وضع الشيء في غير موضعه.
فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فإما أن يكون لخروجه عن قومه
بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب على قومه وقد
دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ. وقال الواسطي في
معناه نزه ربه عز وجل عن الظلم وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافا واستحقاقا
ومثل هذا قول آدم عليه السلام وحواء ربنا ظلمنا أنفسنا إذ كانا السبب
في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه وإخراجهما من الجنة وإنزالهما
إلى الأرض وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره
فيها الإخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين
ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح. والذي نص
الله تعالى عليه قوله وظن داود أنما فتناه إلى قوله وحسن مآب. وقوله
فيه أواب. فمعنى فتناه أي اختبرناه. وأواب. قال قتادة مطيع وهذا التفسير
أولى. قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على أن قال للرجل انزل
لي عن امرأتك وأكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وأنكر عليه
شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره. وقد قيل خطبها
على خطبته. وقيل بل أحب بقلبه أن يستشهد. وحكى السمرقندي أن
ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول
خصمه وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود عليه السلام من ذلك
ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين. قال الداودي ليس في
قصة داود عليه السلام وأوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم

وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية
واما قصة يوسف عليه السلام واخوته فليس على يوسف منها تعقب
واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط
وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء عليهم السلام. قال المفسرون يريد
من نبي من ابناء الاسباط. وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا
صغار الاسنان. ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله
معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم. واما قول
الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه. فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله
عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا
معصية في همه اذا. واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان
الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة. واما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق. فيكون ان شاء الله هم يوسف
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم
او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل
وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام
فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها.
وقد قال الله تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء. وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت
هيت لك الآية. قيل في ربي الله. وقيل الملك. وقيل همه بها اي بزجرها ووعظها.
وقيل همه بها اي غمها امتناعه عنها. وقيل همه بها نظره اليها. وقيل هم بضربها

ودفعها

ودفعها • وقيل هذا كله كان نبوته • وقد ذكر بعضهم ما زال المتأملون فتنا
إلى يوسف مثل شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من رآه عن حسنه • وأما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي
وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه قال كان من القبط الذين على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى عليه السلام • وقال
قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك • وقوله
هذا من عمل الشيطان • وقوله ظلمت نفسي فاغفر لي • قال ابن جريج قال
ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر • وقال النقاش لم يقتله
عن عمد مريدا للقتل • وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه • قال وقد قيل إن
هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة • وقوله في قصته وفتناك فتونا
أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء • قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون •
وقيل إلقاؤه في التابوت واليم وغير ذلك • وقيل معناه أخلصناك إخلاصا
قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار إذا خلصتها وأصل
الفتنة معنى الاختبار وإظهار ما بطن إلا أنه استعمل في عرف الشرع في
اختبار أدى إلى ما يكره • وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من أن ملك الموت
جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام
بالتعدي وفعل ما لا يجب له إذ هو ظاهر الأمر بين الوجه جائز الفعل
لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها وقد تصور له في صورة آدمي
ولا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة أدت
إلى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه
بعد وأعلمه الله أنه رسوله إليه استسلم وللمتقدمين والمتأخرين على هذا

الحديث أجوبة هذا أسدها عندي وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري
وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته
وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف • وأما قصة سليمان عليه
السلام وما حكى فيها أهل التفسير من ذنبه • وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأطوفن
الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت
بشق رجل قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله
لجاهدوا في سبيل الله • قال أصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي ألقي على
كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته • وقيل بل مات فألقي على كرسيه
ميتا • وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه • وقيل لأنه لم يستثن لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمني • وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن
أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم • وقيل أوخذ بذنب قارفه
بعض نسائه • ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على
ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا
وقد عصم الأنبياء من مثله • وإن سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة
إن شاء الله فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها
وذلك لينفذ مراد الله تعالى الثاني أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله
هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا
نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد
كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك

وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره
من انبياء الله تعالى ورسله بخواص منه • وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على
نبوته كالانة الحديد لابيه • واحيا الموتى لعيسى عليه السلام واختصاص
محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا • واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة
العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك • فطلب
مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد
الله تعالى • فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعد بنجاتهم لكفره وعمله
الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم
فاوخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله
ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش
لا يعلم بكفر ابنه • وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح عليه
السلام بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن
له فيه ولا نهي عنه • وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق
قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس
في هذا الحديث ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل
من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى • الا ترى ان هذا النبي
صلى الله عليه وسلم كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها
مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله تعالى اليه ما يوجب عليه معصية
بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير
للصابرين • اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك • ولم يات في كل هذا امرا

بالتسبيح

الضر

الاستغفار
نهى عنه يعصى به ولا نص بما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولاما الذنوب والا
منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام ما من احد الا الم بذنب
او كاد الا يحيى بن زكريا او قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب
الانبيا التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل فان قلت فاذا
نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين
وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران
والحديث الصحيح من اعتراف الانبيا عليهم السلام بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شي
فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبيا عليهم السلام في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم
في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها
او حذروا من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور
الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم
ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب
ماخوذ من الشي الدني والرذل ومنه ذنب كل شي اي اخره واذناب الناس
رذالهم فكان هذه اذنى افعالهم واسوا ما يجرى من احوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفي والخشية لله تعالى واعظامه في السر والعلانية وغيرهم
يتلوث من الكباير والقبايح والفواحش ما تكون بالاضافة اليه هذه الهنات
في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة

كما هو
رحمه الله
صح هذا

وعظم

اراذلهم

الى علي احوالهم كالسباب • وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى
اللفظة كيف ما كانت من سهو او تأويل فهي مخالفة وترك • وقوله تعالى غوى
اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها • والغي الجهل • وقيل اخطأ ما طلب
من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته • وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ
بقوله لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث
في السجن بضع سنين • قيل انسي يوسف ذكر الله • وقيل انسي صاحبه ان يذكره
لسيده الملك • قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن
ما لبث • قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى • وقال بعضهم يؤاخذ الانبيا
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم الخلق صح
في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب • وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق
ما قلناه اذا كان الانبيا يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو
والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم
فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم
بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم
ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال ثم اجتباه
ربه فتاب عليه وهدى • وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية • وقال بعد قوله
لموسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس • وقال بعد ذكر فتنة سليمان
وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب • قال بعض المتكلمين زلات الانبياء
عليهم السلام في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف • واشار الى نحو
مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم

بذلك فيستشعر الحذر ويعتقد المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن
سواهم • ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين • قال ابن عطا لم يكن
ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا صلى الله
عليه وسلم • وايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الانبيا عليهم السلام من الكبائر فما جوزتم
من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المواخذة بها اذا عندكم
وخوف الانبيا وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا
عن المواخذة بافعال السهو والتاويل • وقد قيل ان كثرة استغفار النبي صلى الله
عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبيا عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع
والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله تعالى على نعمه كما قال عليه السلام
وقد أمن من المواخذة بما تقدم وما تأخر افلا اكون عبدا شكورا • وقال عليه
السلام اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي • قال الحرث بن اسد خوف الملايكة
والانبيا عليهم السلام خوف اعظام وتعبد لله تعالى لانهم آمنون • وقيل فعلوا
ذلك ليقتدي بهم وتستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا • وايضا فان في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا
اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله تعالى • قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الانبيا والرسل للاستغفار والتوبة والانابة
والاوبة في كل حين استدعا لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة • وقد
قال الله تعالى لنبيه عليه السلام بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية • وقال تعالى فسبح بحمد ربك

واستغفره

واستغفره انه كان توابا. **فصل** قد استبان لك ايها الناظر مما قررناه
ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته او كونه على حالة
تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا
ونقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا
وشرعا • وعصمته صلى الله عليه وسلم عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله
تعالى وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا
وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا • وعن
الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للامة • وعصمته في كل حالاته صلى الله عليه وسلم من رضى
وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاها باليمين وتشد عليها يد
الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها
فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف
صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه • ولا ينزهه
عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الاسفل من النار اذ ظن الباطل به • واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه
دار البوار • ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو
معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان معتكف بيانه
يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا •
هذه اكرمك الله احدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول • ولعل جاهلا
لا يعلم بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان
السكوت اولى • وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية

تضطر اليها في أصول الفقه وينبني عليها مسائل لا تتعدد من الفقه ويتخلص
بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهو الحكم في أقوال النبي صلى الله
عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من أصول الفقه ولا بد من بنائه
على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز السهو عليه
فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر
وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به • وفائدة
ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم
شيئا من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه
وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن أين يدري
هل ما قاله فيه نقص أو مدح • فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط
حقا أو يضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف أرباب
الأصول وأئمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة فصل في القول
في عصمة الملائكة • أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة
المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم
منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء عليهم السلام مع الأمم
واختلفوا في غير المرسلين منهم • فذهبت طائفة منهم إلى عصمة جميعهم عن
المعاصي • واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون
وبقوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون
وبقوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته الآية • وبقوله تعالى إن
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية • وقوله تعالى كرام بررة
ولا يمسه إلا المطهرون • ونحوه من السمعيات • وذهبت طائفة إلى أن هذا

خصوص للمرسلين منهم والمقربين • واختصوا بأشياء ذكرها أهل الأخبار
والتفاسير ونحن نذكرها إن شاء الله تعالى بعد • ونبين الوجه فيها إن شاء الله •
والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم
ومنزلتهم عن جليل مقدارهم • ورأيت بعض شيوخنا أشار أن لا حاجة بالفقيه
إلى الكلام في عصمتهم • وأنا أقول إن للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة
الأنبياء عليهم السلام من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الأقوال
والأفعال فهي ساقطة ها هنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم
قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقلة المفسرين
وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم أكرمك الله أن هذه
الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه
وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الأخبار من كتب
اليهود وافترائهم كما نصه الله تعالى أول الآيات من افترائهم بذكرهم ذلك
على سليمان عليه السلام وتكفيرهم إياه • وقد انطوت القصة على شنع عظيمة •
وها نحن نحبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الإشكالات إن شاء الله تعالى
فاختلف أولا في هاروت وماروت هل هما ملكان أو إنسيان • وهل هما المراد
بالملكين أم لا • وهل القراءة ملكين أو ملكين • وهل ما في قوله تعالى وما أنزل على
الملكين وما يعلمان من أحد نافية أو موجبة • فأكثر المفسرين أن الله امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وأن عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن • قال
الله تعالى إنما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم إنذار أي يقولان
لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فإنه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا

بكذا فانه سحر فلا تكفروا • فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما أمرا به
ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة • وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر
عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ
بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته
وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه
بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله تعالى وابتلا فكيف لا ينزههما
عن كبائر المعاصي والكفر المذكور في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد
ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما • قال مكي وتقدير الكلام وما
كفر سليمن يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك
اليهود وما انزل على الملكين • قال مكي هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما
المجي به كما ادعوا على سليمن فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون
الناس السحر ببابل هاروت وماروت • قيل هما رجلان تعلماه • وقال الحسن
هاروت وماروت علجان من اهل بابل • وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام •
وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن ابن ابزى بكسر اللام ولكنه
قال الملكان هنا داود وسليمن وتكون ما نفيا على ما تقدم • وقيل كانا ملكين
من بني اسرائيل فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندي • والقراءة بكسر اللام شاذة
فحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم
تطهيرا • وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون • وكرام بررة • ولا يعصون
الله ما امرهم • ومما يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا
فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله تعالى
فسجدوا الا ابليس • وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه

ابو الجن

ابو الجن كما ان آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال
شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملئكة في الارض حين افسدوا
والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال الله تعالى
وما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما روي في الاخبار ان خلقا من الملئكة
عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك
حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها يردها صحاح الاخبار
فلا يشتغل بها **الباب الثاني فيما يخصهم في الامور**
الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا انه عليه السلام
وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه
من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة
الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل هذه الدار فيها
يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير
فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش
ولحقه الغضب والضجر وناله الاعيا والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى
وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها
واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه
كما عصم بعد نبينا عليه السلام من الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة

يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداته عند دعوته أهل الطائف • فلقد
أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث
وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولكن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه
ما هو أعظم من سم اليهودية • وهكذا سائر أنبيائه عليهم السلام مبتلى
ومعافى • وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين
أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل
الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى
بعيسى • وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم
تماما على الذي أحسن إليهم • قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات
المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة
بني آدم لمشاكلة الجنس • وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه
متعلقة بالملإ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم • قال
وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي • وقال عليه السلام
إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني • وقال عليه السلام لست
أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر صلى الله عليه وسلم أن سره وباطنه وروحه
بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر
ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا
نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما
هو في يقظته • حتى جاء في بعض الآثار أنه كان صلى الله عليه وسلم محروسا من
الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه • وكذلك غيره إذا جاع ضعف
لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته • وهو عليه السلام قد أخبر

جبل

والتغييرات

اى ضعفت

انه لا يغتر به ذلك وانه بخلافهم بقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني
ربي ويسقيني • وكذلك اقول انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال كلها
من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه
على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد
في بيانه **فصل** فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام
سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابي بقراءتي عليه • قال حدثنا حاتم بن محمد •
حدثنا ابو الحسن علي بن خلف • حدثنا محمد بن احمد • حدثنا محمد بن يوسف •
حدثنا البخاري • حدثنا عبيد بن اسمعيل • حدثنا ابو اسامة • عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه
انه كان ياتي النسا ولا ياتيهن الحديث • واذا كان هذا من التباس الامر على
المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو
معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت
به الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم فيما يدخل في امره لبسا
وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض (العوارض)
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم • واما ما ورد انه كان يخيل اليه
انه كان يفعل الشيء ولا يفعله • فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء
من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته
من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث بسببها (طروءه)
ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل

إليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم يتخلى عنه كما كان • وأيضاً فقد فسر هذا
الفصل الحديث الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم حتى يخيل إليه أنه يأتي أهله
ولا يأتيهن • وقد قال سفين وهذا أشد ما يكون من السحر • ولم يأت في خبر
منها أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما
كانت خواطر وتخيلات • وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء
أنه فعله وما فعله لكنه تخييل ولا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته كلها
على السداد وأقواله على الصحة • هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن
هذا الحديث مما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بياناً من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن
ذوي الأضاليل يستفاد من نفس الحديث • وهو أن عبد الرزاق قد روى
هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير • وقال فيه عنهما سحر يهود بني
زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر •
وروى نحوه الواقدي عن عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم • وذكر عن عطاء
الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة
بينما هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث •
قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة
حتى أنكر بصره • فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما
تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر
في بصره وحبسه عن وطء نسائه فيكون معنى قوله يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا
يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا

منهن اصابته أخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى من أخذ واعترض
ولعله لمثل هذا اشار سفين بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر. ويكون قول
عايشة رضى الله عنها فى الرواية الاخرى انه يخيل اليه انه فعل الشىء وما فعله
من باب ما اختل من بصره كما ذكر فى الحديث فيظن انه رأى شخصا من بعض
ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه فى بصره
وضعف نظره صلى الله عليه وسلم لا لشىء طرا عليه فى ميزه. واذا كان هذا
لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد
المعترض انسا **فصل** فى حاله صلى الله عليه وسلم فى جسمه. فاما احواله
فى امور الدنيا فنحن نسبرها على اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل
أما العقد منها فقد يعتقد فى امور الدنيا الشىء على وجه ويظهر خلافه
او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع **كما حدثنا** ابو بحر سفين بن
العاص وغير واحد سماعا وقراءة. قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر حدثنا
ابو العباس الرازى. حدثنا ابو احمد بن عمرويه. حدثنا ابن سفين. حدثنا
مسلم. حدثنا عبد الله بن الرومى وعباس العنبرى واحمد المعقرى. قالوا
حدثنا النضر بن محمد قال حدثنى عكرمة. حدثنا ابو النجاشى. حدثنا رافع
ابن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل
فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشىء من دينكم
فخذوا به واذا امرتكم بشىء من رأيى فانما انا بشر. وفى رواية انس انتم
اعلم بامر دنياكم **وفى حديث** آخر انما ظننت ظنا فلا تواخذونى بالظن **وفى**
حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تمييزه نسخة

الخرص للنخل الحزر والتقدير

إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا
بشر أخطئ وأصيب • وهذا على ما قررناه فيما قاله صلى الله عليه وسلم من قبل
نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في
شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحاق أنه عليه السلام لما نزل بأدنى
مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه
أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة
قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه
من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد
قال الله تعالى وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث
تمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه • فمثل هذا
وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا
تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما
هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي
صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة الجوارح
مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض
الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها
لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة • وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام
من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز
في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل

وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه صلى الله عليه وسلم وقضاياهم الحادثة
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام

إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من
بعض فأقضي له على نحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه
شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار وحدثنا الفقيه أبو الوليد رحمه الله حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ حدثنا أبو عمر حدثنا أبو محمد حدثنا أبو بكر حدثنا
أبو داود حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفين عن هشام بن عروة عن أبيه عن
زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ
من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له وتجري أحكامه عليه السلام على
الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة
الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى
لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد
يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما
أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله ومقتضياته وسيره
صلى الله عليه وسلم وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله تعالى به لم
يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من
قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه
هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله تعالى له بما أطلعه الله عليه من سرائرهم
وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي يستوي
في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به صلى الله عليه وسلم في تعيين قضاياه
وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان
بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان

صلى الله عليه وسلم حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام
واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام ، وليقتدي بذلك كله حكام امته
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب
الذي استاثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
فيعلمه منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من
عصمته صلى الله عليه وسلم **فصل** واما اقواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية
من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله ، فقد قدمنا ان الخلف
فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض
او رضى او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم ، هذا فيما طريقه
الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب **فاما** المعاريض الموهم ظاهرها
خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة
كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره **وكما** روي من ممازحته
ودعابته لبسط امته صلى الله عليه وسلم وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته
وتاكيدا في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله عليه السلام لاحملنك على ابن
الناقة ، وقوله عليه السلام للمراة التي سألته عن زوجها اهو الذي بعينه
بياض ، وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض ،
وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا ، هذا كله فيما بابه الخبر
فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية
فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو
يبطن خلافه ، وقد قال عليه السلام ما كان للنبي ان تكون له خائنة الاعين
فكيف ان تكون له خيانة قلب **فان قلت** فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد

وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية
فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
الظاهر وأن يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن
جماعة من المفسرين • وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين
أن الله تعالى كان أعلم نبيه عليه السلام أن زينب ستكون من أزواجه
فلما شكاها إليه زيد قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في
نفسه ما أعلمه الله تعالى به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام
التزويج وطلاق زيد لها • وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك
الذي أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان
أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن تتزوجها ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره
معها غير زواجه لها فدل أنه الذي أخفاه عليه السلام مما كان أعلمه به تعالى
وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية
فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر • قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه صلى الله
عليه وسلم فيما أحل مثال فعله لمن قبله من الرسل • قال الله تعالى سنة الله في
الذين خلوا من قبل أي من النبيين فيما أحل لهم • ولو كان على ما روي في حديث
قتادة من وقوعها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما أعجبته ومحبته طلاق
زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة
الحياة الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء
فكيف سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم • قال القشيري وهذا إقدام عظيم من قائله
وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله • وكيف يقال رآها فأعجبته وهي

ح
[illegible]

بنت عمته فلم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها
لزيد وانما جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة
حرمة التبني وابطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم • وقال تعالى
لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم • ونحوه لابن فورك • وقال ابو
الليث السمرقندي فان قيل فما الفايدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها
فهو ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم
عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد
خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك
لامته كما قال تعالى لكي لا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم • وقد قيل
كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا
عليه انه راها فجاة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من
استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها
وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن الحسين
رضي الله عنهما وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطا وصححه واستحسنه القاضي
القشيري • وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من
اهل التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك
واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له ومن ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطا
قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحيا اي يستحيي منهم
ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف
المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه

عن نكاح حلائل الابنا كما كان نعمة الله على هذا ونزهه عن الالتفات لهم
فيما احله لهم كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله تعالى
لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله تعالى له عليه السلام هاهنا وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعايشة رضي الله عنهما لو
كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابدا ما
اخفاه. فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع
احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة
ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث
في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله
قال حدثنا القاضي ابو الوليد قال حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم
وابو اسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا علي بن
عبد الله حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت
رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي
رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر
استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله
عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله
حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي رواية واختلف اهل البيت واختصموا
فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من

يقول ما قاله عمر رضي الله عنه. قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه
مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى هذا
لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى. يقال هجر هجرا
إذا هذى. وأهجر هجرا إذا أفحش. وأهجر تعدية هجر. وإنما الأصح والأولى
أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب. وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من
رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن
عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق. وكذا
رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر
على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه و
شدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه
اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله تعالى يقول
والله يعصمك من الناس ونحو هذا. وأما على رواية أهجر وهي رواية أبي إسحق
المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون
هذا راجعا إلى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم
باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول
والهجر بضم الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف
اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي
صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن

قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا انه لم يكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم
وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم يكن عزمة
ولما راوه من صواب راي عمر رضي الله عنه ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر
رضي الله عنه اما اشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال
املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم اشتد به الوجع • وقيل خشي عمر رضي الله ان يكتب امورا يعجزون عنها
فيحصلون في الحرج بالمخالفة وراى ان الارفق بالامة في تلك الامور سعة
الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطي ماجورا
وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر الشرع وتاسيس الملة وان الله تعالى قال
اليوم اكملت لكم دينكم • وقوله عليه السلام اوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي
صلى الله عليه وسلم • وقد قيل ان عمر رضي الله عنه خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان يتقولوا في ذلك
الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك • وقيل انه كان من النبي
صلى الله عليه وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام
يختلفون فلما اختلفوا تركهم وقالت طايفة اخرى ان معنى الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا انه ابتدا بالامر
به بل اقتضاه منه بعض اصحابه فاجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل
التي ذكرناها • واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي رضي الله عنهما
انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث • واستدل بقوله عليه السلام دعوني

فإن الذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم
وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم • وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده
وتعيين ذلك فصل فما وجه حديثه أيضا الذي حدثناه الفقيه أبو محمد
الخشني بقراءتي عليه • حدثنا أبو علي الطبري • حدثنا عبد الغافر الفارسي • حدثنا
أبو أحمد الجلودي • حدثنا إبراهيم بن سفين • حدثنا مسلم بن الحجاج • حدثنا
قتيبة • حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين • قال سمعت
أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر
يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن
آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم
القيمة وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه بدعوة وفي رواية ليس لها بأهل
وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة
وصلاة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن
ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك أن قوله أولا ليس لها بأهل
أي عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة
التي ذكرناها فحكم عليه السلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده
حال ظاهره ثم دعا له عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين
التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه
ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه عليه السلام يحمله الغضب
ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم • وهذا معنى صحيح
ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز

ليكون

أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه أو العفو عنه وقد يحمل أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد وفي غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الإجابة كقوله تربت يمينك ولا أشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته • وقد ورد في صفته في غير حديث أنه عليه السلام لم يكن فحاشا • وقال أنس رضي الله عنه لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له تربت جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى • ثم أشفق عليه السلام من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة • وقد يكون ذلك إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط • وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه عز وجل لمن جلده أو سبه على حق • وبوجه صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتمحية لما اجترم وأن يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له فإن قلت فما معنى حديث الزبير رضي الله عنه وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة أمر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير أولا إلى الاقتصار عن بعض حقه على طريق التوسط

والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر وخرج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم
للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح
فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث أصلاً في قضيته
وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وأنه وإن
نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء
لكونه فيهما معصوماً وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله لا لنفسه
كما جاء في الحديث الصحيح • وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه أن عكاشة قال وضربتني
بالقضيب فلا أدري أعمداً أم أردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
أعيذك بالله يا عكاشة أن يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم • وكذلك في
حديثه الآخر مع الأعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الأعرابي
قد عفوت عنك • وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد أخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو
يأبى فضربه بعد ثلث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب
وموضع أدب لكنه عليه السلام أشفق إذ كان حق نفسه من الأمر حتى عفا عنه
وأما حديث سواد بن عمرو أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا متخلق (مورس) فقال ورس ورس
حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فأوجعني فقلت القصاص يا رسول الله فكشف
لي عن بطنه إنما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب إلا
تنبيهه فلما كان منه إيجاع لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل**
وأما أفعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروه ما قدمناه

دا

ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا
فيها على الندور اذ عامة افعاله صلى الله عليه وسلم على السداد والصواب بل اكثرها
او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيّنّا اذ كان عليه السلام لا يأخذ
منها لنفسه الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد
ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان بينه وبين الناس من ذلك فبين
معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر
معاند او مداراة حاسد • وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف
عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد
للامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب
البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات • ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع
واجابة الصارخ • وكذلك في لباسه وسائر احواله صلى الله عليه وسلم بحسب اعتبار
مصالحه ومصالح امته • وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته
وسياسة وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا
وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه
كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين
وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة
لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث • وتركه بناء الكعبة على
قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار
قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال في الحديث الصحيح
لعايشة رضي الله عنها لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابرهيم
ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها

للعدو من قريش • وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من أمري ما استدبرت
ما سقت الهدي • ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل
ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره • ويبذل الرغائب ليحبب
اليه شريعته صلى الله عليه وسلم ودين ربه عز وجل • ويتولى في منزله ما يتولى
الخادم من مهنته • ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من أطرافه • وحتى
كأن على رؤوس جلسائه الطير • ويتحدث مع جلسائه بحديث أولهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه • قد وسع الناس بشره وعدله •
لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن عن جلسائه • يقول ما كان
لنبي أن تكون له خائنة الأعين • فان قلت فما معنى قوله عليه السلام لعائشة
رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول
وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس
لشره • وكيف جاز أن يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال •
فالجواب أن فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن
ايمانه ويدخل في الاسلام أتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام •
ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية
وقد كان صلى الله عليه وسلم يستألفهم بأموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة • قال صفوان لقد أعطاني وهو أبغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى
صار أحب الخلق الي • وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف
ما علمه منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة
لا سيما وكان مطاعا متبوعا • ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن
بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في بعض الأحيان كعادة المحدثين في تجريح

الرواة

الرواة والمركبين في الشهود **فإن قيل** فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة
من قوله عليه السلام لعائشة وقد أخبرته أن موالي بريرة أبوا بيعها إلا أن
يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام
خطيبا فقال ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس
في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد أمرها بالشرط لهم وعليه
باعوا ولولاه والله أعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها أولا حتى شرطوا
ذلك عليها ثم أبطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة **فاعلم**
أكرمك الله أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا
ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد أنكر قوم هذه الزيادة قوله
عليه السلام اشترطي لهم الولاء إذ ليست في أكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا
اعتراض بها إذ يقع لهم بمعنى عليهم • قال الله تعالى أولئك لهم اللعنة • وقال
تعالى وإن أسأتم فلها فمعنى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله
عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لأنفسهم قبل ذلك **وجه ثان**
أن قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الأمر لكن على معنى التسوية
والإعلام بأن شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم
قبل أن الولاء لمن أعتق فكأنه قال صلى الله عليه وسلم اشترطي أو لا تشترطي
فإنه شرط غير نافع • وإلى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله
عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا **الوجه الثالث**
أن معنى قوله اشترطي لهم الولاء أي أظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
أن الولاء إنما هو لمن أعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه **فإن قيل** فما معنى فعل يوسف عليه السلام

بأخيه إذ جعل السقاية في رحله وأخذه باسم سرقتها وما جرى على إخوته
في ذلك وقوله أنكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم أكرمك الله أن الآية نزلت
أن فعل يوسف عليه السلام كان عن أمر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك الآن بيّنا أنها الآية فإذا كان ذلك فلا
اعتراض به كان فيه ما فيه • وأيضا فإن يوسف عليه السلام كان أعلم أخاه
بأني أنا أخوك فلا تبتئس • فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته
وعلى يقين من عقبى الخيرة له به وإزاحة السوء والمضرة عنه بذلك وأما قوله
أيتها العير إنكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلام فيلزم عليه جواب
حل شبهته • ولعل قائله إن حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال
ذلك • وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير هذا
ولا يلزم أن يقول لانبيا ما لم يثبت أنهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا
يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم فصل فإن قيل فما الحكمة في إجراء الأمراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الأنبياء عليه وعليهم السلام وما الوجه فيما ابتلاهم
الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب ويعقوب وداود
ويحيى وزكريا وعيسى وإبراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم
خيرته من خلقه وأحباؤه وأصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك أن أفعال
الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده
كما قال لهم لننظر كيف تعملون • وليبلوكم أيكم أحسن عملا • ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين • وحتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو أخباركم • فامتحانه إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في
درجاتهم وأسباب لاستخراج حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل

والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيدا لتصابرهم في رحمة الممتحنين
والشفقة على المبتلين فيتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر
ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مهذبين
وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ حدثنا
ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا
ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي حدثنا
قتيبة حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل
يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض
ما عليه خطيئة وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الايات
الثلث وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده
وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه عنه عليه السلام
اذا اراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبد الشر
امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان
بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال
يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء
يعقوب بيوسف عليهما السلام كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف
نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوي وهما
يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا

على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك
كان يقيه حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد
عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التي نص الله علينا ورُوي عن الليث
ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا
له الا ايوب عليه السلام فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه
ومحنة سليمان عليه السلام لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة اصهاره
او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده • وههنا فائدة شدة المرض والوجع
بالنبي عليه السلام • قالت عايشة رضي الله عنها ما رأيت الوجع على احد اشد
منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل
اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل
ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد رضي الله عنه ان رجلا وضع يده على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان
النبي صلى الله عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله • وان كان النبي ليبتلى بالفقر
وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضي الله عنه عنه
صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء • وان الله اذا احب قوما ابتلاهم
فمن رضي فله الرضى • ومن سخط فله السخط • وقد قال المفسرون في قوله تعالى
من يعمل سوءا يجز به • ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي
هذا عن عايشة رضي الله عنها وابي ومجاهد • وقال ابو هريرة عنه عليه السلام
من يرد الله به خيرا يصب منه • وقال في رواية عايشة ما من مصيبة

تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي
سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا
غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما
من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة
اخرى اودعها الله تعالى في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها
وشدتها عند مماتهم ليضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف
عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك بخلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف احوال الموتى في الشدة
واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة
الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها
الريح تكفأها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر
كمثل الارزة صما معتدلة حتى يقصمها الله معناه ان المؤمن مرزا مصاب
بالبلاء والامراض راض في تصريفه بين اقدار الله تعالى مطاع لذلك لين الجانب
برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما اتتها فاذا اراح الله عن المؤمن رياح البلاء اعتدل صحيحا
كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته
عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما
تقدم من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها
وضعفها بتوالي المرض وشدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع
بصحة جسمه كالارزة الصما حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة

وأخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كانجعاف
الأرزة وكما قال الله تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله
في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم
من أخذته الصيحة الآية • فيفاجئهم بالموت على حال عتو وغفلة وصحة من
غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت الفجاءة • ومنه في حديث أنهم
كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة
أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد
من أصابته وعلم تعاهدها له للمفارقة ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد
ويكون قلبه متعلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله تعالى
وقبل العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن
يخلفه أو أمر يعهده • وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو حق في بدن وأقاد
من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته ودعا
إلى كتب كتاب لئلا تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة أو الله أعلم بمراده
ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا • وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأوليائه
المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لإملاء الله تعالى لهم ليزدادوا إثما
وليستدرجهم من حيث لا يعلمون • قال الله تعالى ما ينظرون إلا صيحة واحدة
تأخذهم وهم يخصمون الآية • ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاءة
سبحان الله كأنه على غضب • المحروم من حرم وصيته • وقال موت الفجاءة راحة

للمؤمن

للمؤمن وأخذة أسف للكافر والفاجر وذلك لأن الموت يأتي المؤمن وهو غالبا
مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب
الدنيا وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه وفراق
الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء له وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام بقوله
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام في من تنقصه أو سبه عليه السلام قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه قد تقدم من الكتاب والسنة وإجماع الأمة
ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
وإكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى أذاه في كتابه وأجمعت الأمة على قتل
منتقصه من المسلمين وسابه قال الله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب أليم وقال تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا
أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا الآية وقال تعالى في تحريم التعريض له يا أيها
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الآية وذلك أن اليهود كانوا
يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا سمعك واسمع منا ويتعرضون بالكلمة يريدون
الرعونة فنهى الله المؤمنين التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا
يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيه من مشاركة
اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيه من قلة الأدب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا

نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه إلا برعايته لهم وهو عليه
السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني
بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ
كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا القاسم فقال لم اعنك انما
دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره من
لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى أذاه والإزراء به
ينادونه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى أذاه بكل وجه فحمل
محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع
العلة • وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو
مذهب الجمهور والصواب ان شا الله تعالى • وان ذلك على طريق تعظيمه
وتوقيره وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على سبيل التحريم ولذلك لم ينه
عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا • وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله
وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روي انس عنه
عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن
ذلك اذا لم يوقر فقال عليه السلام تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم • وروي
ان عمر رضي الله عنه كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه ابو جعفر الطبري • وحكى محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل
يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب
الا ارى محمدا صلى الله عليه وسلم يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا

وسماه عبد الرحمن وأراد أن يمنع لهذا أن يسمى أحد بأسماء الأنبياء إكراما
لهم بذلك وغير أسماءهم وقال لا تسموا بأسماء الأنبياء ثم أمسك. والصواب
جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل إطباق الصحابة رضي الله عنهم على ذلك
وقد سمى جماعة منهم محمدا وكناه بأبي القاسم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
أذن في ذلك لعلي رضي الله عنه. وقد أخبر عليه السلام أن ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد
ابن ثابت بن قيس وغير واحد. وقال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الأول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب أو نقص

من تعريض أو نص اعلم وفقنا الله وإياك أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم
أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض
به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض
منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني
فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو
تلويحا وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق
بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر
من القول وزور أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه أو غمصه ببعض
العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة
الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر
أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك
مالك بن أنس والليث وأحمد وإسحق وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه قال

سنتبينه خ

٤

القاضي أبو الفضل وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل
توبته عند هؤلاء • وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم والثوري
وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة • وروى مثله الوليد بن
مسلم عن مالك رضي الله عنه وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه • وقال سحنون فيمن سبه ذلك
ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد
أو كفر كما سنبينه في الباب الثاني إن شاء الله تعالى • ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة • وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله
وتكفيره • وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي إلى الخلاف
في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه • قال محمد بن سحنون أجمع العلماء
أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب
الله له وحكمه عند الأمة القتل • ومن شك في كفره وعذابه كفر • واحتج إبراهيم
ابن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة بقوله
عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم • وقال أبو سليمان الخطابي لا أعلم أحدا
من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما • وقال ابن القاسم عن مالك
في كتاب ابن سحنون • والمبسوط والعتبية • وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن
حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب • وقال ابن القاسم
في العتبية أو شتمه أو عابه او تنقصه فإنه يقتل وحكمه عند الأمة القتل كالزنديق
وقد فرض الله تعالى توقيره وبره • وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه
حيا أو قتله ومن رواية أبي المصعب وابن أبي أويس سمعنا مالكا رحمه الله يقول من

ذلك

وفي تفسير الزنديق اختلاف بين العلماء وقد ذكره الشيخ أنه الذي يظهر الإسلام ويخفي الكفر أنه الذي لا ينتحل دينا ... والصواب وهو ...

المتنقص صح

كقطاع الطريق على ما بين بعضهم في الفروع ...

سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان
او كافرا ولا يستتاب • وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب •
وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا
تعرف • وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب • وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب
عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم
وسخ اراد به عيبه قتل • وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي
من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة • وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن قال في النبي الجمال يتيم ابي طالب بالقتل • وافتى ابو محمد بن ابي زيد
بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح
الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا المار في
خلقه ولحيته • قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب
سليم الايمان • وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اسود يقتل • وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله
فقال كلاما اشد من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال
ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك • قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان
وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه •
وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادّ واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم

وقال إن سألت أو جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل • وأفتى فقهاء الأندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن
قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا • وأفتى فقهاء القيروان وأصحاب
سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن
يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه أمور منكرة من هذا
الباب في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا عليه وعليهم السلام فأحضر له القاضي
يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا
ثم أنزل وأحرق بالنار • وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها
الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع وكبر الناس وجاء كلب
فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا
عنه عليه السلام أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم • وقال القاضي أبو عبد الله
ابن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل
لأنه تنقص إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين
من عصمته صلى الله عليه وسلم • وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك وأصحابه
أن من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة • وقال ابن عتاب
الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذى أو نقص معرضا
أو مصرحا وإن قل فقتله واجب • فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا
يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم
قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد • وكذلك أقول حكم من غمصه أو عيره برعاية
الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه

والأذى

او اذى من عذره او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد
به نقصه القتل • وقد مضى من مذاهب العلما في ذلك وياتي ما يدل عليه •
فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام • فمن القران
لعنة الله تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه ولا خلاف في
قتل من سب الله وان اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل • فقال
تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله الاية • وقال في قاتل المومن مثل قتل
ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل • قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا • وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن • قال الله تعالى قتل الخراصون • وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه
فرق بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى المومنين ما دون القتل من الضرب والنكال
وكان حكم موذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل • وقال تعالى فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره
حرجا من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا • وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم
ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل • وقال تعالى واذا جاوك حيوك بما لم
يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير • وقال تعالى ومنهم الذين
يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال والذين يوذون رسول الله لهم عذاب
اليم • وقال تعالى ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم
بعد ايمانكم • قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم •
واما الاجماع فقد ذكرناه • واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد
ابن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة • قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني •

وأبو عمر بن حيويه قالا حدثنا محمد بن نوح حدثنا عبد العزيز بن محمد بن
الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن أبيه عن جده
عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح أمر النبي أصحابه
صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف وقوله عليه السلام من لكعب بن الأشرف
فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره
من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك بل للأذى وكذلك
قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك
أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام
وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد رضي الله عنه أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقبل
جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة
عليه وقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عقبة بن أبي معيط نادى
يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك
وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق أن النبي صلى الله
عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير رضي الله عنه أنا فبارزه
فقتله الزبير وروى أيضا أن امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني
عدوتي فخرج إليها خالد بن الوليد فقتلها وروى أن رجلا كذب على النبي
صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير إليه ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلا
جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا

فقتلته

فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم • وبلغ المهاجر بن ابي امية
امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت بسب النبي
صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت
لامرتك بقتلها لان حد الانبيا ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنهما
هجت امراة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام من لي بها فقال
رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعمى كانت له ام ولد
تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين • وحكى القاضي اسمعيل وغير واحد من
الايمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النساي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل
فرد عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس
فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم • قال القاضي ابو محمد بن نصر
ولم يخالف عليه احد فاستدل الايمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي
صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه • ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز
الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب اليه عمر
انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه • وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر له ان فقها العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المومنين
ما بقا الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبيا قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله

عليه وسلم خلد قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ورضي عنه كذا وقع في هذه الحكاية
رواها غير واحد من أصحاب مناقب مالك ومؤلفي أخباره وغيرهم ولا أدري
من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين أفتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم أو ممن لا يوثق بفتواه أو يميل به هواه أو يكون ما قاله
يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب أو غير سب أو يكون رجع وتاب عن سبه
فلم يقتله مالك على أصله وإلا فالإجماع على قتل من سبه كما قدمناه • ويدل على
قتله من جهة النظر والاعتبار أن من سبه وتنقصه عليه السلام فقد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره • ولهذا ما حكم له كثير من العلماء
بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والأوزاعي وقول الثوري وأبي حنيفة
والكوفيين • والقول الآخر أنه دليل على الكفر فيقتل حدا وإن لم يحكم له بالكفر
إلا أن يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر • وقوله إما
صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك
توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر أيضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله
تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم •
قال أهل التفسير هي قولهم إن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير • وقيل
قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد إلا قول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا
إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل • وقد قيل إن قائل مثل هذا إن كان
مستترا به إن حكمه حكم الزنديق يقتل ولأنه قد غير دينه وقد قال عليه السلام
من غير دينه فاضربوا عنقه ولأن لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية
على أمته وساب الحر من أمته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته عليه السلام على غيره **فصل** فإن قلت فلم

يشتهر

مستسرا

لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعا عليه
ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى
النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك • وقال عليه السلام قد اوذي موسى باكثر
من هذا فصبر • ولا قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان فاعلم
وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف
عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم
ويقول عليه السلام لاصحابه رضي الله عنهم انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا
معسرين • ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا • ويقول لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه • وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين
ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز
لنا اليوم الصبر لهم عليه • وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله
تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح
الآية • وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم • وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
كفره واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله صلى الله عليه وسلم
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم
او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به
ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم
جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا
بايديهم ولقوه مسلمين • وبواطن المنافقين مستترة • وحكمه عليه السلام على الظاهر
واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون

عليها اذا انبعث وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام
على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء
ظاهرا واخلص سرا كما اخلص جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين
وزراء واعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا
رحمهم الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده من اقوالهم ما رفع وانما نقله عليه السلام
الواحد ولم تصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي وعبد وامر الدماء
لا تستباح الا بعدلين • وعلى هذا تحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم
ولم يبينوه الا ترى كيف بينت عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك
لم ينفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليًّا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا
سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم • وكذلك قال بعض
اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم
يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم • وايضا فان الامر كان سرا
وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار
والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب • وقد شاع
عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد
المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم
لنفاقهم وما يبدو منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول ولارتاب
الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في
الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو والظالم ان القتل انما كان

للعداوة

وطلب

للعداوة أخذ الترة • وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس
رحمه الله • ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه •
وقال عليه السلام أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجرا الاحكام
الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستوا الناس
في علمها • وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله
عليه وسلم • وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار • وقال قتادة في تفسير قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك
بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا الى قوله تقتيلا • قال معناه اذا اظهروا
النفاق • وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين نسخها ما كان قبلها • وقال بعض مشايخنا لعل
القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله
عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الرأي
وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا ورأى انه من الأذى
الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه • وكذلك يقال في اليهود
اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعا الا بما لا بد منه من الموت الذي
لا بد من لحاقه جميع البشر • وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة
الملال • وهذا دعا على سآمة الدين ليس بصريح سب • ولهذا ترجم البخاري رحمه الله
على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال
بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالأذى قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا ان الأذى والسب في حقه عليه السلام سوا • وقال
القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في

الحديث هل كان اليهودي من أهل العهد والذمة أو الحرب ولا يترك لموجب الأدلة
للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف
والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون • ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة
والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه • ولما ذكرنا
معناه عن مالك رحمه الله وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه
وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من حينه منهم وإنزالهم
من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم
من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال
يا إخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم من جوارهم وأورثهم
أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه عليه السلام ما
انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم
أن هذا لا يقتضي أنه لم ينتقم ممن سبه أو آذاه وكذبه فإن هذه من حرمات الله
التي انتقم لها وإنما يكون ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء أدب أو معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه لكن مما جبلت عليه الأعراب
من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره عليه السلام
حتى أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي
شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه وأشباه هذا مما يحسن
الصفح عنه أو يكون هذا من آذاه به كافر وجاء بعد ذلك إسلامه كعفوه عن
اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته وقد
قيل قتلها • ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء

عليه حله

بلغه


استئلافهم

استثقالا لهم واستثقال غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق **فصل** قد
تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن
او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه **الوجه الثاني** لاحق به في البيان والجلاء
وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير قاصد للسب والازراء ولا
معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه
او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل
ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او
يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او عقله او زهده صلى الله عليه وسلم
او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه عن قصد
لرد خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان
ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله
او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في
كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول دون تلعثم اذ لا يعذر احد
في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في
فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على
ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال
محمد بن سحنون في الماسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان
يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان
في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل
لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر
كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم

من زوال عقله بها وإتيان ما أنكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى هذا
ألزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود • ولا يعترض على هذا الحديث
بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل أنتم إلا أعبد لأبي • قال فعرف النبي
صلى الله عليه وسلم أنه ثمل فانصرف لأن الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في
جناياتها إثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب
الدواء المأمون **فصل الوجه الثالث** أن يقصد إلى تكذيبه فيما قاله وأتى به
أو ينفي نبوته أو رسالته أو وجوده أو يكفر به انتقل بقوله ذلك إلى دين آخر غير
ملته أم لا فهذا كافر بإجماع يجب قتله • ثم ينظر فإن كان مصرحا بذلك كان
حكمه أشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا تسقط
القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم إن كان ذكره بنقيصة فيما قاله
من كذب أو غيره وإن كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله
التوبة كما سنبينه • قال أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله من برئ من محمد صلى الله عندنا
عليه وسلم أو كذب به فهو مرتد حلال الدم إلا أن يرجع • وقال ابن القاسم
في المسلم إذا قال إن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي ولم يرسل أو لم ينزل
عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله يقتل • قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وأنكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد • وكذلك من أعلن بتكذيبه أنه كالمرتد يستتاب •
وكذلك فيمن تنبأ وزعم أنه يوحى إليه • وقاله سحنون • وقال ابن القاسم
دعا إلى ذلك سرا أو جهرا • قال أصبغ وهو كالمرتد لأنه قد كفر بكتاب الله مع
الفرية على الله • وقال أشهب في يهودي تنبأ أو زعم أنه أرسل إلى الناس أو قال إنه
بعد نبيكم نبي إنه يستتاب إن كان معلنا بذلك فإن تاب وإلا قتل وذلك لأنه
مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله عليه السلام لا نبي بعدي مفتر على الله في

دعواه

دعواه عليه الرسالة والنبوة • وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد • وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الأمة القتل • وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال
إن النبي صلى الله عليه وسلم أسود قتل لم يكن عليه السلام بأسود • وقال نحوه أبو
عثمان الحداد قال لو قال إنه مات قبل أن يلتحي أو إنه كان بتاهرت ولم يكن
بتهامة قتل لأن هذا نفي • قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر
والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة فصل
الوجه الرابع أن يأتي من الكلام بمجمل أو يلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على
النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره أو يتردد في المراد به من سلامته من المكروه أو شره
فهاهنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء
المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة • فمنهم من غلب حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل • ومنهم من عظم حرمة
الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول • وقد اختلف أئمتنا في رجل أغضبه
غريمه فقال له صل على النبي محمد • فقال له الطالب لا صلى الله على من صلى عليه فقيل
لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم الملائكة الذين يصلون
عليه قال لا إذا كان على ما وصفت من الغضب لأنه لم يكن مضمرا الشتم • وقال
أبو إسحاق البرقي وأصبغ بن الفرج لا يقتل لأنه إنما شتم الناس • وهذا نحو قول
سحنون لأنه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل
الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم أو شتم
الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على
أن مراده الناس غير هؤلاء لأجل قول الآخر له صل على النبي صلى الله عليه وسلم

فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لأجل أمر الآخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه • وذهب الحرث بن
مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل • وتوقف ابو الحسن القابسي في
قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فأمر بشده
في القيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده — بالقيود
هل أراد أصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون أمره
أخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتأخرين • وقد كان فيمن تقدم من الأنبياء والرسل من اكتسب المال
قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بأمر بين وما ترد اليه التأويلات لا بد
من إمعان النظر فيه هذا معنى كلامه • وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله
فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني إسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد
الأنبياء وإنما أردت الظالمين منهم ان عليه الأدب بقدر اجتهاد السلطان •
وكذلك أفتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم أعلم من حرمه وفي
من لعن حديث لا يبيع حاضر لباد ولعن من جاء به انه كان يعذر بالجهل — انه
وعدم معرفة السنن وعليه الأدب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر
حاله سب الله تعالى ولا سب رسوله عليه السلام وإنما لعن من حرمه من
الناس على نحو فتوى سحنون وأصحابه في المسألة المتقدمة ومثل هذا ما
يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن ألف خنزير ويا ابن مائة
كلب • وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه
وأجداده جماعة من الأنبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الأدب فيه ولو علم انه

قصد

قصد سبّ من في آبائه من الأنبياء على علم لقتل . وقد يضيق القول في نحو
هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال أردت الظالمين منهم
أو قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولاً قبيحاً في آبائه أو من نسله
أو ولده على علم منه أنه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في بعض
المسئلتين تقتضي تخصيص آبائه وإخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبّه منهم .
وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له
تتهمني فقال له الآخر الأنبياء يتهمون فكيف أنت فكان شيخنا أبو إسحق
ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ . وكان القاضي أبو محمد بن
منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده أن يكون خبراً عمن
اتهمهم من الكفار . وأفتى فيها قاضي قرطبة أبو عبد الله بن الحاج بنحو
من هذا وشدّد القاضي أبو محمد تصفيده وأطال سجنه ثم استحلفه
بعد على تكذيب ما شهد به عليه إذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه
وهن ثم أطلقه . وشاهدت شيخنا القاضي أبا عبد الله بن عيسى أيام
قضائه أتي برجل هاتر رجلاً اسمه محمد ثم قصد إلى كلب فضربه برجله
وقال له قم يا محمد فأنكر الرجل أن يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف
من الناس فأمر به إلى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه
فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط وأطلقه .

فصل

الوجه الخامس أن لا يقصد نقصاً ولا يذكر عيباً ولا سباً ولكنه ينزع بذكر
بعض أوصافه أو يستشهد ببعض أحواله عليه السلام الجائزة عليه في
الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه أو لغيره أو على التشبه به أو عند
هضيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس على طريق التأسي وطريق التحقيق

بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه
عليه السلام او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء
فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا
او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبيا الله ورسله او قد صبرت
كما صبر اولوا العزم او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله عن عداه وحلم على
اكثر مما صبرت • وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود •
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام • كقول المعري
كنت موسى وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما من فقير • على ان اخر
البيت شديد وداخل في باب الازرا والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل
حال غيره عليه • وكذلك قوله • لولا انقطاع الوحي بعد محمد •
قلنا محمد من ابيه بديل • هو مثله في الفضل الا انه • لم ياته برسالة جبريل •
فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي عليه السلام في فضله
بالنبي عليه السلام والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت
الممدوح والاخر استغناوه عنها وهذه اشد • ونحو منه قول الاخر •
واذا ما رفعت راياته • صفقت بين جناحي جبريل • وقول الاخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا • فصبر الله قلب رضوان • وكقول حسان
المصيصي من شعرا الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره
ابي بكر بن زيدون • كان ابا بكر ابو بكر الرضى • وحسان حسان وانت محمد •
الى امثال هذا وانما كثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها
ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح
هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم

به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لاسيما الشعراء وأشدهم فيه
تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري • بل خرج
كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه •
وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها
وان لم تتضمن سبا ولا أضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست أعني عجزي
بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا
عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة
نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى
عن جهر القول له ورفع الصوت عنده صلى الله عليه وسلم فحق هذا ان درئ
عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى
قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على
ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر
الرشيد على ابي نواس قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم •
فان عصا موسى بكف خصيب • وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا
موسى وأمر باخراجه عن عسكره من ليلته • وذكر القتيبي ان مما أخذ عليه
أيضا وكفر فيه او قارب • قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها • خلقا وخلقا كما قد الشراكان • وقد انكروا
أيضا عليه قوله كيف لا يدنيك من أمل • من رسول الله من نفره • لأن حق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه
ولا يضاف • فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج

جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية
ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه
ارى ان يؤدب • قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد
اخطأت الانبيا قبلنا • وقال عمر بن عبد العزيز انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا لرجل
فقال كاتب له قد كان ابو النبي عليه السلام كافرا فقال جعلت هذا مثلا
فعزله وقال لا تكتب لي ابدا • وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه و مطلب
عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له عليه السلام وتعظيما
كما امرنا الله • وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل
عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني
القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين راه من وجهه ام عاف
النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين صح
والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب
واقع على المخاطب • وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء • قال واما ذاكر على
مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عند ما انكر من عبوس الاخر الا
ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم
لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول التعريض
كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف • وما كان ينبغي له التعرض لمثل
هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل • وقال ابو
الحسن ايضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك

ى

أتى فقال الشاب أليس كان النبي عليه السلام أميا فشنع عليه بقوله وكفره
الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق
الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
وكون النبي أميا آية له عليه السلام وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة
ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب
واعترف ولجأ إلى الله تعالى فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه
الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه • ونزلت أيضا مسألة
استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله
في رجل تنقصه رجل آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع
البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع
أدبه إذ لم يقصد السب • وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله • فصل

مطلب

الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن
سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على أربعة وجوه • الوجوب • والندب • والكراهة • والتحريم • فإن كان
أخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير
منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب
أو في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه
ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه • فإن
كان القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو
يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما
سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه

ذلك من أئمة المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين
وقياما بحق سيد المرسلين • وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب
الصبيان فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد
في هؤلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته • وان لم يكن حق
القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحمايه
عرضه متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا
قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان بها الامر سقط عن
الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة وعضد التحذير منه
وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا • وقد سئل
ابو محمد بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه ان لا
يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد • وكذلك ان
علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والادب فليشهد
ويلزمه ذلك • واما الاباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى
لها مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض
بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح • واما للاغراض
المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب • وقد حكى الله تعالى مقالات
المفترين عليه وعلى رسله عليه وعليهم السلام في كتابه على وجه الانكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله تعالى
علينا في محكم كتابه • وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الصحيحة على الوجوه المتقدمة • واجمع السلف والخلف من أئمة الهدى على
حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها للناس
والملحدة

ويتقضوا

ونقضوا شبهها عليهم • وإن كان ورد لأحمد بن حنبل رحمه الله إنكار
لبعض هذا على الحرث بن أسد فقد صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين
بالمخلوق هذه الوجوه السائغة الحكاية عنها • فأما ذكرها على غير هذا من
حكاية سبه والإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث
الناس • ومقالاتهم في الغث والسمين • ومضاحك المجان • ونوادر السخفاء •
والخوض في قيل وقال • وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة
من بعض • فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد أو معرفة بمقدار ما حكاه من البشاعة
أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم
ببعض الأدب فهو مستوجب له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان
الأدب أشد • وقد حكي أن رجلا سأل مالكا رحمه الله عن من يقول القرآن
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما
سمعناه منك • وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه
لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره
أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا بمثله والاستخفاف
له أو التحفظ لمثله وطلبه ورواية أشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا
حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل
إلى الهاوية أمه • وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي
به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر • وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين
على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى
وجد دون محو • ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد أسقطوا

من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا رواية الأشعار ذكرها
بسببه وغير مستبشعة على نحو وجوه الأول لتروا بنقمة الله من قائلها وأخذ
المفتري عليه بذنبه • وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى
فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم
المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته
أو نشره فكيف بما يتطرق على عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم الى

فصل

الوجه السابع أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه
عليه وما يطرأ من الأمور البشرية به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به
وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم له ومعرفة
ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل
ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء
عليهم السلام أو ما يجوز عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس
فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد
اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام فيه مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده • ويحققون فوائده • ويجنب ذلك من عساه لا يفقه أو
يخشى به فتنته • فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وإدراكهن فقد قال
عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما
من نبي إلا وقد رعى الغنم وأخبر الله تعالى بذلك عن موسى عليه السلام وهذا
لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للأنبياء حكمة بالغة

وتدريج الله تعالى لهم الى كرامته وتدريب بوعاتها السياسة امتهم من
خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم. وكذلك قد ذكر
الله نعمة وعناية على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر
لها على وجه تعريف حاله او الخبر عن مبتدايه والتعجب من منح الله قبله وعظيم
منته عنده ليس فيها غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره
الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيا فشيا ونمى
امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم
غيرهم باظهار الله تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين. ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من
الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه صلى الله عليه وسلم. ولهذا
قال هرقل حين سال ابا سفين عنه هل في اباءه من ملك ثم قال ولو كان في
اباءه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه. واذ اليتم من صفته واحدى
علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة. وكذا وقع ذكره صلى الله
عليه وسلم في كتاب ارميا. وكذلك اذا وصف صلى الله عليه وسلم بانه امي كما
وصفه الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه. وقاعدة معجزته
اذ معجزته العظمى من القران العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم
مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول
ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرا ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب
ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هي الة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها
فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب. والامية في غيره

ح
من الله عليه
ومنته عنده

نقيصة لأنها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان الله من باين امره من امر
غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه • هذا
شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه
وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه • وهلم جرا الى سائر ما روي
من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه
ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين
خطيرها وحقيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها • كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه صلى الله عليه وسلم كما ذكرناه • فمن اورد منها شيئا مورده وقصد
بها مقصده كان حسنا • ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك
سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها • وكذلك ما ورد من اخباره واخبار
سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا
تليق بهم بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يحدث
منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت • ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى
وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث
بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل • وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على
الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم
اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت
عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها

وصريحها

وصريحها ولا يتحقق إشارتها إلى غرض إلا بمجاز ووجهها وتتبعها وتلويحها
فتفرقوا في تأويلها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر • فأما ما لا يصح من
هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق أنبيائه
صلوات الله عليهم • ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها • والصواب
طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف بأنها ضعيفة المعاني
واهية الإسناد • وقد أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام
على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل الكتاب الذين
يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه
على ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها
من أصلها وطرحها أكشف للبس • وأشفى للنفس • والله أعلم

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر
من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم أن يلتزم
في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره وتعظيمه
ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره فإذا ذكر
ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الإشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة
الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو أمكنته • وإذا أخذ في
أبواب العصمة وتكلم على مجاري أعماله وأقواله عليه السلام تحرى أحسن اللفظ
وأدب العبارة ما أمكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل
أو الكذب والمعصية فإذا تكلم في الأقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول
والإخبار بخلاف ما وقع سهوا أو غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة وإذا تكلم على العلم قال هل يجوز ألا يعلم إلا ما علم وهل يمكن ألا يكون

عنده علم من بعض الأشياء حتى يوحى إليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته
وإذا تكلم في الأفعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الأوامر والنواهي ومواقعة
الصغائر فهو أولى وآدب من قوله هل يجوز أن يعصي أو يذنب أو يفعل كذا وكذا
من أنواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من تعزير
وإعظام • وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فقبح منه ولم أستصوب
عبارته فيه • ووجدت بعض الجائرين قوله لأجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله • وإذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام
أوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشيء أو تحسنه وتحريرها وتهذيبها
يعظم الأمر أو يهونه • ولهذا قال عليه السلام إن من البيان لسحرا فأما ما أورده
على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله
لا يجوز عليه الكذب جملة ولا إتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال
ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره صلى الله عليه وسلم
مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا • وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة
عند مجرد ذكره عليه السلام كما قدمناه في القسم الثاني • وكان بعضهم يلتزم
مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر بآياته
وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته إعظاما لربه وإجلالا له وإشفاقا
من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه

وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته • قد قدمنا
ما هو سب وأذى في حقه عليه السلام وذكرنا إجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
وقائله أو تخيير الإمام في قتله أو صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد

فاعلم

فاعلم أن مشهور مذهب مالك وأصحابه وقول السلف وجمهور العلماء رحمهم الله
قتله حدا لا كفرا إن أظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا
القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله أو جاء
تائبا من قبل نفسه لأنه حد وجب عليه لا تسقطه التوبة كسائر الحدود •
قال الشيخ أبو الحسن القابسي رحمه الله إذا أقر بالسب وتاب منه وأظهر التوبة
قتل بالسب لأنه حده • وقال أبو محمد بن أبي زيد مثله • وأما ما بينه وبين الله
تعالى فتوبته تنفعه • وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين
ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل • وكذلك قد اختلف في الزنديق
إذا جاء تائبا فحكى القاضي أبو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا
من قال أقتله بإقراره لأنه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا أنه خشي
الظهور عليه فبادر لذلك • ومنهم من قال أقبل توبته لأني أستدل على صحتها
بمجيئه فكأننا وقفنا على باطنه بخلاف من أسرته البينة قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله وهذا قول أصبغ • ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى لا يتصور
فيها الخلاف على الأصل المتقدم لأنه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولأمته
بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين • والزنديق إذا تاب بعد
القدرة عليه فعند مالك والليث وإسحق وأبي يوسف وأحمد لا تقبل توبته (عند)
وعند الشافعي رضي الله عنه تقبل • واختلف فيه عن أبي حنيفة وأبي يوسف
رحمهما الله • وحكى ابن المنذر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستتاب • قال محمد
ابن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لأنه لم ينتقل
من دين إلى غيره وإنما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لأحد كالزنديق

[illegible]

لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر • وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار
توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي
صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه
السلام كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لاحق
فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته • ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق
فيه حق لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط
عنه حد القتل والقذف • وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه
من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى
يرجع الى تعظيم حرمته صلى الله عليه وسلم وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه
التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يريد والله اعلم لان سبه لم يكن
بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار
انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه •
وقال ابن عمران القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل
ولم يستتب لان السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا
هؤلاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل • واما على رواية
الوليد بن مسلم عن مالك رحمه الله ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به
اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل
فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه • والوجه الاول اشهر واظهر لما
قدمناه • ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل
فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين • اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره

عنه صح

أبو

وقال به غير واحد من اهل العلم جماعة

الاقلاع

الإقلاع والتوبة عنه فنقتله حدًّا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم وتحقيره ما عظّم الله من حقه وأجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك
حكم الزنديق إذا ظهر عليه وأنكر أو تاب. فإن قيل فكيف تثبتون عليه الكفر بما يجب
ونشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها
قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره
بالتوحيد والنبوة وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلا
ومعصية وأنه مقلع عن ذلك ونادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام
الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلوة
وأما من علم أنه سبّه معتقدًا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك. وكذلك
إن كان سبّه في نفسه كفرًا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا مما لا إشكال
فيه ويقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدًّا لقوله
ومتقدم كفره وأمره بعد إلى الله تعالى المطلع على صحة إقلاعه العالم بسره
وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر
بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرًا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزّل مختلف عباراتهم في الاحتجاج
عليها وأجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
إن شاء الله. **فصل** إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على
الاختلاف في توبة المرتد إذ لا فرق. وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها
ومدتها فذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب. وحكى ابن القصار أنه
إجماع من الصحابة على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره
واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء

ابن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه والأوزاعي والشافعي
وأحمد وإسحق وأصحاب الرأي. وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن
في إحدى الروايتين عنه أنه لا يستتاب. وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره
عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو قول
أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله
صلى الله عليه وسلم فاقتلوه. وحكي أيضا عن عطاء إن كان ممن ولد في الإسلام
لم يستتب ويستتاب الإسلامي وجمهور العلماء على أن المرتد والمرتدة في
ذلك سواء وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق. وقاله
عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما لا تقتل النساء في الردة
وبه قال أبو حنيفة وقال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى في ذلك سواء
وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه أنه يستتاب ثلاثة
أيام يحبس فيها. وقد اختلف فيه عن عمر وهو أحد قولي الشافعي رضي الله عنه
وقول أحمد وإسحق. واستحسنه مالك. وقال لا يأتي الاستظهار إلا بخير
وليس عليه جماعة الناس. قال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد يريد في الاستيناء
ثلاثا وقال مالك أيضا الذي آخذ به في المرتد قول عمر رضي الله عنه يحبس
ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا قتل. وقال أبو الحسن ابن
القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب أو مستحب
واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا أصحاب الرأي وروي عن أبي بكر
الصديق رضي الله عنه أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي
رضي الله عنه مرة أخرى. فقال إن لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني
وقال الزهري يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى قتل وروي عن علي

من بدل دينه
ولم يتب

رضي الله عنه يستتاب شهرين. وقال النخعي يستتاب أبدا وبه أخذ الثوري
ما رجيت توبته. وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة رحمه الله أنه يستتاب
ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة مرة. وفي كتاب محمد
عن ابن القاسم يدعى المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى ضربت عنقه.
واختلف على هذا هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب أم لا
فقال مالك رحمه الله ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من
الطعام بما لا يضره. وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الإسلام. وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الأيام ويذكر بالجنة
ويخوف بالنار. قال أصبغ وأي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس
أو وحده إذا استوثق منه سواء ويوقف ماله إذا خيف أن يتلفه على المسلمين
ويطعم منه ويسقى. وكذلك يستتاب أبدا كلما رجع وارتد. وقد استتاب
النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسا. قال ابن وهب
عن مالك يستتاب أبدا كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد رحمهما الله وقاله
ابن القاسم. وقال إسحق يقتل في الرابعة. وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في
الرابعة قتل دون استتابة وإن تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة. قال ابن المنذر ولا نعلم أحدا
أوجب على المرتد في المرة الأولى أدبا إذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي رحمهم الله تعالى **فصل** هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب
ثبوته من إقرار أو عدول لم يدفع فيهم فأما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد
عليه الواحد أو اللفيف من الناس أو ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك
إن تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد

الإمام بعذر شهرة حاله وقوة الشهادة وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة
حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي أمره أذاقه من
شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود إلى الغاية التي هي منتهى
طاقته مما لا يمنعه القيام لضروريته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من
وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى أوجبه وتربص به لإشكال
وعائق اقتضاه أمره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله
وقد روى الوليد عن مالك والأوزاعي أنها ردة فإذا تاب نكل ولمالك
في العتبية وكتاب محمد من رواية أشهب إذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه
وقاله سحنون ● وأفتى أبو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل أحدهما بالأدب الموجع والتنكيل والسجن
الطويل حتى تظهر توبته ● وقال القابسي في مثل هذا ● ومن كان أقصى
أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن ويستطال
سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى مسئلة
ينظر فيما يجب عليه ● وقال في مسئلة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر
الواضح ● وفي الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة
فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من عداوتهما أو جرحتهما ما جرحتهما
أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم عنه
وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان
من أهل التبريز فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما
فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاد ● والله ولي

الإرشاد

الإرشاد فصل هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه صلى الله
عليه وسلم أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا
خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد على هذا
وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة
فإنهم قالوا لا يقتل وما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر •
واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد
عهدهم وطعنوا في دينكم الآية • ويستدل أيضا عليه بقتل النبي صلى الله
عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة
على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل حرب يقتلون بكفرهم •
وأيضا فإن ذمتهم لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع في سرقة أموالهم
والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك حلالا عندهم • وكذلك سبهم للنبي
صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف إذا
ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن سحنون
بعد • وحكى أبو مصعب الخلاف فيها عن أصحابه المدنيين واختلفوا إذا سبه
ثم أسلم فقيل يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة للأمر ونقضا للعهد فإذا
رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله • قال الله تعالى قل للذين
كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف • والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا

مطلب

استأنسنا

إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم
يسقطها شيء • وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله لأنه حق للنبي صلى الله
عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به
فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين
من قبل إسلامه من قتل وقذف • وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فإن لا نقبل
توبة الكافر أولى • قال مالك رحمه الله في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم
من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله
ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون • وقال سحنون وأصبغ لا
يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة • وفي كتاب محمد
أخبرنا أصحاب مالك رحمه الله أنه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب • وروي لنا عن مالك
إلا أن يسلم الكافر • وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضي الله عنهما أن راهبا
تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه • وروى عيسى
عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما
نبينا موسى أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لأن الله تعالى أقرهم على مثله
وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو
شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل • قال ابن القاسم وإذا قال النصراني ديننا
خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو سمع المؤذن
يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الأدب
الموجع والسجن الطويل • قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما

يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب. قال ابن
القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا. وقال ابن سحنون في سؤالات سليمن
ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذ تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع
السجن الطويل. وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم. قال محمد
ابن سحنون فإن قيل فلم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا
فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره
لسب نبينا صلى الله عليه وسلم. قال سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية
على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من
سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك
لا تحصنه الذمة. **قال القاضي أبو الفضل** رحمه الله ما ذكره ابن سحنون
عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به
كفروا فتأمله. ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك **فحكى**
أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد
فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر
برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب. وسئل أبو المصعب عن نصراني قال
عيسى خلق محمدا فقال يقتل. وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر
شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت
الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس. قال مالك أرى
أن تضرب عنقه قال ولقد كدت أن لا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت

تشهد
مما به
يخبركم

الصمت. قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته
وإن شاء أحرقه بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه. ولقد كتب إلى مالك رحمه الله
من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن
يقتل وأن تضرب عنقه وكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار
فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا
عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق. وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن
لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية
ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول إسلامها
ودرء القتل عنها به قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب
وقال أبو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر
قتل ولا يستتاب. وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل
بإسلامه. وحكى ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا
يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط بإسلامه حدود الله. فأما حد
القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف
النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل
حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي
صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين فتأمله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه

اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر

يشبه

شبه كفر الزندقة . وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستترا
بذلك وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل
حال ولا يستتاب . قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة
فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت
عليه ليس من الميراث في شيء . وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل
إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام . ولو أقر بالسب
وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين
ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار .
وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر
مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون
في الزنديق يتمادى على قوله . ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من
أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب في من أعلن كفره مثله . قال ابن القاسم
وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد
إليه ولا تجوز وصاياه . ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه وقال
أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث . وقال أبو محمد فيمن سب
الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة أو لم تقبل أنه يصلى عليه وروى
أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم
أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين . وقال بقول مالك
إن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته . ربيعة والشافعي رضي الله عنه .
وأبو ثور وابن أبي ليلى . واختلف فيه عن أحمد . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والأوزاعي
والليث وإسحق وأبو حنيفة رحمهم الله يرثه ورثته من المسلمين • وقيل ذلك فيما
كسبه قبل ارتداده وما كسبه في الارتداد فللمسلمين وتفصيل أبي الحسن في باقي
جوابه حسن بين وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على
قولي مالك رحمه الله في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت
عليه بذلك بينة فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة • وقاله أصبغ ومحمد
ابن مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه
حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن
نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه
وقال به أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد
وسحنون • وذهب ابن قاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به
وتاب فقتل فلا يورث وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث • قال وكذلك
كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم بن الكاتب
عن نصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون
فأجاب أنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين
ولكن لأنه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره •

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته

وأنبيائه وكتبه وآل النبي وأزواجه وصحبه صلى الله عليه وعليهم
أجمعين • لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم
واختلف في استتابته فقال ابن قاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد •
ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحق يقتل من سب الله تعالى من

المسلمين قبل ولم يستتب الا ان يكون فيترأ على الله بارتداده الى دين دان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب • وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله • وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب • وكذلك اليهودي والنصراني فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة • وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب • وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكاه عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره • واما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور • واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات • منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابرهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح • وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابرهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمن القاضي بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي

فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام **ووجه** ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم

الزنديق ولم تقبل توبته • وإذا انتقل من دين إلى آخر وأظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا قد علم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول
المستمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر
العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه على ما نبينه بعد وذكرنا الخلاف في
فصوله **فصل** وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق
السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ
المفضي إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال
فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول
مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم
يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا • وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول
مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم • كما فعل عمر رضي الله عنه
بصبيغ وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول
سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ • وما رواه عن
عمر بن عبد العزيز وجده وعمه رحمهم الله من قولهم في القدرية يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا • وقال عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية
والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف لتأويل
كتاب الله تعالى يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم
لورثتهم • وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم
قال واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله له في المبسوط
في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا

لرأيهم

لرأيهم السوء. وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز. قال ابن القاسم من قال إن الله تعالى
لم يكلم موسى عليه السلام تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل. وابن حبيب
وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية
والمرجئة. وقد روي أيضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله تعالى كلام
أنه كافر. واختلفت الروايات عن مالك فأطلق في رواية الشاميين عن مسهر ابى
ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم. وقد شوور في زواج القدري فقال
لا تزوجه. قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم. وروي
عنه أيضا أهل الأهواء كلهم كفار. وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى
فأشار إلى شيء من جسده يد أو سمع أو بصر قطع ذلك منه لأنه شبه الله
بنفسه. وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه. وقال أيضا في رواية
ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب. وفي رواية بشر بن بكر
التنيسي عنه يقتل ولا تقبل توبته. قال القاضي أبو عبد الله البرنكاني
والقاضي أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر
الداعية. وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خلفهم. وحكى
ابن المنذر عن الشافعي رحمه الله لا يستتاب القدري. وأكثر أقوال السلف
تكفيرهم. وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة. روي عنهم ذلك فيمن
قال بخلق القرآن. وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن غياث.
وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين. وهو قول أكثر المحدثين من
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة وأصحاب
البدع المتأولين. وهو قول أحمد بن حنبل. وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة
في هذه الأصول. وممن روي عنه معنى القول الآخر بتكفيرهم علي بن أبي طالب بترك م

وابن عمر والحسن البصري رضي الله عنهم وهو رأي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام عليهم.
قال إسماعيل القاضي وإنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في الأرض كما قال في المحارب إن رأى
الإمام قتله وإن لم يقتل قتله وفساد المحارب إنما هو في الأموال ومصالح
الدنيا وإن كان قد يدخل أيضا في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد
أهل البدع معظمه على الدين. وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين
من العداوة. **فصل** في تحقيق القول في إكفار المتأولين. قد ذكرنا مذاهب
السلف في إكفار أهل البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه
إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله إليه وعلى اختلافهم اختلف
الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من
السلف. ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول أكثر
الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة ضلال نوارثهم من المسلمين ونحكم
لهم بأحكامهم. ولهذا قال سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول
جميع أصحاب مالك. المغيرة. وابن كنانة. وأشهب. قال لأنه مسلم وذنبه لم
يخرجه من الإسلام. واضطرب آخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير — والخلف خ
أو ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة الصلاة خلفهم منه
وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها من المعوصات
إذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وإنما قالوا قولا يؤدي إليه واضطرب قوله في
المسألة على نحو اضطراب قول إمامه مالك بن أنس رحمه الله حتى قال في بعض

كلامه

كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تجوز مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا
الصلوة على ميتهم • ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال
ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين • واكثر ميله
الى ترك التكفير بالمآل • وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري
واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود الباري
تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق فليس
بعارف به وهو كافر • ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد
عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان
ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين • وقال غيرهما من
المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان استباحة دماء
المسلمين المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ في
سفك محجمة من دم مسلم واحد • وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني
الشهادة عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله • فالعصمة
مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع
من شرع ولا قياس عليه • والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة
للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام
وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم • وكذلك في الخوارج
وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر
عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ
وكفر دون كفر واشراك دون اشراك وقد ورد مثله في الزنا وعقوق الوالدين
والزوج وغير معصية واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل

قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار • وقال شر قتيل
تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه • وقال عليه السلام فإذا وجدتموهم
فاقتلوهم قتل عاد وثمود • وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج
به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين
وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الإسلام فقتلهم
هاهنا حد لا كفر • وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من
حكم بقتله يحكم بكفره • ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي • فإن احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن
لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الإيمان لم يدخل قلوبهم • وكذلك قوله عليه السلام
يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم
الى فوقه • وبقوله عليه السلام سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الإسلام
بشيء • اجابه الآخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه
بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله
ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله • فإن احتجوا بقول ابي التشكك
سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يخرج في هذه الأمة ولم يقل منها وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه
اللفظ • اجابهم الآخرون بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة
بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض • وكونهم من الأمة مع انه قد روي عن ابي ذر
وعلي وابي امامة وغيرهم رضي الله عنهم في هذا الحديث يخرج من امتي وسيكون
من امتي • وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الأمة بفي ولا
على ادخالهم فيها بمن • لكن ابا سعيد رحمه الله اجاد ما شاء في التنبيه الذي

نبه

213

٢١١

نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضي الله عنهم وتحققهم
المعاني واستنباطها من الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية • هذه
المذاهب المعروفة لأهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة
مضطربة سخيفة • أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب أن الكفر بالله الجهل به
لا يكفر أحد بغير ذلك • وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله
تشبيها لله تعالى بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من
أثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر • وقال بعض المتكلمين إن كان ممن
عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما هو من أوصاف الله تعالى فهو كافر وإن لم
يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف الأصل فهو مخطئ غير
كافر • وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين في
أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل • وقد فارق في ذلك فرق الأمة
إذ أجمعوا سواه على أن الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص
فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول
عبيد الله عن داود الأصبهاني • وحكى قوم عنهما أنهما قالا ذلك في كل من
علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو غيرهم وقال
نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة
النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها
الاستدلال • وقد نحا الغزالي رحمه الله قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة
وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر أحدا من النصارى واليهود
وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك فيه • قال القاضي
أبو بكر لأن التوقيف والإجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب

الكفر بالله الجهل به

عامة كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة

النص والتوقيف أو شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من كافر والله أعلم

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر **اعلم** أن تحقيق هذا الفصل • وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير الله أو مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية وأشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب • وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض • وكذلك من اعترف بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا أو أنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم سواه أو مدبرا غيره • فذلك كله كفر بإجماع المسلمين • كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في أحد الأشخاص • كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة • وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعمها فيها بحسب زكائها وخبثها • وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها

عن شيء

بين م

مطلب

عموما

عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او احد من الانبيا الذين
نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود
والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا مطلب
رضي الله عنه كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والاسماعيلية
والعنبرية من الشيعة والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هولاء قد
اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم • وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة
ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبيا الكذب فيما اتوا به ادعى
في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع المسلمين كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هولا
زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جات به الرسل من الاخبار عما كان ويكون
من امور الاخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شي على مقتضى
لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم اذ لم
يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر
والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به • وكذلك من اضاف الى مطلب
نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه
او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا او ازرى عليهم
او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع • وكذلك نكفر من ذهب
مذهب بعض القدما في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة
والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
اذ ذلك يودي الى ان يوصف انبيا هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه
من الازرا على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب

قائله • وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا
عليه السلام ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة
والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به •
وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه السلام او بعده كالعيسوية من
اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل
وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده مطلب
وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة • وكالبزيعية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء • او من ادعى
النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة • وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة
او انه يصعد الى السماء ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين
فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عليه السلام
انه خاتم النبيين ولا نبي بعده واخبر عن الله تعالى انه خاتم النبيين وانه
ارسل للناس كافة • واجمعت الامة على حمل هذا الكلام على ظاهره وان
مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص • فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف
كلها قطعا اجماعا وسمعا • وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص
الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره
كتكفير الخوارج بابطال الرجم • ولهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين
من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك الاسلام
واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف
ذلك • وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة

وتكفير

وتكفير جميع الصحابة رضي الله عنهم كقول الكميلية من الرافضة بتكفير
جميع الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا رضي الله عنه
اذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهولا قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا
الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على زعمهم
والى هذا والله اعلم اشار مالك رحمه الله في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة
ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم
انه عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله
عليهم وصلى الله على رسوله واله وسلم • وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا مصرحا صح
يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل
كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع
مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الروس فقد اجمع المسلمون ان هذا لا
يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام • وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر
او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض
غلاة المتصوفة • وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد
الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم
ووقع الاجماع المتصل عليه • كمن انكر وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها
وسجداتها ويقول انما اوجب الله تعالى علينا في كتابه الصلاة على الجملة وكونها
خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص
جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد • وكذلك اجمع على تكفير
من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار • وعلى تكفير الباطنية في قولهم

حاشية
وأشد من حجته لم لا أن يكون حديث عهد بإسلام ويقال له
سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين

إن الفرائض اسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال
أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا
صفت نفوسهم أفضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شيء لهم ورفع عهد
الشرائع عنهم • وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة
الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن كونه على هذه
الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري
هل هي تلك او غيرها • ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه
التفاسير غلطوا او وهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به
علم ذلك وممن خالط المسلمين • فلا نجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري
الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي
مكة والبيت الذي فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه و
والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات عبادة الحج
والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلوات
المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم • وشرح مراد الله تعالى بذلك
وانا نحد ودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد
والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر
بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب اذ لا يمكن
انه لا يدري • وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه
من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله
تعالى به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن
وانحلت عرى الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا

منه أو غير شيئاً منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية أو زعم
أنه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم أو ليس فيه حجة ولا معجزة • كقول
هشام الفوطي ومعمر الضيمري أنه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله صلى الله
عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالفة في كفرهما بذلك
القول وكذلك نكفرهما بإنكارهما أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله
عليه وسلم حجة له أو في خلق السموات والأرض دليل على الله لمخالفتهم الإجماع
والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح
القرآن به • وكذلك من أنكر شيئاً مما نص فيه بعد علمه أنه من القرآن الذي في
أيدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلاً به ولا قريب عهد بالإسلام
واحتج لإنكاره له إما بأنه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به أو لتجويز
الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين لأنه مكذب للقرآن مكذب
للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه • وكذلك من أنكر الجنة أو النار أو
البعث والحساب والقيمة فهو كافر بإجماع للنص عليه ولإجماع الأمة على
صحة نقله متواتراً • وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال إن المراد بالجنة
والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وأنها لذات
روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض
المتصوفة • وزعم أن معنى القيمة الموت أو فناء محض وانتقاض هيئة الأفلاك
وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة • وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة
في قولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء • فأما من أنكر ما عرف بالتواتر من الأخبار
والسير والبلاد التي لا ترجع إلى إبطال شريعة ولا تفضي إلى إنكار قاعدة
من الدين كإنكاره غزوة تبوك أو مؤتة أو وجود أبي بكر وعمر أو قتل عثمان

ولا محالة
القرآن
عانقاد

وخلافة علي رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في إنكاره جحد شريعة
فلا سبيل إلى تكفيره بجحد ذلك وإنكار وقوع العلم له إذ ليس في ذلك أكثر من
المباهتة كإنكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه • فأما
إن ضعف ذلك من أجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين أجمع فنكفره بذلك
لسريانه إلى إبطال الشريعة • فأما من أنكر الإجماع المجرد الذي ليس طريقه
النقل المتواتر عن الشارع • فأكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الإجماع الصحيح الجامع لشروط الإجماع المتفق عليه
عموما • وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام
من عنقه وحكوا الإجماع على تكفير من خالف الإجماع • وذهب آخرون إلى
الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص بنقله العلماء • وذهب
آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بإنكاره الإجماع لأنه بقوله هذا مخالف إجماع السلف على احتجاجهم
به خارق للإجماع • قال القاضي أبو بكر القول عندي أن الكفر بالله هو الجهل
بوجوده والإيمان بالله هو العلم بوجوده وأنه لا يكفر أحد بقول ولا
رأي إلا أن يكون هو الجهل بالله فإن عصى بقول أو فعل نص الله ورسوله
عليه أو أجمع المسلمون أنه لا يوجد إلا من كافر • أو يقوم دليل على ذلك فقد
كفر ليس لأجل قوله أو فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون
إلا بأحد ثلاثة أمور • أحدها الجهل بالله تعالى • والثاني أن يأتي فعلا أو
يقول قولا يخبر الله ورسوله عنه أو يجمع المسلمون أن ذلك لا يكون إلا
من كافر كالسجود للصنم والمشي إلى الكنائس بالتزام الزنار مع أصحابها

في اعتقادهم • او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان
الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان
فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك
كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال
الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف
بها واعراه عنها • وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر
وهو لا يكفر المتأولين كما قدمناه • فاما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلما هاهنا فكفره بعضهم • وحكى ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره
وقال به ابو الحسن الاشعري مرة • وذهبت طايفة الى ان هذا لا يخرجه عن
اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع
بصوابه ويراه دينا وشرعا • وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق • واحتج هولا
بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير
وبحديث القائل لئن قدر الله علي • وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله
له • قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها بوحث صح
الا الاقل • وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه • منها ان قدر بمعنى قدّر
ولا يكون شكه في القدرة على احيايه بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بشرع
ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ
كفرا • فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول • او يكون قدر بمعنى
ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازرا عليها وغضبا لعصيانها • وقيل قال ما قاله
وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية
التي اذهلت لبه فلم يواخذ به • وقيل كان هذا في زمان الفترة وحيث ينفع زمن

بجحود التوحيد • وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك
ومعناه التحقيق • وهو يسمى تجاهل العارف • وله أمثلة في كلامهم • كقوله
لعله يتذكر أو يخشى • وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين • فأما
من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له • ومتكلم ولكن
لا كلام له • وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل
لما يؤدي إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى
وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما أدى
إليه قولهم • وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية
وغيرهم • ومن لم يؤاخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير
إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي
من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر بل نقول
إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه • فعلى هذين المأخذين اختلف الناس
في إكفار أهل التأويل • وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك
والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء
حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة
عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع
الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم • وهذه كانت سيرة
الصدر الأول فيهم • فقد كان نشأ على زمان الصحابة رضي الله عنهم
وبعدهم في التابعين رحمهم الله من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي
الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم
هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق

ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم
منهم خلافا لمن رأى غير ذلك • والله الموفق للصواب • قال القاضي أبو بكر
وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال • وبقاء
الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق • فالمنع في إكفار المتأولين فيها أوضح
إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى • ولا أجمع المسلمون على إكفار من
جهل شيئا منها • وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في
هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله • فصل • هذا حكم المسلم الساب لله تعالى
وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في ذمي تناول من حرمة
الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف
فطلبه فهرب • وقال مالك رحمه الله في كتاب ابن حبيب • والمبسوطة •
وابن القاسم في المبسوط • وكتاب محمد وابن سحنون • من شتم الله تعالى من
اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب • قال
ابن القاسم إلا أن يسلم • قال في المبسوطة طوعا • قال أصبغ لأن الوجه
الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك
والولد • وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض
للعهد • قال ابن القاسم في كتاب محمد • ومن شتم من غير أهل الأديان الله
تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم • وقال المخزومي
في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان
أو كافرا فإن تاب وإلا قتل • وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك •
وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا
أن يسلم • وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل • وذكرنا قول عبيد الله وابن

لبابة من شيوخ الأندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه
الذي كفرت به بالله والنبي عليه السلام وإجماعهم على ذلك وهو نحو القول
الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به • ولا فرق في
ذلك بين سب الله تعالى به وسب نبيه عليه السلام لأنا عاهدناهم على أن لا
يظهروا لنا شيئاً من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئاً من ذلك فمتى فعلوا شيئاً منه فهو
نقض لعهدهم • واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك رحمه الله
ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر • وقال
عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه أحد ولا يؤخذ عليه
جزية • قال ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره **فصل** هذا حكم من صرح
بسبه وإضافة ما لا يليق بجلاله وإلهيته عز وجل • فأما مفتري الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعاء الإلهية أو الرسالة أو النافي أن يكون الله تعالى
خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره
أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله
كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه إنابته وتنجيه من
القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب
ليكون ذلك زجراً لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله الا من
تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب
توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران
في ذلك حكم الصاحي • وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال
غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال
ميزه وإن لم تكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر عنه

كما يؤدب على قبيح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما يؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض • وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه
من ادعى له الإلهية • وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه
وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم • وأجمع علماء وقتهم
على صواب فعلهم • والمخالف في ذلك من كفرهم كافر • وأجمع فقهاء بغداد
أيام المقتدر من المالكية وقاضي قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه
لدعواه الإلهية والقول بالحلول • وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة
ولم يقبلوا توبته • وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقر وكان على نحو مذهب
الحلاج بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي
عمر المالكي • وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل • وقال أبو حنيفة
وأصحابه رحمهم الله من جحد أن الله تعالى خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب
فهو مرتد • وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن
تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو كالمرتد • وقاله سحنون وغيره • وقاله
أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن كان معلنا بذلك استتيب
فإن تاب وإلا قتل • وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن بارئه وادعى أن لسانه
زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره • وهذا على القول
الآخر من أنه لا تقبل توبته • وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله
أنا الله إن تاب أدب فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن
هذا كفر المتلاعبين فصل وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ
ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة
مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله من ملكوته أو نزع

مطلب قتل الحلاج المنصور

مطلب

من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للإلحاد • فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية
فيه • وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص لربه •
وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي
عجب • وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده • وكان
بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن
عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه
الأدب • وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه
في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين
وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب
عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده
بالأخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين
وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم
وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم
تكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها
وصورة حال قائلها وشرح سببها ومقارنها • وقد سئل ابن القاسم عن
رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك قال إن كان جاهلا
أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل رحمه الله
وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب • ولو
قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله • وقد أسرف

سببها

كثير

كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة
فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره • ولولا أنا قصدنا
نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه
الفصول • وأما ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول
بعض الأعراب • رب العباد ما لنا وما لكا • قد كنت تسقينا فما بدا لكا •
أنزل علينا الغيث لا أبا لكا • في أشباه لهذا من كلام الجهال • ومن لم يقومه
ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر إلا من جاهل
يجب تعليمه وزجره والإغلاظ له عن العودة إلى مثله • قال أبو سليمان
الخطابي وهذا تهور من القول • والله تعالى منزه عن هذه الأمور • وقد
روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم أحدكم ربه أن يذكر اسمه في
كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا • وكان بعض من
أدركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان
يقول للإنسان جزيت خيرا • وقلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه
تعالى أن يمتهن في غير قربة • وحدثنا الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي
كان يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون
بالله جل وعز وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب سابّ النبي
صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق **فصل**
وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما
أتوا به أو أنكرهم وجحدهم حكم نبينا عليه وعليهم السلام على مساق ما
قدمناه • قال الله تعالى إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن
يفرقوا بين الله ورسله الآية • وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل

وفي ذكر صفاته إجلالا له صح

إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم . وقال تعالى
كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله . قال
مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد . وقاله ابن القاسم . وابن الماجشون .
وابن عبد الحكم . وأصبغ وسحنون . فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو
تنقصه قتل ولم يستتب . ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا أن يسلم
وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء عليهم السلام من اليهود
والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه إلا أن يسلم . وقد
تقدم الخلاف في هذا الأصل . وقال القاضي بقرطبة سعيد بن سليمن
في بعض أجوبته من سب الله وملائكته قتل . وقال سحنون من شتم ملكا
من الملائكة فعليه القتل . وفي النوادر عن مالك رحمه الله فيمن قال
إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فإن
تاب وإلا قتل . ونحوه عن سحنون . وهذا قول الغرابية من الروافض
سموا بذلك لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم أشبه بعلي رضي الله عنه
من الغراب بالغراب . وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذب
بأحد من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منهم فهو مرتد . وقال
أبو الحسن القابسي في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو
عرف أنه قصد ذم الملك قتل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا
كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين أو على معين ممن حققنا
كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله تعالى عليه في كتابه أو حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل . وميكائيل .
ومالك . وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن .

من

من الملئكة ومن سمي به من الأنبيا وكعزرائل واسرافيل ورضوان
والحفظة ومنكر ونكير من الملئكة المتفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت
الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملئكة او الانبيا كهاروت
وماروت في الملئكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد
ابن سنان المذكور انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس
والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه
اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بقدر
حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضلة منهم وان لم تثبت
نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملئكة فان كان المتكلم في
ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلما في ذلك وان كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل
هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف
للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقران او المصحف او بشي منه
او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشي منه او كذب بشي
مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه
بذلك او شك في شي من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى
وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا ابو علي
حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المومن حدثنا ابن داسة حدثنا
ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هرون حدثنا محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرا

في القرآن كفر. تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال. وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب
عنقه. وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او
لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر. وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو
في جميع اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان
من اول الحمد لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه
المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه
حرفا قاصدا لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل
عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا
لكل هذا انه كافر. ولهذا رأى مالك رحمه الله قتل من سب عائشة رضي الله عنها
بالفرية لانه خالف القرآن. ومن خالف القرآن قتل. اي لانه كذب بما فيه.
وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل. وقاله عبد
الرحمن بن مهدي. وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب
الله تضرب عنقه الا ان يتوب. وكذلك كل من كذب بحرف منه قال
وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما
وشهد آخر عليه انه قال ان الله تعالى ما اتخذ ابرهيم خليلا لانهما اجتمعا
على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم. وقال ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون ان الجحد لحرف من التنزيل كفر. وكان ابو العالية اذا قرأ
عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابرهيم
فقال أراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله. وقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله. وقال اصبغ بن الفرج من

تجوز

اللعن الطرد والابعاد عن الخير. السب الشتم. والشتم تلفظ كلمة كريهة في حق الغير يقال رجل شتّام بوزن فعّال اي الذي يشتم دائما. والمشاتمة والتشاتم معروف ذكره في الاسماء. يقال رجل شتيم اي كريه الوجه ذكره في الاسماء ايضا

كفر

كذب

كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به
فقد كفر بالله • وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال
الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن
القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود فقال أبو الحسن الشاهد الواحد لا
يوجب القتل • والثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل إذ لعله لا يرى اليهود
متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم • ولو اتفق الشاهدان على
لعن التوراة مجردا لضاق التأويل • وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن
شنبوذ المقرئ أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته
وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه
والتوبة منه سجلا أشهدوا فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي (أشهد)
ابن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر
الأبهري وغيره • وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله
معلمك وما علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن • قال أبو محمد
وأما من لعن المصحف فإنه يقتل **فصل** وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه
عليه وعليهم السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله **حدثنا** القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله • حدثنا أبو الحسين الصيرفي • وأبو الفضل العدل • حدثنا
أبو يعلى • حدثنا أبو علي السنجي • حدثنا ابن محبوب • حدثنا الترمذي • حدثنا
محمد بن يحيى • حدثنا يعقوب بن إبرهيم • حدثنا عبيدة بن أبي رابطة عن
عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني

فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه • وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا • وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فانه
يجي قوم في اخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا
تناكحوهم ولا تجالسوهم • وان مرضوا فلا تعودوهم • وعنه عليه السلام
من سب اصحابي فاضربوه • وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يوذيه واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا توذوني في اصحابي
فان من اذاهم فقد اذاني • وقال عليه السلام لا توذوني في عايشة •
وقال في فاطمة رضي الله عنها بضعة مني يوذيني ما اذاها • وقد اختلف
العلما في هذا فمشهور مذهب مالك رحمه الله في ذلك الاجتهاد والادب
الموجع • قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل • ومن شتم
اصحابه ادب • وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر او عمر او عثمان او معوية او عمرو بن العاص فان قال كانوا على ضلال
وكفر قتل • وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا • وقال
ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان رضي الله عنه والبراءة منه
ادب ادبا شديدا • ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد
ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي
صلى الله عليه وسلم • وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم عليا او عثمان رضي الله عنهما او غيرهما يوجع ضربا • وحكى ابو محمد
ابن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم
انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل • ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل

النكال الشديد وروى عن مالك رحمه الله من سب ابا بكر جلد ومن
سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان
عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله الاية فمن عاد
لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال
ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه
كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه
المنافقون الى عائشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم
بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه
في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك رحمه الله في قتل من سب عائشة
ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها
سبا لنبيه عليه السلام وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم
مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة
بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى
انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود
فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك
رحمه الله من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا
الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء ثلاثة اصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين
الاية ثم قال والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم الاية وهم الانصار

في تبرئتها

ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا الآية • فمن ينتقصهم
فلا حق له في فيء المسلمين • وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم إنه ابن
زانية وأمه مسلمة حد عند بعض أصحابنا حدين حدا له وحدا لأمه ولا
أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله عليه السلام من سب
أصحابي فاجلدوه • قال ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية
لأنه سب له فإن كان أحد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له وإلا
فمن قام به من المسلمين كان على الإمام قبول قيامه • قال وليس هذا كحقوق
غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم عليه السلام • ولو سمعه الإمام وأشهد
عليه كان ولي القيام به • قال ومن سب غير عائشة من أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم ففيها قولان • أحدهما يقتل لأنه سب النبي صلى الله عليه وسلم
بسب حليلته • والآخر أنها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالأول
أقول • وروى أبو مصعب عن مالك من انتسب إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لأنه استخفاف
بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم • وأفتى أبو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل
أنكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت بنت أبي بكر الصديق ما حلفت إلا بالنهار
وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه فقال أبو المطرف ذكر هذا لابنة أبي بكر
في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل • والفقيه الذي
صوب قوله هو أحق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم إليه في ذلك ويزجر
ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول بنا فيما حررناه •
وانتجز الغرض الذي انتحيناه • واستوفي الشرط الذي شرطناه • مما أرجوا

أن

224

٢٢٢

أنّ في كل قسم منه للمريد مقنعا • وفي كل باب منهجا إلى بغيته ومنزعا • وقد
سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع • وكرعت في مسارب من التحقيق
لم يوردها قبل في أكثر التصانيف مشرع • وأودعته غير ما فصل وددت
لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه • أو مقتدى يفيدنيه عن كتابه أو فيه •
لأكتفي بما أرويه عما أرويه • وإلى الله تعالى جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه
لوجهه • والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره • وأن يهب لنا ذلك بجميل
كرمه وعفوه • بما أودعناه من شرف مصطفاه وأمين وحيه • وأسهرنا به
جفوننا لتتبع فضائله • وأعملنا فيه خواطرنا من إبراز خصائصه ووسائله •
ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه • ويجعلنا ممن لا يذاد إذا
ذيد المبدل عن حوضه • ويجعله لنا ولمن تهمم باكتتابه واكتسابه • سببا
يصلنا بأسبابه • وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه • ويخصنا بخصيصى زمرة نبينا صلى الله عليه وسلم
وجماعته • ويحشرنا في الرعيل الأول وأهل الباب الأيمن من أهل شفاعته •
ونحمده تعالى على ما هدى إليه من جمعه وألهم • وفتح البصيرة لدرك الحقائق
ما أودعناه وفهّم • ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع • وعلم لا ينفع •
وعمل لا يرفع • فهو الجواد الذي لا يخيب من أمّله • ولا ينتصر من خذله •
ولا يرد دعوة القاصدين • ولا يصلح عمل المفسدين • وهو حسبنا ونعم الوكيل •
وصلواته على نبينا محمد خاتم النبيين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين •

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

اما بعد فقد قرا علي جميع كتاب الشفا للامام الحافظ المحقق ابي الفضل عياض بن موسى
ابن عياض اليحصبي السبتي المالكي رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه وبركاته في الدنيا والاخرة
من نسخته الصحيحة الشيخ الاوحد الزاهد العابد الفاضل المفيد شمس الدين ابو عبد الله
محمد ابن الشيخ نور الدين علي ابن الشيخ عبد الله ابن اسمعيل ابن احمد بن عثمان الدمياطي الاصل المحلي المالكي
نفعه الله تعالى بالعلم ونفع به قراءة حسنة محررة في مجالس اخرها يوم الخميس ثالث عشري
جمادى الاولى عام اربعة وثمانين وثمانمائة واجزت له ان يرويه عني جميعه وجميع ما لي من مقروء
ومسموع ومجاز ومجموع بشرطه عند اهله وكتبه عبد الله محمد الدلجي الشافعي حامدا مصليا مسلما

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد فهذه أحاديث خرجها بعض العلماء الأعلام في اصطناع المعروف للمسلمين رحمه الله

الحديث الأول عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم
عيال الله فأحب الخلق إليه أنفعهم لعياله الحديث الثاني عن عمرو بن عوف المزني عن أبيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تعالى عبادا اختصهم لحوائج الناس
آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار فإذا كان يوم القيمة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله
عليها والناس في الحساب الحديث الثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن لله عز وجل خلقا خلقهم لحوائج الناس يفزعون الناس في حوائجهم
أولئك الآمنون غدا من عذاب الله الحديث الرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له الحديث الخامس
عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه
ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله الحديث السادس عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كان في وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في منفعة بر أو تيسير عسير أعين على إجازة
الصراط يوم دحض الأقدام الحديث السابع عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لله عز وجل خلقا خلقهم من قضى حاجتهم كان كمن خدم الله عمره الحديث الثامن عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه
إلا دخل الجنة الحديث التاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربته ومن ستر على مؤمن ستر الله عورته ولا يزال الله تعالى
في عونه ما دام في عون أخيه الحديث العاشر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فرج عن مؤمن كربة جعل الله له شعلتين من نور على الصراط يستضيء بضوئهما عالم
لا يحصيهم إلا رب العزة الحديث الحادي عشر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار يوم القيمة
سبع خنادق ما بين الخندق والخندق ما بين السماء والأرض الحديث الثاني عشر عن مسلمة بن
مخلد رضي الله عنه من نفس عن مكروب كربة فك الله عز وجل عنه كربة من كرب يوم القيمة
ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته الحديث الثالث عشر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم إن لله عبادا اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها فإذا منعوها حولها منهم
وجعلها في غيرهم الحديث الرابع عشر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أضاف مؤمنا أو خف له في حاجة كان حقا على الله أن يخدمه وصيفا في الجنة الحديث
الخامس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن أخيه
كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستر الله عليه
في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس
فيها علما يسر الله له به طريقا إلى الجنة وما جلس قوم في مسجد يتلون كتاب الله ويتدارسونه
بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه الحديث
السادس عشر عن عمرو بن مرة رضي الله عنه وكانت له صحبة أنه قال لمعاوية إني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة
والخلة والمسكنة إلا أغلق الله بابه عن حاجته وفقره ومسكنته الحديث السابع عشر

عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه طالب حاجة فاشفعوا له كي تؤجروا
ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء الحديث الثامن عشر عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثة وسبعين حسنة واحدة منها يصلح الله بها
اخرته ودنياه والباقي في الدرجات الحديث التاسع عشر عن انس ابن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب اغاثة اللهفان الحديث العشرون
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير
كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان الحديث الحادي والعشرون عن جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على اخيك المسلم واشباع جوعته
وتنفيس كربته الحديث الثاني والعشرون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فرج عن اخيه المسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر على اخيه
ستر الله عليه في الدنيا والاخرة والله عز وجل في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه الحديث الثالث والعشرون
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان
في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم
القيمة ومن ستر على مسلم ستر الله عليه يوم القيمة الحديث الرابع والعشرون عن انس ابن مالك رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها اصلاح
امره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيمة الحديث الخامس والعشرون عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله اي العمل افضل قال عليه السلام ان تدخل على اخيك المسلم سرورا او تقضي
عنه دينا او تطعمه خبزا الحديث السادس والعشرون عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان
قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف الى اخيك وتدفع عنه الكريهة الحديث
السابع والعشرون عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا عاد المؤمن
اخاه او زاره قال الله يقول الله عز وجل طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا الحديث
الثامن والعشرون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن
مرآة المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه الحديث التاسع والعشرون عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما يقول الاسد في زئيره قالوا الله ورسوله
اعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على احد من اهل المعروف الحديث الثلاثون عن ابي بكر ابن حزم
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لا يزال يخوض في الرحمة حتى اذا قعد استنقع فيها ثم
اذا رجع لا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث اتى الحديث الحادي والثلاثون عن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس حسنا بلسانه ندجري له اجره حتى ياتي يوم القيمة فيوفيه ثوابه الحديث
الثاني والثلاثون عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الذي يرحم نفسه واهله خاصة ولكن الذي
يرحم المسلمين الحديث الثالث والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اقال مسلما عثرته اقال الله عثرته يوم القيمة الحديث الرابع والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل انا الله خلقت الخير والشر فطوبى لمن جعلت
مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعلت مفاتيح الشر على يديه الحديث الخامس والثلاثون عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي
فارحموا خلقي الحديث السادس والثلاثون عن ابي بردة عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال مثل المؤمنين فيما بينهم كالبنيان يشد بعضه بعضا او يمسك بعضه بعضا الحديث السابع
والثلاثون عن ابي بكر بن حزم عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعزي
اخاه بمصيبة الا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيمة الحديث الثامن والثلاثون عن ا

عن أم الدرداء رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة
قالوا بلى قال صلاح ذات البين وفساد ذات البين
هي الحالقة **الحديث التاسع والثلاثون** عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي
منادي يوم القيامة لا يقوم أحد إلا أحد له على الله حق
فيقول الخلائق سبحانك بل لك الحق فيقول لهم كل
مرارا فيقول بلى من عفى في الدنيا عن قدرة
الحديث الأربعون عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
قيل يا رسول الله أي العمل أحب إليك قال
أنفع الناس للناس

وحسبنا الله ونعم الوكيل
تم هذا الكتاب الشريف
وكتب هذه الأحاديث الأربعين
الفقير إلى الله تعالى [illegible]
[illegible]
غفر الله له ولوالديه
ولمشايخه ولمن نظر فيه ودعا له
بالمغفرة والدخول إلى الجنة
من غير سابقة عذاب آمين
والحمد لله وحده

[illegible]
بالمدرسة الأ[illegible]

ELS. No. 382
الشفا للقاضي عياض بطرة ذهبية
نفيسة وجميلة نسخ مشكولة على خط الذهبي
AVT.S.
حيدر تركي

٣٩٢
ELS. No.
382
الشفاء بالقطع الكامل بطرة ذهبية
نفيسة وجميلة خط نسخ جيد فصيح
مشكولة نسخ محكية على خط
الذهبي
حيدر تركي



[illegible]
خط اليمن [illegible]